السعي السديد لإصلاح واقع أمتنا

إن الواقع الذي تمر به أمتنا لا يخفى على أحد من أبنائها، كما أنه لا يُرضي أي أحد فيهم، وكلنا يتساءل ما الذي يجب علينا القيام به لإصلاح هذا الواقع، ومعالجة تلك الأوضاع، وترميم ذاك البناء الحضاري الآيل إلى السقوط، وتدارك العقد الجامع قبل انفراطه؟

وإنني لأتصور أن إعادة البناء الحضاري للأمة واسترجاعها لمقام العزة والشهادة اللذين شرفها الله بهما، يحتاج لإقامة العناصر الآتية:

١ - تحقيق المثل الأعلى الذي نهتدي به في عملنا، ونستنير بنوره في بناء الواقع المنشود، وبالنسبة لي يتمثل هذا العنصر في إعادة كتابة السيرة النبوية بالصورة الملائمة، فكل ما كتب عن السيرة النبوية، حتى الآن، بما في ذلك التي تحصلت على جائزة الملك فيصل، لم تسلم من الخلل، فالغالبية العظمى لمصادر السيرة النبوية ومراجعها تحدثت عن أوضاعها الاستثنائية، ولم تتحدث عن حياته صلى الله عليه وسلم اليومية العادية، تناولً جعل حياته صلى الله عليه وسلم كلها نشاطات عسكرية، من غزوة بدر، إلى غزوة أحد، إلى غزوة الخندق إلى غيرها من الغزوات تتخللها عدد من السرايا، مع أنه بين بدر والخندق ست سنوات لا نعرف عنها شيئًا في السيرة إلا النزر القليل الذي نطق به بعض علماء السيرة، وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء للحرب فقط؛ ولذلك فإننا نريد فريق بحث يملأ هذا الفراغ، بالاعتماد على كتب التفاسير، وعلى كتب الحديث والسنة، وعلى كتب السياسة الشرعية والآداب والأخلاق والمنح المرعية، وما ألفه العلماء في القضاء والحكومات النبوية نريده أن يقدم لنا سيرة ترسم حياة رسول الله اليومية لا الاستثنائية؛ لأن الحياة الاستثنائية المتمثلة في الحرب لسنا أهلاً لها الآن نحن المغلوبون على أمرنا، فنحن محتاجون إلى هديه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه، ومع أهله، ومع عشيرته، ومع كل من كان يتعامل معه، فهذا ما نحتاج إليه اليوم، فإنه سيكون بمثابة المنارة التي نستنير بها في بناء الواقع.

٢ - تأسيس منهجي لعمل فعال، تتدرج في سلمه لإنجاز عملية البناء اعتمادًا على مصادر المعرفة المعصومة وغير المعصومة، والتجارب والوقائع المنقولة، ونعني بها -فقه النوازل- الذي وجد

لمعالجة وقائع ونوازل مختلفة ومتنوعة، أحدثها الناس أو نزلت بهم عبر العصور وفي أصقاع إسلامية متعددة، تحتاج منا إلى جمعها على تنوع مذاهبها ودراستها وتحليلها ومقارنتها مع المدونات التي ألفت في موضوعها، وكذا دراسة المنهجية التي اعتمدت في معالجتها؛ لنتمكن من استخلاص الضوابط والآليات التي استعملت في تنزيل الأحكام على الوقائع المتجددة، عسى أن نستفيد من تلك المنهجية وتلك الآليات في بناء واقعنا، مع مراعاة التنظير اللازم لذلك الآن.

٣ - استكمال الركن الذي نأوي إليه عند انعدام النص في استنباط الأحكام، وأريد بذلك استكمال بناء صرح الفكر المقاصدي؛ فلا شك أن الكتابات في علم المقاصد حديثة، وأول من نادى بإحيائه الشيخ الطاهر بن عاشور، ثم توالت من بعده الكتابات؛ ليعرف هذا العلم بعد ذلك إنتاج غزير ونفعه يسير بسبب الاجترار والتكرار، وخلط الغث فيه بالسمين والخوض به في غير مواطنه، وإجرائه في غير مسالكه، مما أدى إلى عدم استكمال جوانب كثيرة منه، فلنستكمل هذا البناء، وسيكون مفيدًا ونافعًا ومعينًا لنا نحن في بلاد الإسلام، وصالحًا وملائمًا لإخواننا في الغرب.

٤ - تشييد المصدر الذي نستقي منه المعلومات والمعطيات المتعلقة بإخواننا في بلادنا الإسلامية وبلاد الغرب ومعرفة أخبارهم وأحوالهم، فلابد من إنشاء بنك للمعلومات يهتم بتتبع كل ما سلف ذكره، كما يكون من ضمن عمله ترجمة الأعمال التي أنجزها علماء الغرب حول الإسلام، وتؤسس جماعة من العلماء تنتقد الدراسات التي تتم ترجمتها، والتي تفيدنا نحن المسلمين في تحسين واقعنا ونستشف من خلالها نظرة الغير لنا.

٥ - استغلال كافة وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام والاتصال لإطلاع الرأي العام في كل بلاد الإسلام وغيرها، على ما تم إنجازه، وصناعة السلوك العام للمجتمع؛ لأن ذلك يقوي الروح المعنوية ويعزز الشعور بوحدة الأمة، ويسعف النفوس في التغلب على إرهاقات الإنجازات ويعين الناس على تحمل أعباء المرحلة، ووعثاء الطريق المحتوم، للخروج إلى الرحب الفسيح، الذي تتفتح فيه الأبصار على ضياء حضارتنا، وهو يعود من نور صحيح، عندها يدرك الناس، أن سعينا الرجيح قد أثمر المتجر الربيح، وانتقلنا بفضل الله وقوته من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة.

حيث يفرح المؤمنون يومئذ بتوفيق الله، ألا إن توفيق الله من الصادقين قريب.

مدير التحرير

د. عز الدين بن زغيبة

ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس

د. بودالية تواتية
جامعة معسكر- الجمهورية الجزائرية

تعد مسألة الإجهاض قديمة قدم وجود الإنسان على وجه الأرض، ومن المسائل الحساسة في المجتمعات المعاصرة؛ لأنها تتعلق بمصير إنسان، سواء أكانت الأم أم الجنين، ولقد أفتى الفقهاء بمختلف مذاهبهم بتحريم الإجهاض بعد نفخ الروح، وإلى جانب الفقه كان الطب عنصرًا فاعلاً في هذه العملية بعدُها مهمة إنسانية تتمثل في إنقاذ حياة اهتداء بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(1).

وظلت مسألة الإجهاض دومًا من أهم الموضوعات التي شغلت اهتمام الإنسان على مر العصور، وطرحت نفسها بقوة في الفكر الإسلامي المعاصر، وتنوعت الدراسات التي اختصت في ذلك، بينما الدراسات ذات البعد التاريخي فهي غائبة. ومن ناحية أخرى تعد الظاهرة من المسائل الحساسة المكبوتة والمسكوت عنها والتي غيبتها جل الدراسات الوسيطية. ومن هنا حاولنا معالجة مسألة الإجهاض من الناحية التاريخية وبالضبط على المجتمع الأندلسي وتقديم رؤية تاريخية قد تنسجم في مضامينها مع الزمن المعاصر.

وحتى تكتمل الصورة التي تحاكي هذه الظاهرة تم الاستعانة بكتب الأحكام والنوازل الفقهية التي تحمل في مضامينها دلالات تاريخية وقانونية عن هذه الظاهرة قل نظيرها في المصادر التاريخية. وإلى جانب ذلك شغلت كتب الطب حيزًا مميزًا لما تحويه من مادة دسمة وثروة نصية أماطت اللثام عن بعض الحقائق التاريخية التي تختص بعلم الأجنة.

أولاً: تعريف الإجهاض لغة واصطلاحًا

أ- الإجهاض لغة:

يقال أجهضته؛ أي أزالته عن مكانه، والإجهاض الإزلاق ويقال للسقط جهيض(2).

وقال ابن منظور: "أَجْهضت الناقةُ إجْهاضًا، وهي مُجْهِضٌ ألقت ولدها لغير تمام والجمع مَجاهِيضُ"[3]. وقال الأصمعي في المجهض: إنه يسمى مجهضًا إذا لم يستبن خلقه[4]. ويطلق على الولد السقط أو ما تم خلقه ونفخ فيه الروح من غير أن يعيش، ويطلق على الناقة إذا ألقت ولدها وقد نبت وبره[5].

ب- الإجهاض اصطلاحًا:

يعرف الإجهاض في الاصطلاح الفقهي بأنه خروج الجنين من رحم أمه سواء كان الجنين تام الخلقة والمدة أم ناقصهما، وسواء أكان بفعل المرأة الحامل أم بفعل غيرها[6]. وفي المنحى ذاته قال المناوي: "الإجهاض إسقاط الجنين"[7]. ويتضح مما سبق أن كلمة الإجهاض والإسقاط تدخل في معنى واحد، وهو إلقاء الجنين قبل تمامه. وإن كان المصطلح الغالب في كتب الطب والفقه هي كلمة الإسقاط.

يعرف الإجهاض من الوجهة الطبية الشرعية، بأنه خروج محتويات رحم المرأة الحامل في أي وقت قبل تمام أشهر الحمل[8]. كما يقصد به إخراج الجنين من بطن أمه، سواء أكان ذلك بعد اكتمال خلقه أم قبله[9] .

ثانيًا: مفهوم الجنين

١- الجنين لغة

الجنين في اللغة: مأخوذ من الستر والخفاء، وأجنّ الشيء في صدره؛ أي أكنّه، والجنين الولد ما دام في بطن أمّه، يقال: أجّنت المرأة ولدًا، وجمع الجنين: الأجنة، والجُنة: السُترة، والاجتنان : الاستتار[10].

٢- الجنين اصطلاحًا

الجنين: هو حمل المرأة ما دام في بطنها، قال تعالى: ﴿إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾[11]، فإن خرج حيًا فهو مولود، وإن خرج ميتًا فهو سقط. ويسمّى الجنين جنينًا منذ التقاء الحيوان المنوي بالبُويضة إلى حين ولادته (من ستة إلى تسعة أشهر) فإن خرج ميتًا بعد نفخ الروح فيه فإنه يصّلى عليه و إلا فلا[12].

ثالثًا: لمحة عن الإجهاض في القديم

كان قدماء المصريين ينظرون إلى الإجهاض على أنه تصرف طبيعي من حق كل من الأبوين، وأقدم تسجيل لكيفية إجراء الإجهاض وجد مسجلاً على أوراق البردي في مصر، في برديات الكهنة والتي يعود تاريخها إلى ١٧٥٠ سنة قبل الميلاد[13]. وكانت شريعة حمورابي من أقدم الشرائع الوضعية التي تخالف ذلك؛ حيث كانت تمنع الإجهاض وتعاقب عليه، ويظهر ذلك في القسم التاسع من قوانين حمو رابي المختصة في عقوبات القصاص والغرامات، وضمت المواد الآتية: ٢٠٩-٢١٠-٢١١-٢١٣-٢١٤ على ضرورة معاقبة الجاني المجهض الذي اعتدى على المرأة الحامل بالضرب وأسقط جنينها[14]. وعلى غرار ذلك كان الآباء في إسبارطة يقتلون أولادهم عقب الولادة إذا وجدوا ما يدل على عدم كفاءة أجسامهم للحياة المثالية، وكان مثل هذا النظام سائدًا في أثينا وفي روما، وقد أقرّه فلاسفة اليونان أنفسهم. وتقرر العقاب على الإجهاض من بعدهم، وبخاصة أبقراط الذي قدم قسمًا للطبيب يعد فيه أن الإجهاض

عمل غير أخلاقي، وينص هذا القسم" لا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً، ولا أشير أيضًا بمثل هذه المشورة، كذلك لا أرى أن أدني من النسوة فرزجة تسقط الجنين "[١٥].

أما المجتمع العربي في الجاهلية، فقد كان متوغلاً فيما هو أشد من هذا وأبعد؛ إذ كان كثير من العرب لا يرون بأسًا في أن يدفن الأب ابنه أو ابنته بعد أن يخرج إلى الحياة الدنيا إما خوفًا من الفقر أو غيرة على العرض[١٦].

ثالثًا: الإجهاض في التراث الطبي الأندلسي

تدخل مسألة الإجهاض في علم الأجنة، وهو من العلوم الدقيقة التي تعالج عملية حدوث الحمل وكذلك تدبير الجنين والوليد والطفل. وممن عالجوا هذه الحالة في التراث الطبي الأندلسي نذكر:

١- عريب بن سعيد القرطبي (٢٥٢-٣٧٠هـ/ ٩١٨-٩٨٠م):

عريب بن سعد القرطبي، من الأطباء اللامعين في الأندلس. أخذ بعلمه عن أبقراط وديسقوريدس، وجالينوس وعن أطباء الهنود وكذلك أخذ عن إسحاق الإسرائيلي، وكان شديد العناية بكتب الأقدمين والمحدثين[١٧]. ويعد كتاب **"خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين"**[١٨] قمة التطور الطبي وأعظم عمل قدم للحضارة الإنسانية بمعلوماته وإبداعاته في علم الأجنة، واحتوى الكتاب خمسة عشر بابًا أهمها حسب موضوعها:

الباب الخامس: في تكوين الجنين والتفريق بين جنسه الذكر والأنثى، وعلة كون الولد الضعيف من الولد الجسيم وسبب زيادة الأعضاء ونقصانها.

الباب السادس: ويبحث في مدة الحمل وعدد شهوره وأيامه والمولودين لسبعة أشهر وثمانية وكلام الأوائل من الأطباء وأهل التنجيم فيمن يتخلق منهم أو يموت على الأعم.

الباب السابع: يبحث في تدبير الحبالى وحفظ قواهن ومداواة، وما يمرض لهن من أول الحمل إلى وقت الوضع والقول في الإسقاط وأسبابه وتلا في أعراضه بالأغذية والأدوية.

الباب الثامن: في دلائل الوضع وتسهيل الولادة وأحكام قبول الجنين وتدبير النفساء واستخراج المشيمة.

والجدير بالذكر، أن كتاب خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولودين أول كتاب طبي أندلسي يبحث بطريقة علمية شاملة تطور الجنين وأحوال الولادة والعناية بالحبالى والأمهات وتدبير الأطفال بعد الولادة في أيام طفولتهم والعناية بطعامهم وشرابهم وشؤون صحتهم العامة.

٢- أبو القاسم بن خلف الزهراوي (ت٤٠٤هـ/ ١٠١٤م)

يعد أبو القاسم خلف بن عباس الزهراوي عمدة الجراحين في الأندلس، قضى حياته طبيبًا في بلاط عبد الرحمن الناصر؛ له كتاب مشهور كثير الفائدة، سماه **"كتاب التصريف لمن عجز عن التأليف"**[١٩]. ويعد كتابه موسوعة عظيمة ضمت عدة فصول ومقالات، وصل عددها إلى ثلاثين مقالة، كل مقالة ضمت موضوع

منفصل عن الآخر من ضمنها طب الأمراض النسائية؛ حيث طور المعالجات الدوائية التي تخص المرأة، وأوجد لمسات جديدة للولادة في حالة سقوط يد أو ركبة الجنين أو وضعه المسمى بالقرضي والوضع الوجهي[٢٠]. واستخدم آلة جديدة في توسيع باب الرحم للعمليات[٢١]. وأشار باستخدام مساعدات وممرضات من النساء عند إجراء العمليات الجراحية وتكون" امرأة قابلة محسنة في أمور النساء"[٢٢]، وذلك لغرض الطمأنينة والراحة النفسية. ووضح للمرأة في موسوعته الطبية الموسومة بـ "التصريف لمن عجز عن التأليف" بعض المسائل المتعلقة بالحمل وعلامات الحامل وتدبيرها وكذلك طفلها وطعامه ونموه وتربيته ومسائل تعليم الطفل.

رابعًا: حكم اسقاط الجنين

حرّم الإسلام قتل النفس الإنسانية بغير حق، تحريمًا قاطعًا، وذلك فيما ورد من تصريح النص القرآني لقوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[٢٣] وفيه دلالة واضحة حول تحريم القتل سواء بالنسبة للصغير أو الكبير. وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[٢٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[٢٥]. وهذه نصوص صريحة في أن الإسلام جعل للنفس البشرية حرمتها وكرامتها.

وبالموازاة، شددت السنة النبوية في مجال المحافظة على النفس على حرمة الدماء؛ فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: "ألا من قتل نفسًا معاهدة له ذمة الله وذمة رسوله، فقد أخفر بذمة الله، فلا يُرَح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا"[٢٦]؛ وذلك لأنّ النفس ملك لله عز وجل، وهذه الأمانة تقتضي منه وجوب حفظها.

تعد ظاهرة إسقاط الجنين من جملة المسائل المتعلقة بالمرأة التي رفعت "للونشريسي"، وهي قضية إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر "إن اتفق الزوج والزوجة على إسقاط الجنين قبل أربعة أشهر هل يسوغ ذلك أم لا؟ وإذا قلتم بجوازه هل يجوز ذلك للزوجة، وإن لم يوافق الزوج أم لا؟ وإن قلتم بالمنع وفعلت ذلك المرأة وأسقطته هل تلزمها الغرة أم لا؟"[٢٧].

وأفتى "الونشريسي" بما أفتى الأئمة المالكية بمنع الإسقاط وحرمته ولو قبل الأربعين يومًا على ما هو المعتمد في المذهب مستدلاً بما جاء في الأحكام للقاضي أبي بكر العربي. في حين اتفق العلماء على تحريم إسقاط الجنين بعد نفخ الروح إذا لم يكن هناك ضرورة لإسقاطه؛ لأن في إجهاضه قتل للنفس المحرمة بغير حق، وقد نقل الإجماع على حرمة الإجهاض بعد نفخ الروح الفقيه المالكي ابن جزي الغرناطي؛ حيث قال: " وإذا قبض الرحم المني لم يجز التعرض له، وأشد من ذلك إذا تخلق، وأشد من ذلك إذا نفخ فيه الروح فإنه قتل نفس إجماعًا"[٢٨].

وثبتت جناية القتل العمدي للجنين بعد نفخ الروح- أي بعد مئة وعشرين ليلة- فيما ورد عند

ابن حزم في المحلى بقوله: "فإن قال قائل: فما تقولون فيمن تعمدت قتل جنينها وقد تجاوزت مئة ليلة وعشرين ليلة فقتلته أو تعمد أجنبي قتله في بطنها فقتله، فمن قولنا: أن القود - يعني القصاص - واجب في ذلك ولا بد، ولا غرة في ذلك حينئذٍ، إلا أن عفى عنه، فتجب الغرة فقط؛ لأنها دية، ولا كفارة في ذلك؛ لأنه عمد، وإنما وجب القود؛ لأنه قاتل نفس مؤمنة عمدًا، فهو نفس بنفس، وأهله بين خيرتين، إما القود، وإما الدية أو المفاداة، كما حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل مؤمنًا"[٢٩].

وحسب التفصيل الفقهي الذي اتفق عليه بالتحريم المطلق بعد نفخ الروح، وبالكراهة قبل ذلك، مع الإشارة إلى قول فقهاء المالكية بتحريم الإجهاض منذ اليوم الأول للحمل، وجعل الإسلام للجنين المقتول خطأ دية معلومة في الشريعة؛ ليقدم أعظم تشريع لقيمة الحياة الإنسانية وحق الحياة. وهذا التحريم يشمل إسقاط الجنين بالإجهاض وإن كان ابن زنا، إلا إذا كان في ذلك إنقاذ لحياة الأم التي هي أصل حياته وكان ذلك ضرورة لازمة شرعًا وعقلاً وصحة[٣٠].

خامسًا: أسباب الإجهاض في بلاد الأندلس:

١- العوارض الطبية والصحية

للأطباء دور كبير في تحديد مختلف العوارض التي تصيب المرأة الحامل وذلك حفاظًا على صحتها الجسدية، وفي هذا الشأن للزهراوي الفضل في تعداد هذه الأسباب التي تحول دون نجاح الحمل، وتتمثل في "إفراط الرطوبة أو اليبس أو بلغم غليظ في فم الرحم أو مرض يعرض للمرأة كالحمى أو التزحر الشديد أو استفراغ دم كثير أو حركات قوية كالسقطة أو الضّربة والوثبة أو لعارض من عوارض النّفس كالغضب والغمّ الدائم أو لإفراط المرأة في اشتهاء شيء يمتنع نيله أو لاستنشاق رائحة منتنة[٣١]. والملفت للانتباه أن الزهراوي حدد العوارض الطبية التي تؤدي بإسقاط الجنين، وتتمثل أساسًا في مرض يصيب المرأة الحامل كالحميات، وتعرضها لحركة قوية، والاضطراب النفسي، فضلاً عن سوء التغذية التي تحدث في الغالب نتيجة الفقر أو في فترات الجوع التي لحقت بلاد الأندلس من حين لآخر، وهو في الواقع يساهم في إيذاء النساء الحوامل بسبب سوء التغذية، فانعدام المأكل للمرأة الحامل سوف يُفقد الجنين، وتتفشى في ظل هذه الأزمات ظاهرة موت الأجنة.

٢- الاضطراب النفسي

من دون شك أن الحالة النفسية للمرأة تجمع بين علاج البدن وعلاج الروح، فقد يكون الإسقاط بسبب اعتلال النفس، وقد يكون تقوية النفس أعظم أثرًا في الشفاء من الأدوية المعتادة. وينصح ابن خاتمة في علاج الاكتئاب بعض الأساليب العلاجية بقوله: "أصلحها التعرض للمسرات والأفراح وبسط النفس، وانشراح الصدر، وامتداد الآمال، فليستدع ذلك بما أمكن من الأمور المباحة، ومجالسة من تلهج النفس بحديثه وينصرف الفكر إليه، ولا جليس أنس من كتاب الله عز وجل. وقال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[٣٢]، ومن لم يوفق في ذلك فعليه بمطالعة كتب التاريخ وخصوصًا أخبار الفكاهات ومناشدة الأشعار الغزلية وما في معناها، وليحرز

التعرض للغير، وكل ما يجلب الغم وينهى عن ذلك بكل وجه"[33].

٣- أثر المناخ في إسقاط الأجنة

تشكل التقلبات المناخية إحدى العوامل المؤثرة في إسقاط الأجنة، ولقد نوه إلى ذلك ابن سينا بقوله: "البلدان الباردة جدًا لا باعتدال، والفصول الباردة جدًا يكثر الإسقاط فيها، وكذلك الجبال والبلاد الجنوبية يكثر فيها الإسقاط وكذلك الأهوية الجنوبية، ويقل منها في الشمالي منها إلا أن يكون البرد شديدًا مؤذيًا للجنين. وإذا سلف شتاء جنوبي حار، وربيع قليل المطر، أسقط الحبالى اللواتي يضعن عند الربيع بأدنى سبب، وولدن ضعافًا[34].

ومن جهة أخرى يعد فساد الهواء كما ذكر الزهراوي آنفًا من جملة العوارض التي تقتل وتسقط الأجنة، فمتى خرج الهواء المعهود الطبيعي حدثت بلايا بحسب خروجه[35]، وذلك عندما "ترتفع أبخرة فاسدة متعفنة من السباخ والبطائح المتغيرة المياه والخنادق والآجام الرّية الراكدة الهواء، والنبات والبقول المتعفنة وأقذار الناس وفضلاتهم وجيف القتلى في الملاحم، والدواب التي أصابها الموتان"[36]، وبتكدر الهواء تحدث الحميات الوبائية[37]، وهي من الأمور المسقطة للأجنة.

٤- دوافع مادية

لقد كانت تجارة الإماء والجواري في الأندلس مزدهرة لما فيه من مغالاة في بيعهن بأثمان باهظة، وبخاصة اللائي يتمتعن بقدر كبير من الجمال، وعليه كانت تحدث مشاكل عديد بين البائع والمشتري فيما يخص العيوب، فقد استعمل النخاسون عدة حيل لإخفاء عيوب الإماء والجواري[38]. وأكثر من ذلك وصل الأمر إلى الإجهاض، فقد أراد رجل أن يبيع أمته فوجدها حاملاً فقام بإجهاضها[39]. ويتضح من هذه النازلة الدافع المادي للإجهاض، فالسيد من أجل أن تتم صفقته في بيع جاريته لابد له أن يتخلص من أهم عيوب الإماء في البيع والشراء، وهي أن تكون حاملاً أو معها ولد، فبإجهاضها يجد من يشتريها وبسعر يناسبه. وهو الأمر الذي تنبه إليه الونشريسي، فيمن أطلق عليهم "سفلة التجار" ويقصد تجار الرقيق الذين يسقين الإماء أدوية للإجهاض رغبة في الحصول على البيع والربح السريع[40].

٥- تسوية وضعية قانونية

كان الجواري أكثر الفئات اللائي يتعرضن إلى الإجهاض بالقوة؛ وذلك خوفًا من أن تصير الأمة أم ولد فيقع عتقها وتحريرها بعد وفاة سيدها، وهذا ما أشار إليه صاحب "المعيار" "أمة يموت سيدها وهي حامل منهن، متى تجب لها الحرية؟ فأجاب: تجب لها الحرية بظهور الحمل"[41]. أما ابن جزي فسر حقها بالحرية سواء ولدت ولدًا كاملاً أو أسقطته ناقصًا وحدده بأطوار تكون الجنين في بطن أمه بقوله: " فمن وطئ أمته فحملت صارت له أمّ ولدٍ، سواء وضعته كاملاً أو مضغة أو علقة أو دما"[42]. ويضيف ابن زرب تكون الأمة أم ولد: إذا ولدت من سيدها أو أسقطت أو طرحت شيئًا مما تستيقن النساء أنه ولد من دم أو مضغة أو غيره[43]، وعليه تفصح جل القرائن أن الجنين له حرمة التخليق سواء أنفخت فيه الروح أم لا لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ

ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس

﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾[٤٤].

٦- تفشي الفاحشة وانتشارها

يعود الإجهاض إلى الحمل غير المشروع وإلى ارتفاع نسبة الزنا والبغي عند المنحلات أخلاقيًا متزوجات أو غير متزوجات، كما هو الحال في المجتمع الأندلسي فقد مثلت الممارسات اللاأخلاقية قمة الانحراف عن القيم الدينية مما ترتب عنه تطورات اجتماعية خاضعة لهيمنة الخطيئة والأنشطة المحرمة في العديد من المدن الأندلسية؛ فكان أهل برشانة " أولو عداوة لأخلاق البداوة... فللمجون به سوق، وللفسوق ألف سوق.."[٤٥]، ويضيف ابن الخطيب عن نسائها " ولهن بالسفارة في الفقراء علاقة... وحياها تكمن حية الجور فيه"[٤٦]، تكمن هذه الإشارة بكثرة الوسيطات اللائي كن يسفرن بين الرجال والنّساء تشجيعا للدعارة[٤٧].

وبالموازاة، إذا تعذرت سبل العيش الكريم، وتفاقمت حالة العوز والفقر، فإنّ بعض النّساء لم يترددن في بيع أعراضهن وأجسادهن، والارتماء في أحضان الدعارة والبغاء لتصريف أزمتهن[٤٨]. وبذلك ساهم هذا التحول الاجتماعي في وجود مهن غير مشروعة أو محرمة لم يستطع الفقهاء إدانتها فمن النساء من احترفن هذه المهنة المشينة، فيذكر الونشرسي وصاحب أحكام السوق أن قاضي المالكية الإمام سحنون بن سعيد (١٦٠-٢٤٠هـ/٧٧٧-٨٥٤م) أمر بضرب وسجن امرأة حكمة كانت تجمع بين الرجال والنساء في بيتها، وأمر برحيل امرأة أخرى وسد باب بيتها بالطين والطوب بعدما اتضح أنها اتخذته مكانًا للدعارة[٤٩].

ولم تكن بيوت الدعارة كافية لفعل الفاحشة، والمقصود هنا الكنائس التي سهلت على النّاس ممارسة الرذائل مع الإفرنجيات" فإنّهن يأكلن ويشربن ويزنين مع القسيسين، وما منهم إلا وعنده اثنتان أو أكثر، يبيت معهن، وقد صار هذا عرفًا عندهم؛ لأنّهم حرموا الحلال، واستحلوا الحرام"[٥٠]؛ لذلك منع المسلمات من دخول الكنائس"؛ لأنّ القسيسين فسقة، زناة لوطية"[٥١].

كما وجد بعض النسوة الفاسدات اللائي كن يهربن من أسرهن بالحواضر إلى الجبال المجاورة صحبة شباب من العزاب، سئل فقيه بجاية علي بن عثمان عن امرأة هرب بها رجل وخلا بها زمانًا ثم ردها للإستبراء ثم خطبها وزعم أنه كان يزني بها أيام الإستبراء[٥٢]. وجد قلة من الناس يتزوجون زواج متعة إلى أجل بغير ولي والصداق نصف درهم من هذه القراريط بشهادة رجلين مقطوع بهما في الحقوق، فطبيعة هذا الزواج لا يحتاج فيه إلى أكثر من إذن المرأة لمؤاجرتها؛ حيث تصبح كسلعة[٥٣].

وبطبيعة الحال لا يمكن أن نلقي اللوم على النساء في ممارسة الرذيلة برضاها؛ فمنهن من أكرهن بالقوة على ذلك، وبخاصة السبايا من النساء في الحروب وانتهاك العدو للحرمات، والنماذج في هذا الأمر كثيرة في التاريخ الأندلسي، نذكر على سبيل الذكر أنه أثناء الفتنة البربرية نهبت ديار البربر بقرطبة وهتك حريمهم وسبي نسائهم وباعوهن في دار البنات، وقتلوا النساء الحوامل[٥٤]. ويضيف ابن عذاري في موضع آخر في حديثه عن صراع ابن عباد

مع بني برزال سنة ٤٥٨هـ ودخولهم إلى حصن بني دمر؛ حيث" هتكوا الأستار وفتكوا بالأبكار حتى كانت دمائهن تسيل على أقدامهن عاريات باكيات واستحوذ السودان وسفال العسكر على النساء فكانت أخبيتهم مملوءة منهن إلى أن برح بانيس بعد ثلاثة أيام عليهن فطردوهن عاريات حافيات"(٥٥). وبالموازاة تفيد إحدى النوازل إقبال الإماء على ممارسة البغاء تحت ضغوط السادة(٥٦).

والملاحظ أن ممارسة هذه المهن غير مشروعة سوف تؤدي بطبيعة إلى الحمل من الزنا، وحتى تحمي المرأة نفسها من الفضيحة تقوم بإجهاض الجنين.

سادسًا: وسائل الإجهاض

يلخصها الزهراوي في الوسائل الآتية" وأكثر أسباب موت الجنين ما يعرض من خارج كالتقطة أو الضربة أو الحركة العنيفة أو استفراغ الدم المفرط أو شرب دواء سمومي قتال أو فقد الغذاء تمامًا أو عارض من عوارض النفس إذا حدث بغتة من خوف شديد أو فزع(٥٧). وسنقسم هذه الوسائل حسبما توفر لنا من نصوص فقهية وطبية، ويمكن حصرها كالآتي:

١- استعمال الأدوية

تعد مسألة استعمال الأدوية قضية جد معقدة لما يشوبها من مثالب في حكم شرب الأدوية لإسقاط الجنين، والمشكلة تكمن اختلاف الطب والفقه في هذه المسألة، فمن الناحية الطبية يحدث الإجهاض إلا للضرورة القصوى التي تتوجب حماية المرأة أو جنينها من أجل انقاد حياة لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾(٥٨)، وفي هذه الحالة إذا مرضت الأم أو مات جنينها في بطنها فيجب على الطبيب استعمال الأدوية المسقطة منها المفردة والمركبة؛ فالمفردة كابهل، وهو صنف من العرعر كبير الحب، وهو شجر كبير له ورق شبيهة بورق الطرفاء وثمرته حمراء دسمة تشبه النبق في قدرها ولونها وما داخله مصوّف له نوى ولونه أحمر، وهو أكثر من كل دواء يفسد الأجنة الأحياء ويخرج الأجنة الموتى(٥٩)، وقيل أن المرأة الحامل إذا أمسكت آذريون (هو صنف من الأقحوان منه ما نواره أصفر ومنه ما نواره أحمر) بيديها مطبقة واحدة على الآخرى نال الجنين ضرر عظيم شديد، وإن أدامت إمساكه واشتمامه أسقطت(٦٠)، وبالمثل إذا ضرب المرأة الحبلى بطنها بأقسيا (شجرة شبيهة بشجرة الكمثري البري) رفيقًا بأصل هذه الشجرة ثلاث مرات وإذا لطخ بها أسقطت الجنين، وإذا كان الولد ميتًا من ثلاثة أشهر أو أربعة فيؤخذ الجاوشير، ويعمل منه فتيلة وتحملها المرأة فإنها تلقيه سريعًا(٦١).

ومن الأدويـة المركبة المسقطة والجيدة أونوما (ومعناه المسقط للأجنة)؛ وهذا الدواء مركب من جوهر حاد حريف مر، ولذلك قد وثق النّاس منه بأنه يقتل الأجنة ويخرجها من الأرحام إذا شرب ورقه بالشراب(٦٢). وقد حذر ابن سينا من الأغذية الحرفة والمرة والكبر والزيتون الفج وكذلك المدرّة للطمث كاللوبيا والحمص؛ لأنها مسقطة للأجنة(٦٣).

ومن الناحية الفقهية تذكر إحدى النوازل أن بعض الفئات الميسورة من التجار التي تمتلك العديد من الخدم والجواري تقوم بعملية إسقاط الأجنة؛ حيث يفرض السيد على الأمة تناول

بعض الأدوية لإسقاط الجنين[64] بالرغم من أن الفقهاء منعوا أن تستعمل المرأة أدوية لتمنع الحمل وتفسده للإسقاط[65].

وبالموازة، قال ابن حزم فيمن شربت دواء فأسقطت حملها: "إن كان لم ينفخ فيه الروح فالغرة عليها، وإن كان قد نفخ فيه الروح فإن كانت لم تعمد قتله فالغرة أيضًا على عاقلتها، والكفارة عليها، وإن كانت عمدت قتله فالقود عليها أو المفاداة في مالها"[66]، ويفصل في هذه المسألة بقوله: " إن شربت الحامل دواء، فألقت به جنينًا، فعليها غرة؛ لا ترث منها شيئًا، وعليها عتق رقبة؛ وذلك لأنها أسقطت الجنين بفعلها وجنايتها، فلزمها ضمانة بالغرة، ولا ترث منها شيئًا؛ لأن القاتل لا يرث المقتول، وتكون الغرة لسائر ورثته، وأما عتق الرقبة فهو كفارة لجنايتها، وكذلك لو كان المسقط للجنين أباه، فعليه غرة لا يرث منها شيئًا، ويعتق رقبة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين توبة من الله"[67].

٢- استعمال العنف:

وهو النشاط العضوي الإرادي الإيجابي أو السلبي الذي يأتيه الجاني مستهدفًا فصم العلاقة التي تربط الجنين بجسم أمه لتنهى حالة الحمل قبل موعد الولادة الطبيعي بطرح الجنين خارج الرحم أو بموته داخله[68]. وتتمثل هذه الوسائل فيما يأتي:

أ) الضرب:

يعد الضرب من الوسائل العدوانية التي تتم بالاعتداء على المرأة الحامل، ويتعدى أثره إلى الجنين بالإجهاض والقتل ووجب في هذه الحالة على الجاني دفع دية الجنين إذا ضربت المرأة الحرة فألقت جنينها ذكرًا أو أنثى- عبدًا أو أمة- وتتمثل في الغرة التي تقدر خمسون دينار[69]، ومن النوازل التي تؤكد على هذه الوسيلة، سئل أبو إبراهيم التجيبي عن ثلاثة رجال اشتركوا في التجارة، واشتروا من رأس مالهم الذي اشتركوا به جارية، فوقع عليها أحدهم فأحبلها فلما علم بذلك الشريك الثاني قام عليها يضربها، فطير عينها في ضربة فبينما هما كذلك إذا دخل عليها الشريك الثالث، فركضها برجله فطرحت جنينًا ميتًا، وماتت الجارية أيضًا من تلك الضربة[70]، وبالمثل حكى ابن جزي عن امرأة "ماتت من الضرب ثم سقط الجنين ميتًا"[71].

ب) شق البطن

وهي الوسيلة التي يلجأ إليه الأطباء لإنقاذ حياة الأم أو جنينها؛ فعلى وجه التعبير عندما تموت الأم بعد اكتمال خلق الجنين، يضطر الطبيب إلى شق بطنها لاستخراج الجنين قبل موته، وفي هذا الصدد قال ابن حزم" لو ماتت امرأة حامل، والولد حي يتحرك قد تجاوز ستة أشهر فإنه يشق عن بطنها طولاً، ويخرج الولد؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، ومن تركه عمدًا حتى يموت فهو قاتل نفس"[72]. أما الحالة الجنائية وغير شرعية تحدث من أجل القتل العمدي في الحروب كما حدث في الفتنة القرطبية بالأندلس؛ حيث قام البربر بسبي النساء وشق بطون الحوامل[73]، وهذا العمل هو انتهاك لحرمة متيقنة[74].

ج) أسلوب الصدمة العصبية

وتكون هذه الوسيلة قولاً صادرًا من الشخص، وهذا يشتمل شتم الحامل والتهديد والترويع

وتخويف الحامل بالضرب والقتل، والصياح عليها فجأة، فتفزع وتجهض بالفزع، وفي الغالب أن الإجهاض بمثل هذه الأقوال يكون لمن عندها قبلية الإجهاض لوجود مرض سابق، وأن طبيعتها سرعة التأثير، فيحدث الإجهاض بهذا السبب[٧٥]، وصدرت هذه الوسيلة في نوازل الونشريسي بقوله:" روع المرأة الحبلى حتى تسقط، إما بصيحة أو علاها بحديدة أو أتاها بمن تفزع منه بحرسي أو غيره، ومن تلك الحيل أدخل رجل على امرأة خدمة ظالم فاختلعت فأسقطت"[٧٦].

ومما لاغرو فيه فإن مختلف وسائل العنف تشترك في نقطة أساسية تتعلق بقيام شخص ما بإسقاط الحمل، وذلك إما برضى من المرأة الحامل أو بالقوة، وإن رضاء الحامل بالإجهاض يجعلها مسؤولة جنائيًا بعدّها فاعلة أصلية في جريمة الإجهاض.

سابعًا: أنواع الإجهاض

١- الإجهاض الطبيعي

هو الإجهاض الذي يحدث بشكل طبيعي دون أي تأثير خارجي وأسبابه داخلية محضة نتيجة أمراض في الأم الحامل والجنين، وينصح ابن سينا في أرجوزته المرأة الحامل بقوله: " ولتحذر في هذه الأشهر الأواخر الإسقاط فإنه كثيرًا ما يعترى فيها، وأكثر ما يكون سببه ضعف المرأة وكبر الطفل فلتتحرر من الوثوب والرياضة القوية ومن الأمور المفزعة فإن هذه كثيرًا ما تسقط[٧٧]. ويضيف الزهراوي أن إجهاض المرأة يعود إلى "إفراط الرطوبة أو اليبس أو بلغم غليظ في فم الرحم أو مرض يعرض للمرأة كالحمى أو التزحر الشديد أو استفراغ دم كثير أو حركات قوية كالسقطة أو الضّربة والوثبة أو لعارض من عوارض النّفس كالغضب والغمّ الدائم أو لإفراط المرأة في اشتهاء شيء يمتنع نيله أو لاستنشاق رائحة منتنة[٧٨].

٢- الإجهاض المتكرر

وهو الذي يحدث دون سبب ظاهر، ويكون الإجهاض متكررًا دون أن يقوم شخص ما بإحداثه؛ وذلك بسبب إصابة الأم بأمراض مزمنة، وقد شاهد الزهرواي امرأة أسقطت سبعة وأخرى خمسة عشر كلها مصورين[٧٩]. ومن الناحية الفقهية تبث عند "المازوني" إسقاط الأجنة في الشهور الأواخر، وفيما ورد عنه أن"رجل تزوج امرأة فمكثت عنده سبعة أشهر وأسقطت جنينًا"[٨٠]، ويبدو أن المرأة الحامل تسقط الأجنة في الأشهر الأخيرة من حملها.

٣- الإجهاض العلاجي

يكون الإجهاض العلاجي ضرورة طبية عندما يموت الجنين في رحم الأم، ويبقى الجنين في الرحم فترة قد تطول أو تقصر، وقد يقذف الرحم الجنين ذاتيًا أو يخرج الجنين طبيًا، وقد حدد ابن سينا الأوقات التي يحتاج فيها إلى الاسقاط وذلك عندما" تكون الحبلى صغيرة، يخاف عليها من الولادة الهلاك، ومنها عندما يكون في الرحم آفة وزيادة لحم يضيق على الولد الخروج"[٨١]، وفي هذا الصدد عالج الزهرواي حالة ورم امرأة تسقط الأجنة بقوله: " عالجت امرأة كانت حبلة فمات الجنين في جوفها ثم حبلت عليه مرة أخرى ثم مات الجنين الآخر"[٨٢]. ومن الجانب الفقهي أفتى الفقهاء بسقوط الجنين الميت في بطن أمه؛

ظاهرة الإجهاض (إسقاط الجنين) في الأندلس

لأن بطنها صار كفنًا له، وصار داء في بطنها يحتاج إلى دفعه عنها بالدواء(٨٣).

٤- الإجهاض غير المشروع

وهو تفريغ رحم الأم من محتوياته باستعمال وسائل مختلفة مثل تعاطي الأدوية واستعمال العنف كما ذكرنا أنفًا، وتعمل هذه الأساليب على إخراج محتويات رحم الحامل لسبب غير إنقاذ حياة الأم الحامل كإجهاض الحمل الناتج عن الزنا، فقد ذكر ابن رشد أن امرأة حملت من الزنا مرتين وأنها قتلت ما حملت(٨٤).

ثامنًا: القابلة ودورها في عملية الإجهاض

تقوم القابلة بمهمة التوليد وما يتبعها من رعاية الأم الحامل قبل الولادة طوال أشهر الحمل وأثناء الولادة ولإنجاح هذه المهمة تحاول القابلة التصرف إزاء المواقف التي تتعرض لها مثل: عسر الولادة، اختناق الطفل، خروج الجنين على غير الوضع الطبيعي (الرأس أولاً) وكيف تتصرف إذا لم تخرج المشيمة أو مات الجنين في بطن أمه، ثم إلى العناية بالأم بعد الولادة وكذلك العناية بالمولود(٨٥). وفي بعض الحالات التي يموت فيها الجنين في بطن أمه أثناء الولادة، فعلى القابلة أن تقوم بإخراجه باستخدام أدوات خاصة بذلك. وشرح الزهراوي في كتابه التصريف طريقة إخراج الجنين الميت للقابلة وكيفية الحفاظ على سلامة المرأة(٨٦)، وبين لها الأدوات التي تستعملها لإخراج الجنين، وهي(٨٧):

- مبضع لقص المشيمة.
- مدفع يستعان به على دفع الجنين.
- شداخ يشدخ به رأس الجنين الميت في بطن أمه.
- أنبوبة من قصب توصل البخار من قدر تغلي به أعشاب معينة مع الماء إلى فم الرحم لإخراج المشيمة المحتبسة بعد الولادة.

ويمتد عمل القوابل من الجانب الطبي إلى الجانب القضائي ومساعدة القاضي في الكشف عن بعض الحالات المتعلقة بإثبات الحمل والإجهاض وولادة طفل حي وميت، ومن تلك الحالات مهمتها اتجاه الإماء اللواتي لا بد أن يحصلن على إستبراء من الحمل بعد أن يفحصن من قبل القوابل حتى تباع إلى سيد آخر وإن كانت حاملاً وبيعت فلا يقربها السيد الجديد حتى تضع حملها(٨٨). فقد أراد رجل أن يبيع أمته فوجدها حاملاً فقام بإجهاضها فأقامت دعواها أمام القاضي، وقد تصدى بهذه الواقعة ثلاث من القوابل التي تقدمت بهن الأمة للشهادة فشهدت اثنتان منهن أن الجارية أجهضت عند مولاها وشهدت الثالثة أنها رأت السقط ولم يحضر (السيد) إسقاطه، وعليه قبل القاضي شهادتهن(٨٩).

ورصد التفصيلات يقود إلى أن مسألة الإجهاض حالة تاريخية برؤية معاصرة لم تتغير وضعيتها لا من الناحية الشرعية ولا الطبية إلا في التقنيات والوسائل المعاصرة المطبقة عليها. ومن جهة أخرى ما تزال هذه المسألة يشوبها الكثير من المثالب نظرًا لتوسع مسائلها في المجتمعات المعاصرة، وأصبحت في عداد الجنيات وبالخصوص جناية القتل العمدي، وهذه الدراسة التاريخية تحيل باستمرارية هذه الظاهرة بالرغم من المعالجات الفقهية والطبية لها.

الحواشي

١- سورة المائدة، الآية٣٢.

٢- الإمام ضياء الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد. دار الفكر، بيروت، ط(١٩٧٩م)، باب الجيم مع الهاء، ج ١، ص ٣٢٢.

٣- الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت)، ج٧، ص٣١.

٤- المصدر نفسه، مادة جهض، ج ١، ص١٣١.

٥- الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د.ت)، ج ٢، ص ٣٢٨.

٦- الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الأم، تحقيق محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٣(د.ت)، ج٦، ص ١٠٧/ الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي، المغني، دار الفكر، بيروت، ط١ (١٩٨٤م)، ج ٨، ص٩٧ / الإمام زين العابدين إبراهيم بن محمد الحنفي، البحر الرائق، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (١٩٩٧م)، ج ٢، ص ٣٣١ - ٣٣٢.

٧- محمد بن عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٠م (٣٨/١).

٨- الطب الشرعي والسموميات تأليف مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كليات الطب في الجامعات العربية، طبع في الإسكندرية بمصر، ط(١٩٩٣م)، ص١٢١.

٩- محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ط٢(١٩٩٤م)، ص١٥٤.

١٠- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت(١٩٩٥م)، ص٤٨.

١١- سورة النجم، الآية ٣٢.

١٢- الشاذلي حسن علي، حق الجنين في الحياة، ورقة مقدمة لمؤتمر الإنجاب في ضوء الإسلام، المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية، ١١ شعبان، ١٤٠٣هـ، ص٢٨٨.

١٣- إبراهيم بن محمد قاسم بن محمد رحيم، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، سلسلة إصدارات الحكمة، العدد١٣، ط١ (٢٠٠٢م)، ص٩٦.

١٤- عبد الملك سلاطنية، عبد الصمد حراويبة، ساجية حماني، تاريخ النظم في الحضارات القديمة وأثرها على التشريعات والمواثيق الدولية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة (الجزائر)، ط(٢٠٠٧م)، ص١٢٢.

١٥- ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط(١٩٦٥م)، ص٤٥.

١٦- محمد سعيد رمضان البوطي، مسألة تحديد النسل وقايةً وعلاجاً، الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢(د.ت)، ص١١٨ /بشار شعلان عمر التميمي، ظاهرة الإجهاض بين الحكم الفقهي والضرر الاجتماعي والتربوي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٦، العدد١، ص١٦٢.

١٧- السامرائي كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد(د.ت)، ج٢، ص ١٦٠.

١٨- نشر وتحقيق: نور الدين عبد القادر والحكيم هنري جاهية منشورات كلية الطب والصيدلة بالجزائر.

١٩- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص٤٨٣-٤٨٤/ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر(ت٤٨٨ هـ/١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م)، ص ٢٠٩/ ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ/١١٨٣م)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط١(٢٠٠٣م)، ص ١٤٧ (رقم ٣٧٣)./ حداد فريد، الزهراوي جراح العرب الأعظم، مجلة العلوم، العدد الثاني، مصر، (١٩٦٧م)، ٢٩.

٢٠- الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس(ت ٤٠٤هـ/ ١٠١٤م)، التصريف لمن عجز عن التأليف في

التداوي بالأعمال بالأيدي مع أشكال الجراحة، طبع تحت إدارة قطب الدين أحمد، مطبع نامي، ط(١٩٠٨م)، ص١١٩-١٢١.

٢١- الزهراوي، المصدر نفسه، ص١٠٢-١٠٣.

٢٢- نفسه، ص١٠٣.

٢٣- سورة الأنعام، الآية ١٥١.

٢٤- سورة الفرقان، الآية ٦٨.

٢٥- سورة التكوير، الآية ٨ -٩.

٢٦- الترمذي، الإمام الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط(١٩٩٦م)، كتاب الديات عن رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، رقم ١٤٠٣، ص٣٣١.

٢٧- الونشريسي أحمد بن يحي (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨١م)، ج٣، ص٣٥٣.

٢٨- ابن جزي الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد المالكي (٦٩٣-٧٤١هـ / ١٢٩٤-١٣٤٠م)، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، (د.ت)، ص ١٤١.

٢٩- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، المحلى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج١١، ص٣٣.

٣٠- الشيخ علاء الدين زعتري، مقاصد الشريعة ودورها في الحفاظ على حقوق الطفل، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة بدمشق، ٩-١٠ رجب ١٤٢٩هـ/١٢-١٣ تموز ٢٠٠٨م. ص٦.

٣١- نقلاً عن الخطابي محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس دراسة تراجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت)، ج١، ص١٩٢.

٣٢- سورة الإسراء، الآية٨٢.

٣٣- ابن خاتمة، أبو جعفر أحمد بن علي، مخطوطة" تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد". الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ١٢١٢/ مخطوطة بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم ٥٢٥٥، ورقة ٣٧.

٣٤- ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي، (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) القانون في الطب، تحقيق وتعليق سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط(١٩٩٩م)، ٧٧٤.

٣٥- ابن زهر، أبو مروان عبد الملك(ت٥٥٧هـ/١١٦٢م)، كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق محمد ابن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، الرباط، ط(١٩٩١م)، ص ٤٥٣.

٣٦- ابن خاتمة، المصدر السابق، ورقة ١٣.

٣٧- الرازي، أبو بكر محمد بن زكريا(ت ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، سر صناعة الطب، تحقيق خالد حربي، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، (د.ت)، ص٩٣.

٣٨- السقطي، أبو عبد الله محمد بن محمد، كتاب في آداب الحسبة، نشره جورج كولان وليفي بروفنسال، تقديم حسن حافظي علوي، المطبعة الأمنية، الرباط، ط٢(٢٠١١م)، ص٣٧.

٣٩- الونشريسي أحمد بن يحي(ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨١م).ج٩، ص٢١٣.

٤٠- الونشريسي، المصدر نفسه، ج٤، ص٢١٤.

٤١- نفسه، ج٩، ص٢١٤.

٤٢- ابن جزي، المصدر السابق، ٦٣١.

٤٣- أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي المالكي، كتاب الخصال، تقديم وتعليق عبد الصمد العلمي، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط(٢٠٠٥م)، ٢١٧.

٤٤- سورة الحج، الآية ٥.

٤٥- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت نحو ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط(٢٠٠٦م)، ص١٠٦.

٤٦- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص٦.

٤٧- القادري إبراهيم بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين(المجتمع- الذهنيات- الاولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط(١٩٩٣م)، ص١٠١.

٤٨- استيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنين ١٦-١٧م، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، ط١(٢٠٠٤م)، ص٢٣٢ وما بعدها.

٤٩- الونشريسي، المصدر السابق، ج١٠/ يحي بن عمر، أبو زكريا الكناني الأندلسي(٢٨٩هـ/٩٠١م)، أحكام السوق، تحقيق ودراسة إسماعيل خالدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (٢٠١١م)، ص٨٥.

٥٠- ابن عبدون، محمد بن أحمد (٥٢٧هـ/١١٣٣م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، تقديم مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م)، ص١٠٧- ١٠٨.

٥١- المصدر نفسه، ص١٠٧.

٥٢- الونشريسي، المصدر السابق، ج٤، ص٤٧٧.

٥٣- البرزلي، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٨/ ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالكي القرطبي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١ (١٩٨٧م)، ص١٥٣٦.

٥٤- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م)، ج٣، ص٨١.

٥٥- المصدر نفسه، ج٣، ص٢٦٩.

٥٦- الونشريسي، المصدر السابق، ج١٠، ٣٦٠.

٥٧- نقلاً عن الخطابي محمد العربي، المرجع السابق، ج١، ص١٩٢.

٥٨- سورة المائدة، الآية٣٢.

٥٩- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢٠٠١م)، م١، ٩.

٦٠- المصدر نفسه، م١، ٢٢.

٦١- فسه، م١، ص٦٧.

٦٢- ابن البيطار، المصدر السابق، م١، ص٩٢.

٦٣- نقلاً عن الخطابي محمد العربي، المرجع السابق، ج١، ٤٣٢.

٦٤- الونشريسي، المصدر السابق، ج٣، ص٣٥٣.

٦٥- المصدر نفسه، ج٣، ٣٧٠.

٦٦- ابن حزم، الصدر السابق، ج١١، ص٣١

٦٧- المصدر نفسه، ج ١١، ص٣٢.

٦٨- ٣٩- محمود نجيب حسني، جرائم الاعتداء على الأشخاص في قانون العقوبات، جامعة الأزهر، ط(١٩٧٨م)، ص ٣٠١- ٣١٠.

٦٩- أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي المالكي، كتاب الخصال، تقديم وتعليق عبد الحميد العلمي، مطبعة الفضالة، ط(٢٠٠٥م)، ص ٣٢٧-٣٢٨.

٧٠- أبو مطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي(٤٠٢-٤٩٧هـ/١٠١١-١١٠٤م)، الأحكام، تحقيق الصادق الحلوي، دار صادر، بيروت، ط٢(٢٠١١م)ص٣٥٠.

٧١- ابن جزي، المصدر السابق، ص ٥٧٠.

٧٢- ابن حزم، الصدر السابق، ج٥، ص١٦٦.

٧٣- ابن عذاري، المصدر السابق، ج٣، ص ٩٧.

٧٤- المراد بالحرمة المتيقنة حرمة جسد الحامل الميتة. أحكام الجراحة، ٣٢٤

٧٥- إبراهيم بن محمد قاسم بن محمد رحيم، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، ص٢٥٣

٧٦- الونشريسي، ج٣، ص٣٥٣-٣٧٠

٧٧- نقلاً عن محمد العربي خطاب، المرجع السابق، ج١، ص٤٣٢.

٧٨- المرجع نفسه، ج١، ص١٩٢.

٧٩- الزهراوي، المصدر السابق، ص١١٩.

٨٠- المازوني أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، مراجعة مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط(٢٠٠٩م)، ج٢، ص٤٢٩.

٨١- ابن سينا، المصدر السابق، ج٣، ص٥٧٥.

٨٢- الزهراوي، المصدر السابق، ص١١٩.

٨٣- البرزلي، ج٢، ص٤٨٨.

٨٤- ابن رشد، المصدر السابق، ج٢، ص١٢٤٣.

٨٥- الزهراوي، المصدر السابق، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٠.

٨٦- المصدر نفسه، ١١٩-١٢١.

٨٧- نفسه، ص ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٧٠.

٨٨- الجزيري، أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم(ت٥٧٠هـ/١١٨٩م)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، دراسة وتحقيق اسونثيون فريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (٢٣)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٨، ص ١٩٤، ١٩٧.

٨٩- الونشريسي، المصدر السابق، ج٩، ص٢١٣.

قائمة المصادر والمراجع

المخطوطات:

١. ابن خاتمة، أبو جعفر أحمد بن علي، مخطوطة "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد"، الخزانة العامة بالرباط، تحت رقم ١٢١٢/ مخطوطة بالخزانة الحسنية، الرباط، تحت رقم ٥٢٥٥.

المصادر

٢. ابن أبي أصيبعة، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط(١٩٦٥م).

٣. ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت نحو ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط(٢٠٠٦م).

٤. ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك(ت٥٧٨هـ/١١٨٣م)، كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية بيروت، ط١ (٢٠٠٣م).

٥. ابن جزي الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد المالكي(٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٤-١٣٤٠م)، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد ابن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية، (د.ت).

٦. ابن رشد، أبي الوليد محمد بن أحمد المالقي القرطبي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)، فتاوى ابن رشد، تحقيق المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(١٩٨٧م).

٧. ابن زهر، أبو مروان عبدالملك(ت٥٥٧هـ/١١٦٢م)، كتاب التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق محمد ابن عبد الله الروداني، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، مطبعة فضالة، الرباط، ط(١٩٩١م).

٨. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن ابن علي، (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م) القانون في الطب، تحقيق وتعليق سعيد اللحام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط(١٩٩٩م).

٩. ابن عبدون، محمد بن أحمد(٥٢٧هـ/١١٣٣م)، رسالة في القضاء والحسبة، تحقيق فاطمة الإدريسي، تقديم مصطفى الصمدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م).

١٠. ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ (٢٠٠٩م)، ج٣.

١١. أبو الحسن علي بن يحي بن القاسم(ت٥٧٠هـ/١١٨٩م)، المقصد المحمود في تلخيص العقود، دراسة وتحقيق اسونثيون فريرس، سلسلة المصادر الأندلسية (٢٣)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، مدريد، ١٩٩٨.

١٢. أبو بكر محمد بن بيقى بن زرب القرطبي المالكي، كتاب الخصال، تقديم وتعليق عبد الحميد العلمي، مطبعة فضالة، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط(٢٠٠٥م).

١٣. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، المحلى، دار

الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج١١.

١٤. أبو مطرف عبد الرحمن بن قاسم الشعبي المالقي(٤٠٢-٤٩٧هـ/١٠١١-١١٠٤م)، الأحكام، تحقيق الصادق الحلوي، دار صادر، بيروت، ط٢(٢٠١١م).

١٥. الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، (د.ت)، ج٧.

١٦. الإمام زين العابدين إبراهيم بن محمد الحنفي، البحر الرائق، تحقيق الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١(١٩٩٧م)، ج ٢.

١٧. الإمام ضياء الدين أبي السعادات ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد. دار الفكر، بيروت، ط(١٩٧٩م)، باب الجيم مع الهاء، ج ١.

١٨. الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد الحنبلي، المغني، دار الفكر، بيروت، ط١(١٩٨٤م)، ج ٨.

١٩. الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، (د.ت): ، ج ٢.

٢٠. الإمام محمد بن إدريس الشافعي، الأم، تحقيق محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت، ط٣، (د.ت)، ج٦.

٢١. البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت٨٤٤هـ/١٤٤٠م)، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١(٢٠٠٢م)، ج٢.

٢٢. الترمذي، الإمام الحافظ محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ضبط وفهرسة: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط(١٩٩٦م).

٢٣. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر(ت٤٨٨ هـ/١٠٩٥م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، تحقيق صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ (٢٠٠٤م).

٢٤. الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس(ت ٤٠٤هـ/١٠١٤م)، التصريف لمن عجز عن التأليف في التداوي بالأعمال بالأيدي مع أشكال الجراحة، طبع تحت إدارة قطب الدين أحمد، مطبع نامي، ط(١٩٠٨م)

٢٥. السقطي، أبو عبد الله محمد بن محمد، كتاب في آداب الحسبة، نشره جورج كولان وليفي بروفنسال، تقديم حسن حافظي علوي، المطبعة الأمنية، الرباط، ط٢ (٢٠١١م).

٢٦. المازوني أبو زكريا يحي بن موسى المغيلي (ت٩٠٩هـ/١٥٠٣م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، تحقيق مختار حساني، مراجعة مالك كرشوش الزواوي، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط(٢٠٠٩م)، ج٢.

٢٧. محمد بن عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت (١٩٩٠م، ج١.

٢٨. الونشريسي أحمد بن يحي(ت٩١٤هـ/١٥٠٨م)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تحت إشراف محمد الحجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨١م) ج٩.

٢٩. يحي بن عمر، أبو زكريا الكناني الأندلسي(٢٨٩هـ/٩٠١م)، أحكام السوق، تحقيق ودراسة إسماعيل خالدي، دار ابن حزم، بيروت، ط١ (٢٠١١م).

المراجع:

٣٠. إبراهيم بن محمد قاسم بن محمد رحيم، أحكام الإجهاض في الفقه الإسلامي، سلسلة إصدارات الحكمة، العدد١٣، ط١ (٢٠٠٢م).

٣١. اسنيتو محمد، الفقر والفقراء في مغرب القرنين ١٦-١٧م، مؤسسة النخلة للكتاب، وجدة، ط١ (٢٠٠٤م).

٣٢. بشار شعلان عمر التميمي، ظاهرة الإجهاض بين الحكم الفقهي والضرر الاجتماعي والتربوي، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ٦، العدد١.

٣٣. حداد فريد، الزهراوي جراح العرب الأعظم، مجلة العلوم، العدد الثاني، مصر، (١٩٦٧م)

٣٤. حميدان زهير، الأعلام، مطبعة دمشق، ط(١٩٩٦م)، م٥.

٣٥. الخطابي محمد العربي، الطب والأطباء في الأندلس دراسة تراجم ونصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت (د.ت)، ج١.

٣٦. السامرائي كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد(د.ت)، ج٢.

٣٧. الشيخ علاء الدين زعتري، مقاصد الشريعة ودورها في الحفاظ على حقوق الطفل، بحث مقدم إلى مؤتمر كلية الشريعة بدمشق، ٩-١٠ رجب ١٤٢٩هـ/١٢-١٣ تموز ٢٠٠٨م.

٣٨. الطب الشرعي والسموميات تأليف مجموعة أساتذة الطب الشرعي في كليات الطب في الجامعات العربية، طبع في الإسكندرية بمصر، ط(١٩٩٣م).

٣٩. عبد الملك سلاطنية، عبد الحميد حراويية، ساجية حماني، تاريخ النظم في الحضارات القديمة وأثرها على التشريعات والمواثيق الدولية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة(الجزائر)، ط(٢٠٠٧م)

٤٠. القادري إبراهيم بوتشيش، المغرب والاندلس في عصر المرابطين(المجتمع- الذهنيات-الاولياء)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط(١٩٩٣م).

٤١. محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ط٢(١٩٩٤م).

٤٢. محمد سعيد رمضان البوطي، مسألة تحديد النسل وقايةً وعلاجاً، الوكالة العامة للنشر والتوزيع، بيروت، ط٢(د.ت).



المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج[1]
Robert Brunschvig
وآثاره
(١٩٠١- ١٩٩٠م)

عبد الواحد جهداني
مركز سوس للحضارة والتنمية
جامعة ابن زهر
أكادير/ المغرب

المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج

يعد روبير برنشفيج من ألمع المستشرقين الفرنسيين أواخر القرن العشرين الميلادي. وإذ كان البعض في عالمنا العربي يصنف برنشفيج ضمن " أبرز المؤرخين الفرنسيين المختصين في تاريخ العالم الإسلامي بوجه عام، والمغرب العربي بوجه خاص"[2]، فإن ذلك يقدم صورة مغلوطة عن هذا الباحث الذي كانت له اهتمامات بالتاريخ في بداية حياته العلمية، ولكنه برز وتخصص واستقر به البحث في مجال دراسات الفقه وأصوله[3].

والسبب الذي جعل البعض – في عالمنا العربي - يعد برنشفيج "من أبرز المؤرخين"، يرجع في نظرنا إلى أمرين:

- **الأول:** هو أنهم اطلعوا فقط على مساره العلمي في بداية حياته العلمية، وبخاصة على رسالته للدكتوراه؛ حيث كان برنشفيج مهتمًا بتاريخ الغرب الإسلامي، وفي هذا الإطار أنجز أطروحته للدكتوراه عن "تاريخ إفريقية في العهد الحفصي".

- **الثاني:** وهو في نظرنا السبب الرئيس لهذه الصورة المغلوطة عن هذا المستشرق. فأعمال برنشفيج - في عالمنا العربي- ما زالت مجهولة إلى يومنا هذا، والقارئ العربي لا يعرف عنها شيئًا. كما أن ترجمة رسالته "تاريخ إفريقية في العهد الحفصي" إلى اللغة العربية دون سواها من مقالاته وأبحاثه ساهم بشكل بارز في إعطاء وترسيخ هذه الصورة عن هذا المستشرق.

وكما سيتبين للقارئ، من خلال هذا البحث، فإن المسار العلمي لبرنشفيج سيأخذ وجهة أخرى، وبها سيعرف في الأوساط الاستشراقية الفرنسية

والغربية، ألا وهي اهتماماته وبحوثه النوعية في مجال الدراسات الفقهية والأصولية. كما أن أطروحته وعلى الرغم من كونه أنجزها في بداية مساره العلمي، اتسمت كما أشار أحد الباحثين بالتحليل العميق، وتميزت بالجدية من جانبين:

- من جهة أنها دلت على اهتمام برنشفيج بالفقه الإسلامي، وبدقائق مذاهبه.

- ومن جهة اهتمامه أيضًا بإشكاليات الفقه وتطبيقاته(٤).

والمطلع على أطروحة برنشفيج، التي تندرج في الحقيقة ضمن التاريخ العام (السياسي والفكري والديني والاجتماعي) يلحظ أن الجانب الفقهي هو الآخر حاضر بصورة بارزة في جل مباحث أطروحته: القضاء والشعائر الدينية، النظام العقاري، الإنتاج ونظامه وفنونه (المزارع والعقود الزراعية)، المذهب المالكي، التعليم والمكتبات...

نبذة من حياته ومساره العلمي :

ولد روبير برنشفيج سنة ١٩٠١م بمدينة بوردو الفرنسية لأسرة يهودية استقرت بمنطقة الألزاس- لورين بفرنسا ابتداء من سنة ١٨٧١م. تعرض برنشفيج للنفي مع أسرته خلال الاحتلال الألماني النازي لفرنسا؛ حيث توفي كل من والده ووالدته وأخته خلال هذا النفي. وبعد دراسته للغات القديمة بالمدرسة العليا للمعلمين بباريس، حصل برنشفيج على شهادة التبريز في نحو اللغة اللاتينية، ثم عُيّن أستاذا للغة الفرنسية بإحدى الثانويات بتونس العاصمة خلال الفترة الممتدة من سنة ١٩٢٢ حتى سنة ١٩٣٠م.

اشتغل برنشفيج خلال وجوده بتونس (إفريقية) بتاريخها، وتمكن كذلك من أن يتقن العربية، ولقد ساعده على ذلك المستشرق الفرنسي المشهور وليام مارسيWilliam Marçais (٥)، الذي كان يَشغلُ مدير مدرسة اللغة والآداب العربية بتونس، كما وطد برنشفيج علاقاته مع أعلام تونس، وبخاصة السيد حسن حسني عبد الوهاب(٦).ولقد أثمرت هذه الفترة من الناحية العلمية، أبحاثًا حول تاريخ تونس، خاصة خلال الفترة الحفصية، نشرها في مجلتي "المجلة التونسية Revue Tunisienne "(٧) و " المجلة الإفريقية Revue Africaine "(٨).

وابتداء من سنة ١٩٢٩م، أصبح برنشفيج مديرًا للمجلة التونسية، وبعد حصوله على دبلوم اللغة العربية من معهد اللغات الشرقية بباريس (١٩٣١-١٩٣٢م)، عُين مُدرسًا بجامعة الجزائر خلفًا للمستشرق ليفي بروفنسال Lévi Provençal (٩) الذي انتقل إلى المغرب الأقصى. وخلال هذه المرحلة (١٩٣٢-١٩٤٦م)، سيتابع أبحاثه التاريخية التي ستُتَوَّجُ بنشره سنة ١٩٣٦م لأطروحته الفرعية "رحلتان إلى إفريقيا الشمالية في القرن الخامس عشر لم يسبق نشرهما: رحلة عبد الباسط بن خليل(١٠) ورحلة أنسلم أدورن" (١١)، (١٢) وأطروحته الرئيسية سنة ١٩٤٠م " بلاد البربر الشرقية أثناء حكم الدولة الحفصية:(١٣) من بدايتها حتى نهاية القرن الخامس عشر".(١٤) ويعد هذا العمل، بحسب عبد الرحمن بدوي، أوج إنتاج برنشفيج في هذه المرحلة الأولى من حياته العلمية.(١٥)

بعد سنة كاملة قضاها برنشفيج مدرسًا في إحدى الثانويات بفرنسا، عاد من جديد إلى بلاد الغرب الإسلامي سنة ١٩٣٢م ليصبح أستاذًا للحضارة الإسلامية بالجزائر(١٩٣٢-١٩٤٦م). وخلال هذه الفترة، بدأت اهتماماته تمس جوانب أخرى من الحضارة الإسلامية: الفقه وأصوله.

في فرنسا، ومن خلال جامعاتها، تبدأ المرحلة الثالثة من حياة برنشفيج العلمية، والتي ستبرز فيها شخصيته كباحث في الدراسات الإسلامية. فبعد نهاية الحرب "الغربية"[16] الثانية، عاد برنشفيج للتدريس بالجامعة الفرنسية؛ حيث شغل - من سنة ١٩٤٧ إلى سنة ١٩٥٥م - منصب أستاذ تاريخ الحضارة الإسلامية بجامعة بوردو – مسقط رأسه –التي كانت أهم جامعة للدراسات العربية والإسلامية في فرنسا بعد جامعة السوربون بباريس.

بعد أن قضى برنشفيج ثماني سنوات بجامعة بوردو، انتقل إلى باريس؛ حيث شغل أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة السوربون حتى تقاعده سنة ١٩٦٨م ، كما أصبح مديرًا لمعهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس الثالثة (السوربون الجديدة) من سنة ١٩٦٥ إلى سنة ١٩٦٨م.

روبير برنشفيج والدراسات الأصولية:

على الرغم من أن أهم عمل علمي أنجزه برنشفيج في حياته العلمية هي رسالته حول "تاريخ إفريقية"، فإن مساره بعد هذه الرسالة سيأخذ منحى آخر؛ حيث سيرتبط اسمه في دوائر الاستشراق الغربي عامة، والفرنسي خاصة بالبحث والتدريس في مجال الفقه والأصول. فحينما يذكر اسم أصول الفقه بالجامعة الفرنسية يتبادر إلى الذهن مباشرة اسم روبير برنشفيج.

ومن المعلوم أن الاهتمام بالفقه الإسلامي وبتدريسه في فرنسا، وخصوصًا الفقه المالكي، قد تزايد منذ نهاية القرن ١٩م؛ أي بعد بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠م؛ وذلك بسبب ارتباط سلطة الاحتلال بالمعرفة الاستشراقية. وضمن الوجوه الاستشراقية البارزة خلال هذه الفترة نذكر ميليو (١٨٨٥-١٩٦١م)[17]، وليون برشي (١٨٨٩-١٩٥٥ م)[18]، وبوسكي (١٩٠٠ - ١٩٧٨م)[19]، وغيرهم. وإذا كان هذا الاهتمام المعرفي- السلطوي منصبًا على الفقه؛ فذلك نظرًا لاحتياجات السلطة الإمبريالية الفرنسية الحاكمة لبلدان المسلمين إليه؛ لتسيير الأمور القضائية والإدارية والحياتية.

وإذا كانت مقاربة هنري لاوست للإسلام وحضارته تعد متقدمة على ما سبقها،[20] خصوصًا مقاربة شيخ الاستشراق الفرنسي لويس ماسينيون[21] التي ركزت على العناصر الهامشية في الفكر والحضارة الإسلامية بعدها تمثيلاً لهذا الدين ولهذه الحضارة، فمع روبير برنشفيج ننتقل إلى مرحلة أخرى أكثر وضوحًا ودقة، مفادها: إن الباحث(المستشرق) ليخطئ حينما يريد أن يستكشف الفكر الحقيقي لإسلام القرون "الوسطى"[22]، من خلال المصنفات الفلسفية. إن هذا الفكر الحقيقي يمكن استكشافه من خلال مصنفات أصول الفقه.[23]

ولقد لاحظ برنشفيج في مقدمة مقالته " قيمة

وأساس القياس الفقهي عند الغزالي " ضعف اهتمام المستشرقين بمجال أصول الفقه فكتب يقول: " لقد شكل الاستدلال بالقياس - خصوصًا في مجال التشريع الإسلامي الواسع - أحد أهم المواضيع التي تناولها الغزالي باستمرار طوال حياته الفكرية الخصبة (ولد سنة ١٠٥٨م، وتوفي سنة١١١١م). غير أن انبهار الباحثين [المستشرقين] المعاصرين بجوانب أخرى من هذه الشخصية الثرية، جعلهم إلى يومنا هذا لا يهتمون بهذا الموضوع"[٢٤].

وبما أن الدخول إلى عالم أصول الفقه ليس بالأمر السهل للقادم من غير لغة الضاد، فقد كان برنشفيج يشعر بصعوبة المهمة، وأكثر من ذلك، صعوبة إفهام المتلقي الغربي، حتى المتخصص منه، للإشكاليات المدروسة، ولهذا ختم برنشفيج مقالته السالفة الذكر بهذا التمني " لقد كان الغزالي على وعي بصعوبة المهمة، و حينما نرغب مثله في تعميق البحث، على الرغم أنه لم يكن مقتنعًا أن أي قارئ يمكنه أن يفهمه حقًا. نتمنى فقط فيما يخصنا أن لا يشملنا الإنذار الساخر الذي صدر به كتابه " شفاء الغليل": فأما الجامد البليد، فهو عن مقصد هذا الكتاب بعيد "[٢٥].

وبحكم أن أبحاث برنشفيج تتصل بالفقه والتشريع، فقد قاده ذلك، بحكم ثقافته المتعددة، إلى القيام بالدراسات المقارنة وتلمس أوجه الشبه أو الاختلاف بين النظام الإسلامي في جانبه الفقهي والقانون الروماني، واليهودية من جهة أخرى.[٢٦] ففي بحثه حول الهبة، على سبيل المثال، انطلق برنشفيج من فرضية وجود تشابه نسبي بين الفقه الإسلامي والقانون الروماني في هذه المسألة، غير أن بحثه المتعمق قاده إلى اكتشاف خلافات جوهرية بينهما، مما جعله يستبعد أي إمكانية لتأثير أحدهما على الآخر.[٢٧] ولقد كانت مقاربة برنشفيج لهذا الموضوع تختلف عن مقاربات من سبقوه، بحكم موضوعيته وبحكم اطلاعه وعمق فهمه. ويشير عبد الرحمن بدوي إلى ما تميزت به منهجية برنشفيج في الدراسات المقارنة، مقارنة مع أبحاث جولدتسيهر - التي كان ينطلق فيها أن التشريعات الإسلامية ليست سوى نسخة لشريعة اليهود -، فيقول في حق أبحاث برنشفيج: " كما أن لها فضلاً آخر هو البعد عن تلمس الأشياء والنظائر في الأديان الأخرى وبخاصة اليهودية، كما أسرف في هذا الأمر جولدتسيهر. صحيح أنه يشير أحيانًا إلى نظائر في "التلمود"، ولكنه يسوقها باحتياط شديد ولا يتحدث أبدًا عن تأثير وتأثر مثلما بالغ في هذا كثير من المستشرقين اليهود مثل جولدتسيهر، وساتتلانا ممن عنوا بالكتابة عن الفقه الإسلامي"[٢٨].

لقد كان اهتمام برنشفيج بعلم أصول الفقه، وهو الذي أنجز أطروحته في التاريخ، نابعًا من اعتقاده بمركزية وأهمية أصول الفقه، وتفرُّدِ إبداع العقلية الإسلامية به عن باقي الحضارات والأديان. وفي هذا المجال، تكمن أهمية مقاربة برنشفيج على صعيد الدراسات الاستشراقية بفرنسا. هذه المقاربة جعلت من برنشفيج، وبدون منازع، رائد الدراسات الأصولية بالجامعات الفرنسية، فهو الوحيد، - على حد علمنا - من بين مستشرقي فرنسا خلال النصف الثاني من القرن

العشرين الذي اقتحم عالم أصول الفقه تدريسًا، إضافة إلى أبحاثه الفقهية والأصولية. كما كان برنشفيج يرى أن أصول الدين وأصول الفقه علمان متلازمان، فحاول أن يبرهن على ذلك من الناحية النظرية والعملية، ولهذا نجده يربط بينهما في بعض مقالاته.

ومن بين تلامذته الذين تخرجوا على يديه وحاولوا استكمال مشروعه التأسيسي للدراسات الأصولية بفرنسا نذكر كلاً من عبد المجيد تركي،[٢٩] وماري برنان Marie Bemand،[٣٠] اللذين التحقا بمجال البحث العلمي بالمركز الوطني للبحث العلمي (Centre National de la Recherche Scientifique) وليس بالجامعات للتدريس، ومن ثم انصرفا بحكم وظيفتهما إلى البحث بنشر المقالات وتحقيق النصوص، ولهذا انقطع تدريس علم أصول الفقه في الجامعات الفرنسية منذ تقاعد برنشفيج عن العمل سنة ١٩٦٨م إلى يومنا هذا.

روبير برنشفيج ومجلة "دراسات إسلامية Studia Islamica"

كان من ثمرات هذا الاهتمام الذي أطلقه روبير برنشفيج بالدراسات الفقهية والأصولية في فرنسا إصدار مجلة: "دراسات إسلامية"،[٣١] أهم مجلة متخصصة بالدراسات الإسلامية أصدرها المستشرقون الفرنسيون خلال القرن الماضي. ففي نونبر ١٩٥٣م أصدر برنشفيج رفقة المستشرق الألماني المشهور، والمتخصص في الدراسات الفقهية والأصولية، يوسف شاخت[٣٢]، بباريس العدد الأول من هذه المجلة، والتي سيكتب فيها جل المستشرقين الغربيين مثل: هاملتون جب،[٣٣] ومونتجمري وات،[٣٤] وممن كتب فيها الشهيد إسماعيل الفاروقي - رحمه الله -. ومن مميزات هذه المجلة أن الأبحاث حول الفقه والأصول احتلت فيها مكانة متميزة. وحينما توفي شاخت سنة ١٩٦٩م، أخذ برنشفيج على عاتقه مسؤولية إدارة ورئاسة المجلة لمدة سنة ١٩٧٠م (الأعداد٣١-٣٢). وابتداء من العدد ٣٣، شاركه في رئاسة التحرير المستشرق النمساوي جرنبوم،[٣٥] لمدة سنة ونصف (الأعداد ٣٣-٣٥). وسيبقى برنشفيج وحده على رئاسة المجلة حوالي سنتين (الأعداد ٣٦-٤٠)؛ ليظهر بعد ذلك اسم المستشرق البريطاني أبراهام يودوفيتش[٣٦]؛ حيث سيشارك في رئاسة تحرير المجلة صحبة برنشفيج، حتى سنة ١٩٧٥م؛ حيث سيخلفه تلميذه عبد المجيد تركي ابتداء من العدد ٤٤ (سنة ١٩٧٦م).

ومن المهام العلمية الأخرى التي تقلدها روبير برنشفيج أنه كان عضوًا في الأكاديمية البريطانية بلندن، والأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد (إسبانيا)، وأكاديمية دي لينشي بروما Accademia dei Lincei (إيطاليا). كما أنه أول حائز على الجائزة الدولية لليفي ديلا فيدا Levi Della Vida سنة ١٩٦٧م.[٣٧]

وفاته:

على الرغم من تقاعده سنة ١٩٦٨م، ظل برنشفيج يشرف على مجلة دراسات إسلامية حتى نهاية سنة ١٩٧٥م، ويتابع نشر أبحاثه حتى سنة ١٩٨٣م؛ حيث نشر فيها آخر بحثه. توفي

روبير برنشفيج بضواحي مدينة باريس يوم الجمعة ١٦ فبراير ١٩٩٠م.

خــلاصة:

يختم عبد الرحمن بدوي – رحمه الله – ما كتبه عن برنشفيج في موسوعته، على الرغم من نقده اللاذع لجل المستشرقين – بهذه الكلمات: "هذا الإنتاج العلمي، وإن لم يكن غزيرًا، فإنه يكشف عن علم وفير، متعدد الجوانب، محكم المنهج، وإن لم نعثر فيه كثيرًا على آراء فذة تبهر العقل، أو نظرات واسعة تشمل آفاقًا عريضة في الحضارة الإسلامية، فإنه يتناول بالتحليل العميق مشاكل كثيرة، خصوصًا في ميدان أصول الفقه وعلم الكلام...ولا تكشف أبحاث برنشفيج عن أي تعصب ديني أو تحيز لتراث قومه، بل على العكس تمامًا نجد فيها موضوعية صريحة وإنصافًا كبيرًا للحضارة الإسلامية وللفكر الإسلامي في الفقه وأصول الدين "[٣٨].

نتفق مع بدوي في موضوعية برنشفيج، وفي علمه الغزير، ودقة فهمه لقضايا شائكة في أصول الفقه وأصوله، ولكننا نختلف معه ـ رحمه الله ـ في القيمة العلمية لأبحاث روبير برنشفيج. فبالإضافة إلى المنهج المحكم والتحليل العميق، فقد كان برنشفيج رائدًا في الدراسات الأصولية؛ حيث طرق مجالاً صعبًا لم يسبق إليه من قبل في مجال الدراسات الاستشراقية بفرنسا. وعلم أصول الفقه، بحكم كونه علما منهجيا بامتياز، فإنه يتطلب قدرة فائقة على الاستيعاب والتحليل، وهذا لا يتأتى إلا لمن تمكن من حذق اللغة وتعمق في أسرارها. وككل رائد، تبقى مساهمات برنشفيج في الدراسات الاستشراقية لبنة أساسية في تطور الدراسات الأصولية في الغرب.

يختم المستشرق الألماني البارز بابر يوهانسن Baber JOHANSEN مقالته عن برنشفيك بدائرة المعارف العالمية بقوله: لم يترك برنشفيك عملاً هامًا فقط، وإنما طور المعايير التي عن طريقها يمكننا أن نحكم بالنجاح أو الفشل على الدراسات الإسلامية بكونها علمًا لحضارة ودين.[٣٩]

وأخيرًا، فإننا نعتقد أن المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج قد قدم خدمات جليلة للدراسات الإسلامية بفرنسا، وأبرز بوضوح قيمة المنظومة الفقهية والأصولية في الحضارة الإسلامية، ونعده رائدًا بلا منازع للدراسات الأصولية بفرنسا حتى يومنا هذا. ولكن أعماله للأسف لم تجد من يسير على دربها ويطورها، بل ظهر في فرنسا مستشرقون "عرب"، أقل معرفة بالتراث الإسلامي من المستشرقين أنفسهم، أعادوا الدراسات الاستشراقية إلى جُبِّ الرؤية المعرفية الغربية القائمة على مركزية الغرب حضاريًا، وعلى وجوب اتباعه معرفيًا ومنهجيًا.

مسرد لإنتاجات برنشفيج :[٤٠]

١. التاريخ الفكري والحضاري:

- خليفة حفصي مجهول، المجلة التونسية،١٩٣٠م ، ١ (٣٨-٤٨).
- ملاحظات تاريخية حول المدارس في تونس، المجلة التونسية،١٩٣١م، ٢ (٦١-٨٥).
- نبذة حول معاهدة بين تونس والامبراطور فرديريك الثاني، المجلة التونسية،١٩٣٢م.

- ابن الشماع،[41] مؤرخ حفصي، حوليات معهد الدراسات الشرقية، الجزائر، ١٩٣٤-١٩٣٥م.
- من مظاهر الأدب التاريخي - الجغرافي في الإسلام، ضمن الأعمال المهداة لغودفري ديمومبين،[42] القاهرة، ١٩٣٥م-٤٥، (١٤٧-١٥٨).
- وثائق غير منشورة حول العلاقات بين بلاط أراغون و إفريقية الشرقية، حوليات معهد الدراسات الشرقية (الجزائر)، ١٩٣٦م.
- ليون الإفريقي ومصب الشلف، المجلة الإفريقية، الجزائر، ١٩٣٦م.
- وثيقة حول أميرة حفصية أواخر القرن ١٦م، المجلة الإفريقية، الجزائر، ١٩٣٧م، ١ (٨١-٩٢).
- نظم الشعر العربي الكلاسيكي، محاولة لطريقة جديدة، المجلة الإفريقية، الجزائر، ١٩٣٧م، ٣-٢ (١-٢٠).
- دينار حفصي غير معروف، نشرة الجمعية التاريخية لمنطقة صطيف، الجزائر، ١٩٤١م، (١٧٩-١٨٢).
- ابن عبد الحكم وفتوح إفريقيا الشمالية: دراسة نقدية، حوليات معهد الدراسات الشرقية، ١٩٤٢-١٩٤٧م، ٥ (١١٠-١٥٥).
- حول بناء جملة الشهادة، نشرة الدراسات العربية (الجزائر)، ١٩٤٤م، (١٣٨).
- نص عربي من القرن ٩ م [٣ هـ] عن فزان،[43] المجلة الإفريقية، ١٩٤٥م، (٢١-٢٥).
- تونس أوئل القرون الوسطى،القاهرة، ١٩٤٨م، ٢٦ ص. [محاضرة ألقيت بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية].
- تونس في القرون الوسطى، ضمن كتاب "التعريف بتونس"، باريس، ١٩٥٠، (٧٣-٩٧).
- موجز تاريخ النقد خلال العصر الموحدي- الحفصي، ضمن "الأعمال المهداة لوليام مارسي"، باريس، ١٩٥٠م، (٦٣-٨٨).
- لمحة خاطفة عن تاريخ المعارض في الإسلام من خلال تاريخ الإسلام، ضمن " مجاميع جمعية جان بودان"، بريكسل، ١٩٥٣م، ٥ (٤٣-٧٤).
- مجرد ملاحظات سلبية بسيطة حول معجم القرآن،[44] دراسات إسلامية، ١٩٥٦م، ٥ (١٩-٣٢).[45]
- المهن الزرية في الإسلام، دراسات إسلامية، ١٩٦٢م، ١٦ (٤١-٦٠).
- كمل باشا زاده والفارسية، ضمن مجاميع ماسي، طهران، ١٩٦٣م، (٤٨-٦٤).
- الحلل الموشية: غرناطة والمغرب المريني، ضمن " دراسات عربية وإسلامية مهداة لهملتون جب"[46]، ليدن، ١٩٦٥م، (١٤٧-١٥٥).
- الاعتزال والأشعرية في بغداد، مجلة

المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج

أربيكا،[47] العدد الخاص بمناسبة مرور ١٢٠٠ سنة على تأسيس بغداد، ١٩٦٢م، ٩ (٣٤٥-٣٥٦).

- مشكلة الانحطاط ضمن ندوة" المحافظة والتدهور الثقافي في تاريخ الإسلام"، بوردو، ٢٥-٢٩ يونيو ١٩٥٦م، (٢٩-٥١).

- الاعتزال والقول بالأصلح، دراسات إسلامية، ١٩٧٤م، ٣٩(٥-٢٣).

- تحليل اعتزالي لمعنى الألم، ضمن "الأعمال المهداة لأرمن أبل[48] من طرف زملاءه وتلامذته و أصدقائه" ، ليدن، ١٩٧٤م، (٧٤-٨٣).

- احتجاج أحد المتكلمين المسلمين في القرن العاشر الميلادي[الرابع الهجري] ضد اليهودية، ضمن الأعمال المهداة إلى ميلاش فاليكروزا،[49] برشلونة، ١٩٥٤م، ٢٢٥/١-٢٤١.

- حول عقيدة المهدي بن تومرت، مجلة أربيكا، ١٩٥٥م، ٢ (١٣٧-١٤٩).[50]

- من جديد حول عقيدة المهدي بن تومرت، أوراق شرقية، ١٩٧٠م، ١٢ (٣٣-٤٠).

- الإسلام الكلاسيكي والرأسمالية، ضمن مؤتمر عقد بمعهد الدراسات الإسلامية، باريس، ١٩٦٠م (غير منشور).

- وضعية الدراسات الإسلامية، ضمن : أعمال ندوة علم الاجتماع الإسلامي، مراسلات الشرق، بروكسل، ١٩٦٢م، ٥ (٧٥-٨٣).

- الإسلام كما يُدرّسُه حامد بن الصديق الهرري (ق١٨م)، ضمن أعمال مؤتمر "مشكلات معاصرة في العلوم والثقافة" ، المؤتمر الدولي الخامس للدراسات الحبشية، روما، ١٩٧٤م، ٤٤٥/١-٤٥٤.

- رسالة الخليفة الحفصي عثمان إلى دوق ميلانو (١٤٧٦)، كراسات تونسية، ١٩٧٨م، ٢٦ (٢٧-٣٤).

- الرخاء المغشوش: مكر الله و الاستدراج، دراسات إسلامية، ١٩٨٣م، ٥٨(٥-٣٢).

٢. الفقه والأصول

- مقاييس الوزن في تونس خلال القرون الوسطى، المجلة الإفريقية (الجزائر)، ١٩٣٥م، ٣-٤ (٨٦-٩٦).

- حول المِلْكِية في تاريخ الفقه الإسلامي (المذهب المالكي)، المجلة الجزائرية للتشريع، ١٩٣٦م، (٣٣-٤٠).

- حول مقاييس الوزن التونسية بداية القرن ١٧م، حوليات معهد الدراسات الشرقية (الجزائر)، ١٩٣٧م، (٧٤-٨٧).

- مساهمة في تاريخ عقد الخماسة بشمال إفريقيا، المجلة الجزائرية للتشريع، فبراير، ١٩٣٨م، (١- ٥).

- كتاب الأمر والنهي للمزني، مجلة دراسات شرقية للمعهد الفرنسي بدمشق، ١٩٤٥-١٩٤٦م، ١١ (١٤٥-١٦٩).

- عُمران القرون الوسطى والفقه الإسلامي، مجلة

دراسات إسلامية،١٩٤٧م،(١٢٧-١٥٥).

- النظرية العامة للكفاءة عند الفقهاء الأحناف في القرون الوسطى، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الحادي عشر للمستشرقين بباريس ١٩٤٨/٧/٢٦م، ونشرت ضمن مجاميع " فردنان فيشر ١٩٤٩م"، وكذلك بمجلة تاريخ القانون القديم،١٩٤٩م، ٢ (١٥٧-١٧٢).
- نظام مواريث غير معروف في الفقه الإسلامي، مجلة تاريخ القانون الفرنسي والأجنبي، ١٩٥٠م، (٢٣-٣٤).
- جدل في العصور الوسطى حول مذهب الإمام مالك، مجلة الأندلس، ١٩٥٠م، ١٥ (٣٧٧-٤٣٥).
- امتلاك الهبة أو الوصية في الفقه الإسلامي الكلاسيكي، ضمن: حوليات الأكاديمية الدولية للقانون المقارن، لندن، ١٩٥٣م، (١٨ص).
- الإستنجاء، مجلة الأندلس، ١٩٥٣م، ١٨ (٢٠٧-٢٠٨).
- آفاق (البحث في الدراسات الإسلامية)، درسات إسلامية، ١٩٥٣م، ١ (٥-٢١).[٥١]
- تأملات اجتماعية في الفقه الإسلامي القديم، ورقة مقدمة إلى المؤتمر الدولي ٢٣ للمستشرقين بكمبريدج ١٩٥٤/٨/٢٨م، ونشرت في مجلة: دراسات إسلامية، ١٩٥٥م، ٣(٦١-٧٣).
- الركوع أمام السلاطين وعقيدة الإسلام، ضمن الندوة الدولية لتاريخ الأديان، روما، ١٩٥٥م، (٤٣٧- ٤٣٩).
- تنويعات في موضوع الشك في الفقه، ضمن " دراسات شرقية مهداة جورجيو ليفي ديلا فيدا"، روما، ١٩٥٦م، ١/ ٦١-٨٢.
- نسب الأمومة في الفقه الإسلامي، دراسات إسلامية، ١٩٥٨م، ٩(٤٩-٥٩).
- ابن رشد الفقيه، ضمن "دراسات استشراقية مهداة إلى ذاكرة ليفي بروفنسال"، باريس،١٩٦٢م، (٣٥ -٦٨).
- الفقه الفاطمي وتاريخ إفريقية، ضمن "مجاميع تاريخ وآثار الغرب الإسلامي"، ١٣/٢-٢٠، الجزائر، ١٩٥٨م.
- جامع مانع، أربيكا، ١٩٦٢م، ٩ (٧٤-٧٦).
- نظام الإثبات في الفقه الإسلامي، مجاميع جمعية جان بودان، ١٩٦٤م، ١٣(١٦٩-١٨٦).
- الواجب والاستطاعة: تاريخ قضية في أصول الدين، دراسات إسلامية، ١٩٦٤م، ٢٠ (٥-٤٦).
- العدالة الدينية والعدالة العلمانية في تونس زمن الدايات والبايات إلى منتصف القرن ١٩، دراسات إسلامية، ١٩٦٥م، ٢٣ (٢٧-٧٠).
- تصورات حول النقود عند الفقهاء المسلمين(ق ١٣/٨)، مجلة أربيكا، ١٩٦٧م، ١٤ (١١٣-١١٤).
- العين والمثل في الواجب في الفقه الإسلامي، مجلة دراسات إسلامية، ١٩٦٩م، ٢٩ (٨٣

المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج

-١٠٢).

- الافتراض الفقهي في الإسلام الوسيط دراسات إسلامية، ١٩٧٠م، ٣٢ (٤٤-٥١). [عدد خاص حول جوزيف شاخت].

- العبادة والوقت في الإسلام الكلاسيكي، حوليات متحف جيمي، ١٩٧٠م، أبريل - يونيو، (١٨٣ - ٩٣).

- أصول الفقه عند الشيعة الإمامية في مراحلها الأولى (ق ٤ هـ/١٠م- ٥ هـ/١١م)، ضمن كتاب ندوة "التشيع الإمامي" [عقدت الندوة بمدينة ستراسبورغ الفرنسية سنة ١٩٧٠م]، (٢٠١- ٢١٢).

- المنطق والفقه في الإسلام الكلاسيكي، ضمن " المنطق في الثقافة الإسلامية خلال القرون الوسطى"، ١٩٧٠م، (٩-٢٠).

- التأييد أو المعارضة للمنطق اليوناني عند المتكلمين-الفقهاء المسلمين: ابن حزم،الغزالي وابن تيمية، ضمن المؤتمر الدولي الشرق والغرب في القرون الوسطى: الفلسفة والعلوم، روما، ١٩٧١م، (١٨٥- ٢٠٩).

- قيمة وأساس القياس الفقهي عند الغزالي، دراسات إسلامية، ١٩٧١م، ٣٤ (٥٧-٨٨).

- العقل والسمع في القياس الشرعي عند عبد الجبار المعتزلي، مجلة أربيكا، ١٩٧٢م، ١٩ (٢١٣- ٢٢١).

- مذهب القياس الشرعي لدى الحنفي الدبوسي، مجلة الدراسات الشرقية والاسبانية، ١٩٧٤م.

- الهرمينوطيقا في اليهودية والإسلام، أكاديمية دي لنشي الوطنية [روما]، ١٩٧٥م، ٣٠ (١-٢٠).

- استدلال فاطمي ضد القياس الاصولي، ضمن "أبحاث إسلامية: أعمال مهداة إلى الأب قنواتي[٥٢] والأب غاردي"[٥٣]، لوفان [بلجيكا]، ١٩٧٨م .

- مُلاك وكراء العقار في الفقه الإسلامي الوسيط [إلى حدود ١٢٠٠م]، دراسات إسلامية، ١٩٨٠م، ٥٢ (٥-٤٠).

- النذر أو اليمين الفقه المقارن بين اليهودية والإسلام، ضمن كتاب " الأعمال المهداة لجورج فايدا"[٥٤]، ١٩٨٠م، ١٢٥-١٣٤.

٢ـ كتبه المنشورة :

باستثناء أطروحته حول تونس، لم يؤلف برنشفيج كتبًا. وأما ما نشر من كتب باسمه بعد وفاته، فهي في أصلها مقالات قد نشرها برنشفيج في مجالات أكاديمية أو مشاركات في ندوات دولية، جمعت بعد وفاته ونشرت في كتب مستقلة.

١- تاريخ الدولة الحفصية (بالفرنسية)، باريس، ١٩٤٠-١٩٤٧م.[٥٥]

٢- رحلتان إلى شمال إفريقية غير منشورتين: رحلة عبد الباسط بن خليل و رحلة أدورن، باريس، ١٩٣٦م.[٥٦]

٣- دراسات إسلامية،[٥٧] وهو كتاب في جزئين، نشر في باريس سنة ١٩٧٦م، يحتوي على مقالات سبق أن نشرها برنشفيج في مجلات

ومشاركات في ندوات، وجمعها تلميذه عبد المجيد تركي [٤١ مقالة].

٤- دراسات حول الإسلامي الكلاسيكي وإفريقيا الشمالية،(٥٨) وهو عبارة عن كتاب يضم مقالات نشرها برنشفيج في مناسبات مختلفة، جمُعت بعد وفاته في هذا الكتاب.

٤. مقالات في دائرة المعارف الإسلامية:

نشر روبير برنشفيج مجموعة من المقالات في دائـرة المعارف الإسلامية التي ينشرها المستشرقون. من مقالاته: تونس، تونس (العاصمة)، البراءة، عبد، عقيلة، بعل، براءة، بينة.(٥٩)

الحواشي

١ - حول روبير برنشفيج ينظر:

- عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين ٩٢-٩٦.

- نجيب العقيقي، المستشرقون ١/٣١٥- ٣١٦.

-Abdel-Magid Turki, Robert Brunschvig (1901-1990), Studia Islamica, No. 71 (1990), pp. 2-10.

- Dictionnaire des orientalistes de langue française de François, éd . François Pouillon, 156-157.

- Encyclopaedia Judaica 4/1420.

٢ - مقدمة ترجمة: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ٥.

٣ - من خلال مجلة " دراسات إسلامية" التي أسسها برنشفيك سنة ١٩٥٣م، فقد كتب فيها ثمانيَ عشرةَ مقالة، كلها في مجال الفقه وأصوله باستثناء واحدة خاصة بتاريخ تونس.

أما كتاب " دراسات إسلامية"، الذي نشرت فيه أهم مقالات برنشفيك بعد وفاته، فقد توزعت المقالات فيه باعتبار الموضوعات المطروقة فيه كما يلي: الفقه والأصول ١٩ مقالة، الإسلام (بصفة عامة) ١٠، التاريخ ٦، اللغة ٤، ثقافة عامة.

4 - Dictionaries des orientalistes, p.157.

٥ - وليلم مارسي (١٨٧٤-١٩٥٦م) مستشرق فرنسي متخصص باللهجات المغاربية وبالأمازيغية. عين ناظرا لمدرسة تلمسان بالجزائر سنة ١٨٩٨م، ثم مديرًا للمدرسة العليا بالجزائر. تعلم اللغة العربية والأمازيغية. ثم انتقل إلى المدرسة العليا التطبيقية بجامعة السوربون ثم إلى الكوليج دو فرنس سنة ١٩٢٧م. من أهم أعماله ترجمة ديوان أوس بن حجر، وشارك مع المستشرق هوداس في ترجمة صحيح البخاري. موسوعة المستشرقين ٥٤٧.

٦ - حسن حسني عبد الوهاب (١٨٨٤-١٩٦٨م)، علاّمة، بحّاثة، أديب، مفكر ومؤرخ من أشهر رجالات تونس في العصر الحديث ومن أكثرهم خبرة في شؤون التراث العربي الإسلامي وما يتصل به.

٧ - المجلة التونسية مجلة ناطقة باسم معهد قرطاج الذي أنشأه الاحتلال الفرنسي بتونس. تأسست سنة ١٨٩٤م، وكانت تسعى لدراسة المجتمع التونسي من جميع جوانبه: الدينية، والثقافية، والاجتماعية.

٨ - مجلة أصدرتها الجمعية التاريخية الجزائرية التي أسسها المستشرقون الفرنسيون خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر، صدر أول عدد منها سنة ١٨٥٦، وآخر عدد سنة ١٩٦٢م.

٩ - ليفي بروفنسال (١٨٩٤-١٩٥٦م)، المستشرق الفرنسي المشهور والمتخصص في تاريخ الأندلس. ينظر عنه: موسوعة المستشرقين ٥٢٠-٥٢٢.

١٠ - زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفا، غرس الدين خليل بن شاهين الملطي الظاهري الحنفي، قام برحلة إلى بلاد المغرب والأندلس (من سنة ٨٦٦ حتى ٨٧١ هـ/ ١٤٦٥ حتى ١٤٦٧ م).

١١ - أدورن أو أدورنو أنسلم Anselme Adorno : من أثرياء مدينة بريج البلجيكية، قام برحلة قادته إلى القدس (١٤٧٠-١٤٧١م)، زار خلالها تونس والقاهرة ودمشق وبلاد الشام.

12 - Deux récits de voyage inédits en Afrique du Nord au XVe siècle: Abdalbāsit B. khalil et Adorne ; [éd. et trad. par] Robert Brunschvig, Paris, Larose, 1936 .

وأعيد نشر هذا العمل سنة ٢٠٠١م بباريس.

أما رحلة أدرنو فأعيد نشرها سنة ١٩٧٨م بباريس:

Jacques Heers et Georgette deGroer, Itinéraire d'Anselme Adorno en Terre Sainte (1470-1471) Sources d'histoire médiévale publiées par l'Institut de recherche et d'histoire de textes, Editions du CNRS, Paris, 1978.

١٣ - بلاد البربر الشرقية: هو المصطلح الذي استعمله بعض المستشرقين الفرنسيين (ألفرد بيل وغيره) لتسمية تونس في مقابل عروبتها. موسوعة المستشرقين ٩٣.

١٤ - وهي التي نشرت بعنوان: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي.

١٥ - موسوعة المستشرقين ٩٣.

١٦ - أي ما يطلق عليه الغربيون من خلال رؤيتهم المتمركزة حول ذاتهم: " الحرب العالمية".

١٧ - ألكسندر لويس ميليو MILLIOT Louis Alexandre مستشرق فرنسي، أستاذ الفقه الإسلامي بجامعة الجزائر ومدير شؤون "السكان الأصليين" خلال الاحتلال الفرنسي للجزائر. حصل على الإجازة في القانون بالجزائر سنة ١٩٠٥م، وتابع دراسته بباريس فحصل على الدكتوراه سنة ١٩١٩م بموضوع: دراسة لوضعية المرأة المسلمة ببلاد المغرب. وبعدها بسنة ناقش أطروحة أخرى في موضوع: الجمعيات الفلاحية عند مسلمي بلاد المغرب.وفي سنة ١٩١٤م انضم إلى جحافل قواة الاحتلال بالجزائر، ثم عينه الجنرال ليوطي - الحاكم العسكري بالمغرب - نائب مدير الشؤون المدنية ومحاضرا في المدرسة العليا للغة العربية واللهجات البربرية. انتقل ميليو سنة ١٩٢٤م إلى الجزائر، حيث أصبح أستاذ كرسي الشؤون المدنية، وأستاذ التشريع الجزائري والتونسي والمغربي بجامعة الجزائر.وفي سنة ١٩٥٨م أصبح رئيسا للأكاديمية الدولية للقانون المقارن بلاهاي. من أهم مؤلفاته: مجموع الأحكام الشريفية (٣ مجلدات)، وهو عبارة عن الأحكام التي أصدرها مجلس العلماء بالمغرب (١٩٢٠-١٩٢٤م)، والمدخل إلى دراسة الفقه الإسلامي، الذي لا يزال إلى اليوم فريدا في بابه. توفي ميليو سنة ١٩٦١م.

http://lodel.ehess.fr/dictionnairedesorientalistes/document.php?id=168

١٨ - ليون برشي Léon Bercher ضابط مترجم، ومدير للدراسات في معهد الدراسات العليا بتونس. من أعماله ترجمة " الرسالة" لابن ابي زيد القيرواني، و"العاصمية" لابن عاصم المالكي، وكتاب " آداب النكاح" من إحياء علوم الدين للغزالي، و "طوق الحمامة" لابن حزم. توفي سنة ١٩٥٥. موسوعة المستشرقين ٩١.

١٩ - جورج هنري بوسكي BOUSQUET Georges (١٩٠٠-١٩٧٨) ، مستشرق فرنسي متخصص في الفقه الإسلامي. من مؤلفاته: "موجز الفقه الإسلامي"، ألفه سنة ١٩٣٥، و" الأخلاق في الإسلام وأخلاقيات الحياة الجنسية"، أصدره سنة ١٩٥٣.

http://dictionnairedesorientalistes.ehess.fr/document.php?id=122

٢٠ - انظر مقالتنا في هذه السلسة: المستشرق هنري لاوست وأعماله، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ٨٢، صص. ١٦٠-١٧٠، شعبان ١٤٣٤هـ/ يونيو ٢٠١٣م.

٢١ - لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣-١٩٦٢م) من أكبر مستشرقي فرنسا وأشهرهم، تعلّم العربية والتركية والفارسية والألمانية والإنكليزية، وعني بالآثار الإسلامية في بداية نشاطه العلمي، كما اهتم بالنظم الاجتماعية في الإسلام، وبالدراسات الفلسفية والعلمية. واستهوته دراسة المذاهب الهامشية والحركات السرية كالقرامطة والنصيرية والإسماعيلية. درّس في الجامعة المصرية ١٩١٣م، وخدم في الجيش

الفرنسي خمس سنوات خلال الحرب العالمية الأولى. استهواه التصوف الإسلامي فدرس الحلاج دراسة مستفيضة ونشر "ديوان الحلاج" مع ترجمته إلى الفرنسية وكذلك "مصطلحات الصوفية" و"أخبار الحلاج" و"الطواسين"، كما كتب عن ابن سبعين الصوفي الأندلسي. تولى لويس تحرير "مجلة الدراسات الإسلامية" وأصدر بالفرنسية "حوليات العالم الإسلامي" حتى عام ١٩٥٤م. موسوعة المستشرقين ٥٢٩-٥٣٥.

٢٢ - القرون الوسطى، مصطلح غربي، ويستعمله للأسف الكثير من الباحثين العرب للتأريخ لأهم فترات تاريخ وحضارة الإسلام، وهو يعكس التقسيم الغربي لتاريخ البشرية القائم على اعتبار الغرب هو مركز البشرية تاريخًا وحضارة ووجودًا. والقرون الوسطى عند الغربيين هي قرون الجهل والظلام والتخلف، وتبدأ من القرن ٥م وتنتهي بسقوط استانبول في يد المسلمين في القرن ١٥م.

23 - Demeerseman André, Un maître de pensée et son disciple dans '' Etudes d'islamologie', IBLA, 1978, 36, Etudes d'Islamologie 2/200.

24 - Valeur et fondement du raisonnement juridique par analogie d'après Al-Gazālī, Studia Islamica, No. 34 , p. 57.

٢٥ - المرجع السابق ٨٨.

٢٦ - من الأساطير المؤسسة للفكر الاستشراقي القديم هو أن الإسلام أو الفقه الإسلامي ليسا سوى نسخة من أحكام التوراة.

27 - Un maître de pensée et son disciple 45.

أما قليل المعرفة بالإسلام وتراثه، وأصحاب الجهل المركب فيذهبون مذهبًا مغايرًا، فهذا أركون يقول: أقول ذلك وأنا أفكر في اختزال القرآن إلى مجرد المصادر التوراتية والعبرانية. الفكر الأصولي واستحالة التأصيل ٥٣.

٢٨ - موسوعة المستشرقين ٩٦.

٢٩ - باحث فرنسي من أصل تونسي، اشتغل طيلة حياته العلمية باحثًا في المركز الوطني للبحث العلمي. من أعماله ، إضافة إلى مقالاته حول أصول الفقه، تحقيق كتاب " المنهاج في ترتيب الحجاج"، و"إحكام الفصول في أحكام الأصول" للباجي، وكتاب " شرح اللمع " للشيرازي.

٣٠ - ماري برنان (١٩٢٣-١٩٩٣)، باحثة فرنسية من أصل مصري قبطي، عملت باحثة بالمركز الوطني للبحث العلمي، لها مقالات متميزة في أصول الفقه. من مؤلفاتها: " إجماع الأمة أصل من أصول التشريع الإسلامي عند أبي الحسين البصري"، و" مشكلة المعرفة من خلال المغني للقاضي عبد الجبار". حققت كتاب " المغني" (في علم الكلام) للإمام المتولي، و " معرفة الحجج الشرعية " (في أصول الفقه) لأبي اليسر البزدوي. ومن مقالاتها: دليل الخطاب، والبيان عند الأصوليين. وسنفرد لها مقالة خاصة بها في إطار مشروعنا هذا حول المستشرقين المعاصرين.

٣١ - "دراسات إسلامية Studia Islamica"، مجلة فرنسية استشراقية تصدر في باريس بدعم وتمويل من المركز الوطني للبحث العلمي الفرنسي، وتنشرها دار النشر "لاروز Larose". ظهر العدد الأول من هذه المجلة سنة ١٩٥٣م، ثم توالت الإصدارات بعد ذلك، حيث يتم إصدار عددين كل سنة.

٣٢ - يوسف شاخت Josef Schacht (١٩٠٢-١٩٦٩م) مستشرق ألماني، من أهم المستشرقين في القرن العشرين تأثيرًا على الدراسات الاستشراقية وبخاصة في مجال الفقه. ولد في ١٥مارس ١٩٠٢م، درس اللغات الشرقية في جامعة برسلاو وليبتسك، انتدب للعمل في الجامعة المصرية عام ١٩٣٤م لتدريس مادة فقه اللغة العربية واللغة السريانية. شارك في هيئة تحرير دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الثانية. عرف شاخت باهتمامه بالفقه الإسلامي ولكنه صاحب إنتاج في مجال المخطوطات وفي علم الكلام وفي تاريخ العلوم والفلسفة، كما حقق كثيرًا من نصوص الفقه الحنفي. موسوعة المستشرقين ٣٦٦-٣٦٨.

٣٣ - هاملتون جيب Hamilton Gibb (١٨٩٥-١٩٧١م)، مستشرق إنجليزي، ولد في الإسكندرية، ثم انتقل إلى اسكتلندا، حيث التحق بجامعة أدنبرة

المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج

لدارسة اللغات السامية. عمل محاضرًا في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام ١٩٢١ م، وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذًا للغة العربية عام ١٩٣٧ م وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد. انتقل جيب إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد سنة ١٩٥٧ م بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة. من أبرز إنتاج جب (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) (١٩٢٣م) وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام). موسوعة المستشرقين ١٧٤-١٧٥.

٣٤ - مونتجمري وات Montgomery Watt (١٩٠٩-٢٠٠٦ م)، مستشرق أنجليزي، ولد باسكوتلاندا وتوفي بها. درّس في كل من كلية جورج وانسون بإدنبرة وجامعة أدنبره١٩٢٧-١٩٣٠وكلية باليول بأكسفورد ١٩٣٠-١٩٣٣م وجامعة جينا بألمانيا ١٩٣٣وبجامعة أكسفورد. وجامعة أدنبرة في الفترة من ١٩٣٨-١٩٣٩و١٩٤٠-١٩٤٣م على التوالي. عمل راعيًا لعدة كنائس في لندن وفي أدنبره، كما عمل رئيسًا لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من ١٩٤٧-١٩٧٩ م. أصدر العديد من المؤلفات من أشهرها: "محمد في مكة " و "محمد في المدينة " و "محمد نبي ورجل دولة" و" الفلسفة الإسلامية والعقيدة" و" الفكر السياسي الإسلامي" و"تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى". المستشرقون ١٣٢/٢، والاستشراق في السيرة النبوية للنعيمي ٩.

٣٥ - جرونباوم Gustave E Von Grunebaum (١٩٠٩-١٩٧٢ م): مستشرق نمساوي، ولد في فيينا ١٩٠٩ م، وتعلم في مدارسها وفي جامعتها، ثم في جامعة برلين . ولما قامت ألمانيا بضم النمسا هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، لأنه من أسرة يهودية وإن كان قد اعتنق الكاثوليكية وحصل على الجنسية الأمريكية وصار أستاذا في جامعة نيويورك، وفي جامعة شيكاغو ثم صار أستاذًا ورئيسًا لقسم الدراسات الشرقية في جامعة كاليفورنيا واستمر في هذا المنصب حتى وفاته في فبراير ١٩٧٢م. من أهم أعماله : " الإسلام في العصر الوسيط "، وكتاب" مدى الواقع في الشعر العربي الأول "، وهو رسالته للدكتوراه. موسوعة المستشرقين ١٨٢-١٨٣.

٣٦ - أبراهام إيدوفيتش Abraham Udovitch مستشرق بريطاني من أصول يهودية، ولد في بريطانيا. دَرَّس في جامعة كولومبيا و ييل. وعمل أستاذًا مساعدًا في قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة "برنستون" (١٩٦٢-١٩٧٠م)، وتولى رئاسة القسم في الفترة من (١٩٧٣-١٩٧٧م)، وكذلك في الفترة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩٣/١٩٩٤م. وهو عضو مجلس أمناء معهد البحوث الأمريكي في تركيا منذ عام ١٩٦٩م. عمل رئيسا للجنة الدراسات الإسلامية في الجمعية الإستشراقية الأمريكية، محرر مشارك في مجلة الدراسات الإسلامية، يهتم بدراسة الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في التاريخ الإسلامي.

من مؤلفاته: "الشراكة و الربح في إسلام العصر الوسيط". ألف صحبة زوجته الفرنسية لِيسَتْ فالنسي Lucette Valensi كتاب "آخر اليهود العرب: مجتمعات جربة".

http://www.princeton.edu/nes/people/display_person.xml?netid=alud&display=All

٣٧ - جورجيو ليفي دلا فيدا Giorgio Levi Della Vida (١٨٨٦-١٩٦٧م) أهم مستشرق إيطالي خلال القرن الماضي. ينظر حوله: موسوعة المستشرقين ٢٤٦-٢٤٩.

٣٨ - موسوعة المستشرقين ٩٦.

39 - http://www.universalis-edu.com/encyclopedie/robert-brunschvig/

٤٠ - اعتمدنا في هذا المسرد على ما يأتي:-

- مجلة " دراسات إسلامية" Studia Islamica، التي نشر فيها برنشفيج كثيرا من مقالاته.

- لائحة مقالات برنشفيج التي نشرها تلميذه عبد المجيد تركي في مقدمة كتاب: "الدراسات إسلامية" Etudes d'Islamologie، والذي جُمعت فيه بعض

مقالات برنشفيج المنشورة.

- كما اعتمدنا كذلك على المجلات الأخرى التي نشر فيها بعض مقالاته، وعلى مشاركاته في الندوات والأعمال الاستشراقية الجماعية.

٤١ - ابن الشمّاع أو أبو عبد الله محمد بن أبي العبّاس أحمد بن محمد الهنتاني، كان قاضيا في عهد السلطان الحفصي أبي عمرو عثمان، ألف كتاب "الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية" عام ٨٦١ هـ.

٤٢ - غودفري ديمومبين gaudefroy Demombynes (١٨٦٢ - ١٩٥٧م)، مستشرق فرنسي، درّس اللغة العربية بمدرسة اللغات الشرقية، ثم أصبح أستاذًا بجامعة السوربون، ثم عُيِّن في سنة ١٩٢٧م مديرًا لقسم الدراسات الإسلامية بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا. من أهم مؤلفاته: كتاب " النظم الإسلامية"، و " الزواج عند الجزائريين"، وترجم رحلة ابن جبير، وكتاب " محمد". موسوعة المستشرقين ٢٧١-٢٧٢.

٤٣ - فَزَّانُ: بفتح أوله وتشديد ثانيه وآخره نون، منطقة تاريخية في الجنوب الغربي من ليبيا حاليًا. قال عنها ياقوت: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. معجم البلدان ٤/ ٢٦٠.

٤٤ - حاول المؤلف في هذه المقالة أن يدرس معجم القرآن عن طريق العكس، أي البحث عن غير المذكور في القرآن.

٤٥ - تنبيه: حين نقول "دراسات إسلامية ، فنعني بها مجلة " Studia Islamica ، المجلة التي أسسها برنشفيج.

أما حينما نقول "مجلة دراسات إسلامية" ، فنعني بها مجلة "islamiques Revue des Etudes" التي أنشأها لويس ماسينيون سنة ١٩٢٧م (صدور العدد الأول)، ثم ترأسها بعده هنري لاوست، وبعد وفاته ترأسها دومنيك سورديل. توقفت عن الصدور سنة ١٩٩٤م.

٤٦ - هملتون جب Hamilton Gibb (١٨٩٥-١٩٧١م)، مستشرقٌ إنكليزيٌّ، ولد بالإسكندرية، وتخرّج في أدِنْبَرَه، وفي مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن، ثم اشتغل بالتدريس فيها. ونالَ درجة الدكتوراه ببحثٍ عن الفتوحات العربية في آسيا الوسطى، ثم عُيِّن أستاذاً للغة العربية بجامعة أكْسفُورد، ثم انتقل إلى جامعة هَارْفارْد في الولايات المتحدة. اختير عُضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٣٣م. من مُؤلفاته: "دراسات في الأدب العربي"، و"وجهة الإسلام"، و"اتجاهات حديثةٌ في الإسلام ". موسوعة المستشرقين ١٧٤-١٧٥.

٤٧ - مجلة أربيكا Arabica، مجلة استشراقية فرنسية، أسسها ليفي بروفنسال سنة ١٩٥٣م، وتهتم بنشر البحوث والدراسات حول الإسلام وحضارته في مختلف المجالات: الأدب، والتاريخ، والفلسفة، والعلوم الشرعية، وغيرها.

٤٨ - أرمن آبل Armand Abel (١٩٠٣- ١٩٧٣م)، مستشرق بلجيكي، يعد من أهم المستشرقين البلجيكيين. ينظر حوله: موسوعة المستشرقين ١٢-١٣.

٤٩ - ميلاس فايكروزا Millás vallicrosa : مستشرق إسباني (١٨٩٧ - ١٩٧٠م)، له أبحاث في الدراسات العبرية والإسلامية. نشر عددًا من النصوص حول الزراعة لمؤلفين أندلسيين. المستشرقون ٢/ ٢٠٨- ٢٠٩.

٥٠- أعاد نشر هذه المقالة ضمن الأعمال المهداة إلى ذاكرة جولدزيهر، القدس المحتلة،١٩٥٨، ٢/ ١-١٣.

٥١ - المقالة الافتتاحية للعدد الأول من مجلة " دراسات إسلامية".

٥٢ - الأب جورج شحاته قنواتي Anawati (١٩٠٥-١٩٩٤م)، عالم وراهب دومينيكاني. ولد بالإسكندرية، وأصبح راهبا سنة ١٩٣٤م، وانضم إلى الآباء الدومينيكان، حيث ترأس معهد الآباء الدومينيكان، بالقاهرة (١٩٥٣-١٩٨٤م). من أهم مؤلفاته: "دراسات في الفلسفة الإسلامية"، و"ببليوجرافيا ابن سينا".

Dictionnaire des orientalistes , pp.18-19.

٥٣ - لويس غاردي Louis Gardet (١٩٠٤-١٩٨٦م)،

المستشرق الفرنسي روبير برنشفيج

مستشرق فرنسي مسيحي. من مؤلفاته: "حول الفكر الديني لابن سينا"، و"رجال الإسلام"، و"نظرات مسيحية حول الإسلام".

Dictionnaire des orientalistes, pp.421-423.

٥٤ - حول المستشرق الفرنسي جورج فايدا ينظر مقالتنا:

- المستشرق الفرنسي جورج فايدا وآثاره حول التراث الإسلامي، ضمن كتاب " في المخطوطات والتراث : دراسات مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد الستار الحلوجي بمناسبة بلوغه سن السبعين "، ط١ ، القاهرة، مكتبة البخاري ، ١٤٢٩/٢٠٠٨، صص.٣٤٣-٣٦٠.
- أعمال المستشرق جورج فايدا حول التراث الإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراث {الإمارات العربية المتحدة }، صص ٣٧-٥٠، س١٩،ع ٧٤، رجب ١٤٣٢هـ / يونيو ٢٠١١م.

٥٥ - نشر الجزء الأول سنة ١٩٤٠ ، والجزء الثاني سنة ١٩٤٧ ، أي بعد انتهاء الحرب العربية الثانية.

٥٦ - أعيد نشر هذا الكتاب بباريس سنة ٢٠٠١م.

57- Etudes d'Islamologie.

58 - Etudes sur l'Islam classique et l'Afrique du Nord.

٥٩ - للباحثين : من أجل التواصل العلمي، بريدي الإلكتروني: ajahdani@yahoo.fr

المصـادر والمراجع

- تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن١٣م إلى نهاية القرن ١٥م، روبير برنشفيج، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١ ، ١٩٨٨م.
- المستشرقون، نجيب العقيقي، القاهرة، دار المعارف، ط٥، ٢٠٠٦م.
- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي،بيروت، المؤسسة العربية للنشر، ط ٤ ، ٢٠٠٣م.
- Brunchvig Robert , Etudes d'Islamologie, éd. A.TURKI, Maisonneuve, Paris, 1976.
- Dictionnaire des orientalistes de langue française de François, éd. François Pouillon, Paris, IISMM-Karthala, 2008, 1007 p.
- Demeerseman André, Un maître de pensée et son disciple dans " Etudes d'islamologie", IBLA, 1978, 33-58.
- Encyclopaedia Judaica, Keter Publishing House Ltd;1971.n° 141, 1978-1.



دراسة استخدام حسن العطّار للأبيات الشعرية في مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان

د. أيمن ياسين عطعط
إسطنبول - تركيا

يعد الشعر العربي واحدًا من مزايا اللغة العربية العديدة؛ حيث برع العرب بكتابة الشعر منذ عصر الجاهلية وعبر عصر النهضة العربية وصولاً إلى عصرنا الحالي، وقد كان عددٌ من الأطباء العرب مطلعين على الأدب العربي بل إن بعضهم كان يتميز بكتاباته الشعرية؛ حيث احتوت بعضًا من الكتب الطبية على عددٍ من الأبيات الشعرية وإن اختلفت موضوعاتها، ولكنها كانت صفةً لبعض تلك الكتب. ويعد حسن العطّار (١١٨٠ - ١٢٥٠هـ/١٧٦٦ - ١٨٣٥م) واحدًا من أعلام الحضارة العربية الذين تميزوا بالطب والأدب العربي في آن واحد.

غادر الشيخ حسن العطّار القاهرة قاصدًا إسطنبول لدراسة الطب فيها، وبعد عودته من إسطنبول إلى دمشق قام بتأليف مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، وتعرف أيضًا بشرح النُّزْهَة؛ حيث تميزت مقدمة العطّار لهذه المخطوطة باحتوائها على كمٍّ وفيرٍ من الأبيات الشعرية لعدد من الشعراء ومن فترات تاريخية مختلفة.

الهدف من البحث: تهدف هذه المقالة إلى سرد الأبيات الشعرية الواردة في مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان؛ حيث يمكن ملاحظة أن بعض هذه الأبيات كانت من تأليف العطّار نفسه، والبعض الآخر عبارة عن مقتطفات من قصائد لبعض الشعراء العرب الآخرين، ومن ثم سندرس الموضوعات التي تناولتها تلك الأبيات الشعرية، وفتراتها التاريخية، وتوثيق العطّار لقائليها.

الكلمات المفتاحية: حسن العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان (شرح النُّزْهَة)، الأبيات الشعرية في المخطوطات الطبية العربية.

*****



١- حسن العطّار (١١٨٠-١٢٥٠هـ/١٧٦٦-١٨٣٥م)(1): شيخٌ مصريٌ من مشاهير نهايات القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر الميلادي، وهو حسن بن محمد العطّار الشافعي الأزهري المغربي المصري أبو السعادات، عالم وأديب وشاعر مشارك في الأصول والنحو والمعاني والبيان والمنطق والطب والفلك والهندسة، كان أهله من المغرب فانتقلوا إلى مصر وولد في القاهرة ، وكان أبوه عطارًا، أنس منه رغبة في العلم فساعده على تحصيلها فأخذ عن كبار أساتذة الأزهر كالشيخ الأمير والشيخ الصبّان(2).

سافر إلى إسطنبول عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م؛ حيث تعلّم الطب في مدرسة حضرة حكيم باشا، ثم استقر في دمشق عام ١٢٢٥هـ/١٨١٠م؛ حيث ألف مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ومن ثم عاد إلى القاهرة، وفي عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م عيّن شيخًا للأزهر، وهي أعلى مرتبة علمية في الجامعة، توفي عام ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م، وكان قد تولى إنشاء جريدة الوقائع المصرية في بدء صدورها، وكان يحسن عمل المزاول الليلية والنهارية، وله رسالة في كيفية العمل بالاسطرلاب والربعين المقنطر والمجيب والبسائط، وكتاب في الإنشاء والمراسلات(3).

٢- مؤلفاته: بالإضافة لمخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، يمتلك حسن العطّار العديد من المؤلفات في عدد من العلوم الطبية والفقهية والنحوية ويمكن تقسيم تلك الكتب وفق الشكل الآتي:

٢-١- مؤلفات معروفة التاريخ والمكان(4):

أذكر بعضًا منها وهي:

١- حاشية العطّار على شرح رسالة الولادية لمحمد المرعشي، كتبها عام ١٧٩٥م، مكتبة الأزهر بالقاهرة ٣٦٤٨٤.

٢- حاشية العطّار على السمرقندية في علم البيان، كتبها عام ١٧٩٨م، دار الكتب بالقاهرة H5255.

٣- قلائد الدرر في المقالات العشر، كتبها عام ١٨٠٤م، دار الكتب بالقاهرة ٣٤٠ الحكمة والفلسفة.

٤- منظومة العطّار في علم التشريح، كتبها عام ١٨٠٨م، مكتبة الأزهر بالقاهرة ٥٠٨ أباظة.

٥- رسالة العطّار في علم الكلام، كتبها عام ١٨١٣م، دار الكتب بالقاهرة B25816، جامعة الأزهر بالقاهرة ٢٢٩٨٥.

٦- حاشية العطّار على شرح عصام على الرسالة العضدية، كتبها بين عامي ١٨١٤-١٥م، جامع الأحمدي بطنطا ٨.

٧- تفسير مقالات أرسطو لأبي فرج عبد الله ابن الطيب، كتبها عام ١٨٢٧م، دار الكتب بالقاهرة M-1 فلسفة.

٢-٢- مؤلفات مجهولة التاريخ معروفة المكان(5):

١- حاشية العطّار على لاميّات الأفعال لابن

مالك، مكتبة الأزهر بالقاهرة ٨٧٥٦.

٢- رسالة في البسملة والحمدلة، دار الكتب بالقاهرة ٣٥٣ تفسير تيمور.

٣- رسالة في تحقيق الخلافة الإسلاميّة ومناقب الخلافة العثمانيّة، دار الكتب بالقاهرة ٣٨٠ مكتبة زكية.

٢-٣- مؤلفات مفقودة[٦]:

١- حاشية العطّار على تعريب الرسالة الفارسيّة في البيان لعصام الدين الإسفراعيني المسمى برسالة عصام الدين.

٢- حاشية العطّار على متن النخبة في أصول الحديث.

٣- حاشية العطّار على شرح الشّريف الحسيني على هداية الحكمة لأثير الدين الأبهري.

٤- حواشي العطّار على شرح المنظومة الطّبية لبحرق الحضرمي.

٥- جواب العطّار عن سؤال جاء عليه من الشيخ الفضالي.

٦- نبذة في علم الجّراحة لتعريف القطع والخط.

٢-٤- مؤلفات مترجمة[٧]:

١- منظومة في علم النحو، ترجمت للفرنسية عام ١٨٩٨م بالجزائر.

٢- مقامة في دخول الفرنساويين للديار المصرية، ترجمت للإنكليزية عام ١٩٩٨م، من قبل بيتر غراند بإسبانيا.

٣- مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان: كتب حسن العطّار هذه المخطوطة عندما كان في مدينة دمشق، وهي محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة في الرواق المغربي تحت رقم (٣٤٣٤)، وهي عبارة عن ٢٥١ لقطة، كل لقطة تتضمن صفحتين، يوجد في كل صفحة اثنان وعشرون سطرًا، تتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد بين ١١-١٢ كلمة، مكتوبة بخط اليد بشكل واضح، تتميز بوجود التعقيبة بين الصفحات، كما تحتوي بعض الصفحات على حواشٍ موضوعة من قبل حسن العطّار، وهي عبارة عن نوعين؛ الأول نقص من متن المخطوطة نفسها، وبيّن العطّار ذلك بإضافة كلمة منه بعد نهاية الحاشية. النوع الثاني تفسير من العطّار لمعاني بعض الكلمات الواردة في المخطوطة.

بالنسبة للغلاف الخارجي للمخطوطة يوجد توقيع من شخص يدعى محمد التهامي يذكر بأنّها كتبت بيد العطّار نفسه، وأنّ التهامي قد وجدها بحالة كاملة دون نقص فيها ويوجد على الغلاف مجموعة أرقام هي: ٨٥، ٩٨٥٧٤، كلمة طب؛ حيث يبدو أنّه رقم التصنيف القديم للمخطوطة في مكتبة الأزهر بالقاهرة. وفي نهاية الغلاف الخارجي يوجد ملاحظة تقول: (إنّ هذا الكتاب هو وقف من قبل العطّار لطلبة العلم في جامعة الأزهر).

٣-١- **بداية المخطوطة:** تبدأ كما هي عادة المؤلّفين العرب بالبسملة وحمد الله على نعمه وفضائله الكثيرة، ثم ينتقل العطّار بالحديث عن علم الطب وفضله على باقي العلوم ومن ثم يذكر بعضًا من سيرة حياته منذ اضطر لمغادرة القاهرة، وظهر جليًا تأثره بالغربة وابتعاده عن الأحبّة. فيقول العطّار فيها:

دراسة استخدام حسن العطار للأبيات الشعرية في مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان

((حمدًا لمن عدل مِزاج الإنْسان، وجعل راحة الأبْدان في نُزْهة الأذهان وصلاةً وسلامًا على أصل جميع المخلوقات ومعدن سائر الكمالات سيدنا محمد المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق وشمس هداية الآفاق وعلى آله وأصحابه، خلاصة النوع الإنْساني الذي هو أشْرف الأنْواع ونُجوم سماء الفضل المشرق نورها على الأتْباع صلاةً وسلامًا دائمين متلازمين لا يعتريهما نقص ولا انقطاع.

أمّا بعد فيقول المفتقر لرحمة ربه الغفار حسن ابن محمد العطّار غفر الله ذنوبه وستر عيوبه: إنّي لمّا استنشقت من رياض الرياضي نفحةً، واستشرقت من بارق الطّبيعي لمحةً، تاقت نفسي بعد ذلك إلى أشْرف هذه العُلوم وأحقها بأعمال الفكر والفهوم وهو علم الطّب))[٨].

٣-٢- خاتمة المخطوطة: يقول العطّار أنّه استغرق في كتابتها ثلاثة أشهر، وعندما رجع إلى القاهرة قرر القيام بتبييضها بشكل كامل، وقد انتهى من ذلك في تمام الساعة الرابعة من ليل السبت السادس من شوال عام ١٢٢٨ هجري الموافق للأول من شهر أكتوبر لعام ١٨١٣ ميلادي، فيقول العطّار فيها:

((وبعد أن ختمتها تسويدًا وبيّضت بعضًا منها توجهت لمصر فبقيت غير تامّة التبييض فحين خالج قلبي التوجه للديار الحجازية شرعت في تتميمها مع غاية الاستعجال وعدم خلو البال فوافق الفراغ من كتب هذه النسخة الساعة الرّابعة من ليلة السبت السّادس من شهر شوال، وفي يوم الأحد السابع من الشهر المذكور عام ثمانية وعشرين بعد المائتين والألف يكون انتقالي من مصر نحو الديار الحجازية، فمن أعجب الإتفاقات التي تيمّنت بها من هذا الشرح أنّ بعد إتمام تسويده يسّر الله في الوصول للوطن وبعد تمام تبييضه بلّغني الله سبحانه الحج إن شاء الله وزيارة قبر رسوله النبي المؤتمن صلّ الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه سلامًا كثيرًا والحمد لله رب العالمين كتبه مؤلفه الفقير حسن ابن محمد الشهير بالعطّار المصري الأزهري عفي عنه تمت))[٩].

٤- الأبيات الشعرية الواردة في المخطوطة:

يمكن تقسيم هذه الأبيات الشعرية إلى مجموعتين رئيسيتين تبعًا للمؤلف وفق الشكل الآتي:

٤-١- الأبيات الشعرية التي من تأليف حسن العطّار:

بما أنّ حسن العطّار كان لديه ديوان شعر، ويعرف عنه أنّه كان من الشعراء في عصره، فإنّه لم يغب عنه وهو يؤلف مخطوطته الطّبية أن يستشهد ببعض الأبيات الشعرية التي كتبها، وذلك بما يوافق سرد الأفكار في المخطوطة، وهذه المقاطع الشعرية كانت وفق الآتي:

٤-١-١- في هذه الأبيات الآتية يشتكي العطّار مما وصلت إليه سوء حاله بعد خروجه من مصر مغتربًا، ويندب فيها الأيام الماضية التي قضاها في القاهرة فيقول: وبقصيدة لي ضمنّتها شكوى حالي وندبت فيها الأعصر الخوالي:

عَن مَضَرَّاتِ الحُسنِ سَارَ رِكَابِي

وَتَركتُ أوطَانِي بِهَا وَصِحَابِي

بَلدٌ بِها عَهدَ الصِبا قَضيتُه
أختَالُ جِذلانًا يُبرِد شَبابِي
حَيثُ الأمانِي سَافِراتٍ أوجُها
عَنهَا أنَاطَ البَشرُ كُلَّ نِقَابِ
فَسقا لكَ يا وَطَنِي الأعزُّ سَحَابَةً
تَروِي ثَراكَ وَمعهَدَ الأحبَابِ
جَردتُ عَزمِي فِي التَّغرُّبِ قَاطِعًا
صَعبَ الفَيَافِي[١٠] مُجهَدَ الرِّكابِي
لا أستَقِرُّ بِبَلدَةٍ إلا وَقَد
حَلَّيتُ لِلأخرَى عَرِيَ أطنَابِي
وَمُعنَّفٍ لِي فِي اعتِسَافِ[١١] البِيدِ لا
يَنفَكُّ يَرمِينِي بِسَهمِ خِطَابِ
مِنِّي يَرُومُ[١٢] فُلولَ عَزمِي إنَّمَا
رَامَ المُحَالَ ولَم يُشِر بِصَوابِ
لِي هِمَّةٌ تَأبَى الخُمولَ ولا تَرى
إلّا عُلوًّا مَراتِبَ الأنجَابِ
وَعَزِيمَةٌ فِي الفِعلِ مَهمَا جَرَّدَت
كانَت لَهُ أمضَى مِنَ القِرْضَابِ[١٣]
كُلُّ الذي لاقَيتُ هَانَ إذا انجَلَت
لِي أوجُهُ المَأمُولِ عِندَ طِلَابِي
أرجُو وآمُلُ أن أحوزَ غَنِيمَةً
وَأعُودُ مَسرُورًا بِحُسنِ مَآبِ
وإذَا قَضَى اللهُ خَالاً عنِ المُنَى
مَا حِيلَتِي وَقَضَاؤه غِلابِي[١٤]

٤-١-٢- وعند حديث العطّار عن تشريح العظام وبخاصة الأضلاع أورد الأبيات الآتية التي يذكر فيها عدد الفقرات والأضلاع الموجودة في جسم الإنسان، فيقول: وقلتُ أنا في منظومتي:

وَالصَدرُ مِن سَبعٍ تُسمَّى قَصًا[١٥]
والظَهرُ مِن سَبعٍ وعَشرَ يُحصَى
هِيَ الفِقَارُ والضُلوعُ أربَعُ
مِن بَعدِ عِشرِينَ بِهِ تَجتَمِعُ
وَرَكَّبَ العُصعُصَ مِن فَقَرَاتٍ
ثَلاثَةٍ فأحفَظهُ بِالإثبَاتِ[١٦]

٤-١-٣- وعند حديث العطّار عن مرض العشق؛ وهو مرض وسواسي يجلبه الإنسان إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل التي تكون للمعشوق، فيورد الأبيات الآتية:

أغارُ عَليكِ مِن نَظرِ العُيونِ
وَمِن شَوقِي إليكِ وَمِن شُجُونِي
وَمِن كَأسٍ عَلى شَفَتيكِ يَجرِي
وَمِسوَاكٍ لِمَبسَمِكِ المَصُونِ
وَلَو أنّا انتَظمنَا فِي وِشَاحٍ
وَصِرنَا حَيثُ لا وُضِعَ لِدُونِ
وَقَالُوا لِي أتَبغِي غَيرَ هَذا
لَقُلتُ: نَعم. بَعيدُ قَربُونِي[١٧]

٤-١-٤- ويستمر العطّار في حديثه عن مرض العشق وكيفيّة علاجه بإشغال النفس بالأشغال الشاغلة التي تنسي المحبوب، وكذلك المحاورات والحساب والعُلوم الرياضية التي تحتاج لأعمال الفكر كالهندسة والنُجوم؛ لأنّ

دراسة استخدام حسن العطار للأبيات الشعرية في مخطوطة راحة الأبدان في نُزهة الأذهان

في الاشتغال بهذه الأُمُور صرف للفكر عن المعشوق، فيقول العطّار وكما أشرت إلى ذلك في بعض أراجيزي الأدبية بقولي:

أو فاصطَبِر إن كُنتَ ذا تَجَلُّدِ
وَعلّلِ النفسَ بِجِدٍّ ودَدَ[18]
وَحَادِثِ الإخوَانَ والخِلّانَا
وَخَالِطِ الأَخدَانَ وَالأَقْرَانَا
وَلا تُطِل مَكثَكَ عَنهُمُ خَالِي
يَصبِحُ بِالفِكرَةِ فِي نَكَالِ[19]
وَإن يَكُن لا بُدَّ مِن تَفَرُّدِ
قَصدَ الفِرَارَ مِن زَمَانٍ مُعتَدِي
فَاستَعمِلِ الفِكرَةَ فِي الجَلِيلِ
وَاشغَلِ اللِّسَانَ بِالتَهلِيلِ
فَإنّهُ مَطرَدَةُ الشَيطَانِ
وَمُذهِبُ الأَشجَانِ وَالأحزَانِ
أو فِي كَلامِ القومِ أمعِن نَظَرَكَ
تُبصِر مَا عَنِ الغَرامِ تَعرُكَ
أو فِي مَسَائِلِ الحِسَابِ طَالِع
وَ كُتُبِ الحِكمَةِ كَالمَطَالِعِ
وَإن تَكُ النَّفسُ بِذَاكَ كَلّت
وَجَنَحَت بِطَبعِهَا لِلفِكرَةِ
فَفِي مَسَاوِئِ قُبحِهِ تفكَّر
فَإنّهُ يَغدُ مِن مُستَقذَرِ
وَإنَّهُ وَإن يَكُن ذا حُسنِ
أو كَالهِلَالِ بَهجَتُهُ وَالغُصنِ
وَإن ذَكَرتَ مِنهُ وَجنَتَهُ أشرَقت
فَكم بِلَثمٍ مِن دَنِيءٍ خَشمَتِ
فَكَم بِفَرطِ اللَّثمِ قَد أدمَاهُ
مُسوَّدَ الأَسنَانِ نَتِنَ فَاهِ[20]
وَامتَزَجَت بِرِيقِ ذَاكَ الأَبخَرِ
خَمرَةُ هَذا المَبسَمِ المُعَطَّرِ[21]

٤-٢- الأبيات الشعرية التي أوردها العطّار وهي ليست من تأليفه:

أورد العطّار في مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهة الأذهان العديد من الأبيات الشعرية لشعراء مختلفين، وقد تعددت الفترات الزمنية لقائلي تلك الأبيات، كما تنوعت المواضيع التي احتوتها تلك الأبيات، وهذه الأبيات الشعرية وفق التسلسل التاريخي لقائليها كانت وفق الشكل الآتي:

٤-٢-١- المتلمس الضبعي (توفي نحو ٥٠ قبل الهجرة/٥٦٩م): هو جرير بن عدي، شاعر جاهلي، من ربيعة، من أهل البحرين، مات في البصرى بحوران بسورية، وله ديوان شعري[22]، اقتبس العطّار من أقواله من دون أن يشر لاسم المتلمس الضبعي، وذلك عند حديثه عن الأسباب التي دعته للسفر فيقول العطّار: ولمّا تفاقمت الأُمُور وتكاثرت الشرور، ونادى لسان الحال يحثّ على الإرتحل:

وَلَا يُقِيمَ عَلَى خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ
إِلّا الأَذَلّانِ[23] عِيرُ[24] الْحَيِّ وَالْوَتَدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ
وَذَا يُشَجُّ[25] فَلا يَرثِي لَهُ أَحَدُ[26]

٤-٢-٢- عمر بن أبي ربيعة (٢٣-٩٣هـ/٦٤٤-

٧١٢م): هو عمر بن عبد الله بن عمرو بن المغيرة القرشي، ولد في الليلة التي توفي بها عمر بن الخطاب فسمي باسمه، غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه، فمات فيها غرقًا وقد قارب السبعين، وله ديوان شعري[٢٧]، عند حديث العطّار عن الأسباب التي دعته للسفر يقتبس أبيات لعمر بن أبي ربيعة، من دون أن يشر له فيقول العطّار: وإنّي للعاقل الإقامة بين تلك الأقوام وكيف يجمع بين الأروى والنعام[٢٨]:

أَيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيا سُهَيْلاً
عَمْرَكَ لِلَّهَ، كَيْفَ يَلْتَقِيانِ
هِيَ شامِيَّةٌ إذا ما استَهَلَّت
وَسُهيلٌ إذا استَهَلَّ يَمانِ[٢٩]

٤-٢-٣- زياد بن منقذ (توفي حوالي ١٠٠هـ/٧١٨م): هو زياد بن منقذ الحنظلي الملقب بالمرار العدوي، من بني العدوية من تميم، من شعراء الدولة الأموية[٣٠]، عند حديث العطّار عن وصوله إلى دمشق اقتبس بيتًا له من دون أن يذكر ذلك فيقول: فلما وردت مدينة دمشق الشام، ونزلت في المدرسة البدرئية الفائقة النظام منزويًا في زوايا الخمول، ملازمًا سُكْنَ حجرتي لا أبرح عنها ولا أزول، خَلِيّ البال من الأشغال وأجد من الدُنْيا فراغًا ومن القول مساغًا، فأخذت أدافع عن نفسي توارد جيش الفكر والهموم تارةً بإنشاء رسالة، وأخرى بتنسيق منظوم أضمه شكوى الزّمان والتأسف على فراق الأقران:

وَمَا أُصاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكُرَهُمْ
إلاَّ يَزِيدُهُمْ حُبًا إلَيَّ هُمُ[٣١]

٤-٢-٤- جرير (٢٨-١١٠هـ/٦٤٩-٧٢٨م): هو جرير بن عطية بن الخطفي التميمي، ولد باليمامة، عاش عمره يناضل شعراء زمنه وكانت بينه وبين الفرزدق والأخطل مهاجاة ونقائض، توفي باليمامة، وله ديوان شعري من جزأين[٣٢]، بعدما سافر العطّار إلى إسطنبول، وكما علمنا قرر التوجّه إلى أرض الشام، وعند حديثه حول توجّهه إلى أرض الشام يقتبس بيتًا لجرير من دون أن يورد ذكر اسمه فيقول: ثم عنّ لي التوجه إلى أرض الشام فبادرت بالنقلة متأسفًا على فراق هؤلاء القوم وعيش مضى بتلك الأيام:

ذمُّ المنازِلِ بعدَ منزِلَةِ اللّوَى[٣٣]
وَالعَيْشَ بَعدَ أُولَئِكَ الأَيَّامِ[٣٤]

٤-٢-٥- أبو تمام (١٩٠-٢٣١هـ/٨٠٦-٨٤٦م): هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، شاعر وأديب ولد في حوران بسورية، ونشأ بمصر فكان في حداثته يسقي الماء في المسجد الجامع، ثم جالس الأدباء وأخذ عنهم وتعلّم منهم، ثم سافر إلى بغداد فجالس بها الأدباء وعاشر العلماء وتوفي بالموصل، من آثاره فحول الشعراء، ديوان الحماسة، ديوان شعر[٣٥]، أورد العطّار أبياتًا له عند حديثه عن متاعب السفر من دون ذكر قائلها، فيقول العطّار: ثمّ صرتُ أعلِّل النفس بالمحالة وأنشدها قول القائل:

وطولُ مقامِ المرءِ في الحيِّ مُخلقٌ
لديباجتيه[٣٦] فاغترِبْ تتجدَدِ
فإنِّي رَأيتُ الشَّمسَ زيدَت مَحبَّةً
إلى النَّاسِ إن ليسَت عليهِم بِسَرمَدِ[٣٧]

٤-٢-٦- ابن الرومي (٢٢١-٢٨٣هـ/٨٣٦-٨٩٦م): هو علي بن العباس ابن جريج البغدادي،

دراسة استخدام حسن العطار للأبيات الشعرية في مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان

ولد في بغداد ونشأ وتوفي بها، وهو رومي الأصل، وله ديوان شعري[٣٨]، وعند حديث العطّار عن مرض العشق، يقتبس العطّار أبياتًا له، ولكنّ العطّار أيضًا لم يشر لقائل تلك الأبيات، فيقول العطّار:

أُعانِقُها والنَفسُ بَعدُ مَشوقَةٌ
إِلَيها وَهَل بَعدَ العِناقِ تَداني
وَأَلثُمُ فاها كَي تَزولَ حَرارَتي
فَيَشتَدُّ ما أَلقى مِنَ الخَفَقانِ
كَأَنَّ فُؤادي لَيسَ يَشفي غَليلَهُ[٣٩]
سِوى أَن يَرى الرُوحَينِ مُمتَزِجانِ[٤٠]

٤-٢-٧- ابن المعتز (٢٤٧-٢٩٦هـ/٨٦١-٩٠٨م): هو عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي، كان أديبًا بليغًا شاعرًا مطبوعًا مقتدرًا على الشعر، قريب المأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الإبداع للمعاني، مخالطًا للعلماء والأدباء معدودًا من جملتهم، آلت الخلافة في أيامه إلى المقتدر العباسي، واتفق معه جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتّاب فخلعوا المقتدر وبايعوه للخلافة، فأقام يومًا وليلة، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، ثم عاد المقتدر، فقبض عليه وقتله[٤١]، فعند حديث العطّار عن الأشخاص الذين قاموا بانتقاده لكتابة الكتب الطبية، يورد أبياتًا للشاعر ابن المعتز من دون أن يورد ذكره فيقول:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الحَسُودِ
فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا
إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ[٤٢]

٤-٢-س٨- أبو الطيب المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ/٩١٥-٩٦٥م): هو أحمد بن الحسين بن الحسن الكوفي، شاعر وحكيم ولد بالكوفة ونشأ بالشام، فأكثر المقام في البادية وطلب الأدب وعلم العربية، وفاق أهل عصره في الشعر، ثم مضى إلى مصر، وله ديوان شعري[٤٣]، اقتبس العطّار منه في موضعين ولكن دون ذكرٍ للمتنبي، فعند حديث العطّار عن كتاب داوود الأنطاكي وأنّه مليء بالتناقضات، وقررّ أن يكتب كتاب يوضحه ويشرحه، فبادره البعض بالملامة على فعل ذلك، فيقتبس العطّار بيتًا للمتنبي، فيقول العطّار: أنت وأمثالك ليس ممن قصدته بالخطاب ولم تجر لي في خلدٍ ولا حسابٍ فإنّ من العُنّا مخاطبة الجهال وصرفهم عن العقائد الراسخة فيهم وإن كانت من المحال:

وَمِنَ البَلِيَّةِ عَذْلُ مَن لا يَرْعَوي[٤٤]
عَن جَهلِهِ وَخِطابُ مَن لا يَفهَمُ[٤٥]

ثم يعود العطّار فيقتبس مرة أخرى أبياتًا لأبي الطيب المتنبي ليصف حاله في دمشق من دون ذكره فيقول:

مَا مُقامي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلاّ
كَمُقامِ المَسيحِ بَينَ اليَهودِ
أَنا في أُمَّةٍ تَدارَكَها اللَـهُ
غَريبٌ كَصالِحٍ في ثَمودِ[٤٦]

٤-٢-٩- علي الجرجاني (توفي ٣٩٢هـ/١٠٠٢م): هو علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن اسماعيل الجرجاني، أبو الحسن أديب وشاعر ومؤرخ، ولي القضاء بالري وتوفي بها، من تصانيفه: الوساطة بين

المتنبي وخصومه، تهذيب التاريخ، تفسير القرآن المجيد، وديوان شعري[٤٧]، عند حديث العطّار عن أسفاره وتنقلاته يقول: فبادرتُ بالنقلة وأزمعتُ الرحلة متأسفًا على فراق ذلك المعهد وتغيره عما كنتُ أعهد باكيًا على انمحاق محاسنه والتحاق الهوان بساكنه، ثم يُورد الأبيات الآتية للجرجاني من دون ذكره، فيقول:

يـا ديـارَ الـسُّـرورِ لا زالَ يبكي
فيكِ في مضحكِ الرِّياض الغَمَامُ
رُبَّ عَيشٍ صَحبتُه فيك غَضٍّ
وعُـيـونُ الـفِـراقِ عَـنَّـا نِـيامُ
فـي لـيـالٍ كـأنـهـنَّ أمـانٌ
مـن زمـانٍ كـأنـه أحـلامُ
وكـأن الأوقـاتَ فيـهـا كُـؤوسٌ
دائـراتٌ وأنـسُـهـنَّ مُـدَامُ[٤٨]
زَمَـنٌ مسْـعدٌ وإلـفٌ وَصُـولٌ
ومُـنـىً تستـلـذُّهـا الأوهـامُ[٤٩]

٤-٢-١٠- القسطلي الأندلسي (٣٤٧-٤٢١هـ/ ٩٥٨-١٠٣٠م): هو ابن دراج أحمد ابن محمد بن العاص القسطلي الأندلسي[٥٠]، عند حديث العطّار عن الغربة يورد أبياتًا له، ولكنه لم يشر أيضًا لقائل تلك الأبيات، فيقول: ثم صرتُ أعلِّل النفس بالمحالة وأنشدها قول من قال:

تُـخَـوِّفُـنـي طـولَ الـسِّـفـارِ وإنَّـهُ
لـتقبيلِ كـفِّ الـعـامِـريِّ سَـفِـيـرُ
دَعِيني أَرِدْ ماءَ المفاوِزِ آجِنًا[٥١]
إلَى حَيْثُ ماءُ المكرُماتِ نميرُ[٥٢]
أَلَمْ تعلَمِي أنَ الثَّواءَ[٥٣] هو النَّوى[٥٤]
وأنَّ بـيـوتَ الـعـاجِـزيـنَ قُـبـورُ
فـإنَّ خـطـيـراتِ الـمـهـالِكِ ضُـمَّـنٌ
لـراكِـبِـهـا أنَّ الـجـزاءَ خـطـيـرُ[٥٥]

٤-٢-١١- ابن سينا (٣٧٠-٤٢٨هـ/٩٨٠-١٠٣٧م): هو أبو علي حسين بن عبد الله بن سينا، الشيخ الرئيس، يسميه الإفرنج Avicenna [٥٦]، إنّ حديث العطّار في المواضيع الطبية لم يمنعه من الاستدلال ببعض الأبيات الشعرية الطبية، ولعل من أشهر الأراجيز الطبية أرجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا والمعروفة باسم ألفية الشيخ، وقد اقتبس العطّار من تلك الألفية عدة مرات مع ذكر التوثيق فعند حديث العطّار عن عظم الترقوة يقول: وفي منظومة تنسب للشيخ قال:

ولـلـتَّـراقِـي فَـردُ عَـظمٍ مُـنْـجَـذب
يَحوي على ما تَحتَه مِنَ العَصَب[٥٧]

وعند قيام العطّار بذكر عدد الفقرات الموجودة في جسم الإنسان يقتبس من تلك الأرجوزة فيقول: وفي المنظومة المنسوبة للشيخ التي في التشريح قال عند عدّ الفقرات:

فَـسـبـعـةٌ فـي عُـنُـقِ الإنْـسَـانِ
واثـنـا عـشـرةَ عُـدِدنَ لِـلـجَـنـبَـانِ
وَخَمسةٌ فِي الحَقوِ[٥٨] كَالأسَاسِ
حَـافِـظَـةٌ لِـلـكُـلِّ كَـالـمَـراسِـي
وَالـعَـجزُ مَـعدودٌ ثَـلاثًا قَد حَصَى
وَمِـثـلُـها عَـدُّ عِـظَـامِ العَصعُوصِ

والقَصُ مِن سَبعِ عِظامٍ مُوثَقَةِ

فِي نقرَتِهِ إلى الضُلوعِ مُلصَقَةِ

واثنا عَشرَ عُدَّت لِكُلِّ جَنبِ

مِنَ الضُلوعِ شَرْحُها بالحَجبِ[٥٩]

وأيضًا عند حديث العطّار عن القيء وفوائده العلاجية في الطب العربي، وفي أي فصل من فصول السنة ينصح بالإكثار من القيء، ينقل العطّار عن أرجوزة ابن سينا فيقول: وهو الذي ذكره الشيخ في منظومته حيث قال:

والقيءُ يُستعملُ في المَصِيفِ

وَيُخرِجُ السَّوداءَ في الخَرِيفِ[٦٠]

وأخيرًا في معرض حديث العطّار عن الفصد، وعن أيّ العروق التي تفصد في الأمراض، يورد أيضًا بيتًا من تلك الألفيّة فيقول: وقال الشيخ في ألفيّته:

وتَفصُدُ الأَودَاجُ[٦١] في الآلامِ

بِخَصِّها مِنهُنَّ بالجُذامِ[٦٢]

٤-٢-١٢- ابن عمار الأندلسي (٤٢٢-٤٧٧هـ/١٠٣١-١٠٨٤م): هو أبو بكر محمد ابن عمار، المهري الأندلسي الشّلبي الشاعر المشهور، ذو الوزارتين كانت ملوك الأندلس تخاف من ابن عمار المذكور لبذاءة لسانه وبراعة إحسانه[٦٣]، عند حديث العطّار عن غربته وفراق أهله يورد أبياتًا لابن عمار الأندلسي من دون ذكره، فيقول:

كَساها الحَياءُ بَردَ الشَّبابِ فَإِنَّها

بِلادٌ بِها حِلُّ الشَّبابِ تَمائِمي

ذَكرتُ بِها عَهدَ الصِبا فَكَأَنَّما

قَدحتَ بِنارِ الشَوقِ بينَ الحَيازِمِ

لَيالِيَ لا أَلوِي عَلى رُشدِنا صَحَّ

عِنانِي[٦٤] ولا أُثنِيهِ عَن غَيٍّ[٦٥] لائِمِ

أَتاكَ سُهادِي مِن عُيونٍ نَواعِسٍ

وَأَجنِي مُرادِي مِن غُصونٍ نَواعِمِ

وَلَيلٍ لَنا بِالسَدِّ بَينَ مَعاطِفٍ

مِنَ النَهرِ تَنسابُ إنسِيابَ الأَراقِمِ

تَمُرُّ إلينا ثُمَّ عَنَّا كَأَنَّها

حَواسِدُ تَمشِي بَينَنا بِالنَمائِمِ

نَبيتُ وَلا واشٍ نَخافُ كَأَنَّما

حَلَلنا مَكانَ السِرِّ مِن صَدرِ كاتِمِ[٦٦]

٤-٢-١٣- ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥هـ/١١٢٦-١١٩٨م): هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد أبو الوليد الفيلسوف، من أهل قرطبة، يسميه الإفرنج Averroes، شرح كلام أرسطو وترجمه إلى العربية[٦٧]، وعندما ذكر العطّار أنّ كثرة الجماع تسبب إسقاط الشهوة وضرر بالعصب مما يسبّب الرعشة والفالج والتشنج، فينقل بيتًا لابن رشد مع ذكر التوثيق فيقول: قال ابن رشد شارح منظومة الشيخ:

وَكَثرةُ الجِماعِ إضعافُ البَدَنِ

ويُورِثُ الأَجسامَ أَنواعَ المِحَنِ[٦٨]

٤-٢-١٤- أبو الحسين الجزار (٦٠١-٦٧٩هـ/١٢٠٤-١٢٨١م): هو يحيى ابن عبد العظيم بن يحيى بن محمد الجزار المصري، أديب وشاعر ومؤرخ، أقبل على الأدب وأوصله شعره إلى السلاطين والملوك، من آثاره فوائد الموائد في الأدب[٦٩]؛ حيث وفي معرض حديث العطّار عن موضوع الجماع،

وعن العمر المثالي للزوجة، نقل أبياتًا عن أبو الحسين الجزار من دون ذكره فيقول: ويعجبني قول بعض المتأخرين:

تَزَوَّجَ الشَّيخُ أَبي شَيخَةً
لَيسَ لَهَا عَقلٌ وَلا ذِهنُ
كَأَنَّهَا في فَرشِهَا رِمَّةٌ
وَشَعرُهَا مِن حَولِهَا قُطنُ
وَقَائِلٍ يَقُولُ مَا سِنُّهَا
قُلتُ مَا في فَمِهَا سِنُّ[70]

٤-٢-١٥- المقري التلمساني (٩٨٦-١٠٤١هـ/١٥٧٨-١٦٣١م): هو أحمد بن محمد بن أحمد المقري المُكنّى بأبي العباس والملقب بشهاب الدين ولد في مدينة تلمسان، صاحب كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب[71]؛ حيث اقتبس العطّار من كتابه من دون أن يورد ذكرًا له، فعند حديث العطّار عن غربته وفراق الأحبّة في بداية المخطوطة، أورد أبياتًا للتلمساني، ولكنه لم يشر إلى قائل الأبيات، فيقول:

وأربَعُ أحبَابٍ إذَا مَا ذَكَرتَهَا
بَكيتَ وَقَد يُبكيكَ مَا أنتَ ذَاكِرُ
بُطَاحٌ وأدوَاحٌ[72] يَرُقُّكَ حِسُّهَا
بِكُلِّ خَليجٍ نَمنَمَتهُ[73] الأزَاهِرُ
فَمَا هُوَ إلّا فِضَّةٌ فِي زَبَرجَد
تَسَاقَطَ مِنهُ اللُؤلُؤُ[74] المُتَنَاثِرُ
بحيثِ الصِبا والتُربِ والمَاءِ والهَوى
عَبيرٌ وكَافُورٌ[75] وراحٌ وعَاطِرُ
وَمَا جَنَّةُ الدُنيا سِوا مَا وَصفتُهُ
وَمَا ضَمَّ مِنهُ الحُسنُ بِجِدٍّ وَحاجِزُ[76]
بِلادِي التِي أهلِي بِها وأحبَّتِي
وقَلبِي ورُوحِي والمُنَى والخَواطِرُ
يُذكِّرنِي أنجَادُهَا وَوِهَادُهَا
عُهُودٌ أمضَت لِي وَهِي خُضرٌ نَواضِرُ
إذ العَيشُ صافٍ والزَّمانُ مُساعِدُ
فَلا العَيشُ مَملُوكٌ ولا الدَهرُ جَائِرُ
بِحَيثِ لَيالِينا كَغُصنٍ[77] شَبابِنا
وَأيَّامُنا سِلكٌ ونَحنُ جَواهِرُ
لَيلِي كَانَت لِلشَبيبَةِ دَولَةٌ
بِها مَلِكُ اللَذَّاتِ تَاهٌ وآمِرُ
سَلامٌ على تِلكَ العُهُودِ فإنَّها
مَوارِدُ أفراحٍ تَلتهَا المَصَادِرُ[78]

٤-٢-١٦- ابن النحاس الحلبي (توفي ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م): هو فتح الله بن عبد الله من أهل حلب، شاعر رقيق مشهور زار دمشق والقاهرة واستقر بالمدينة وتوفي بها[79]، عند حديث العطّار عن الغربة والسفر يقتبس بيتًا للشاعر ابن النحاس الحلبي من قصيدته العينية التي مطلعها رأى اللوم من كل الجهات فراغه، من دون أن يشر العطّار أيضًا لقائل هذا البيت فيقول العطّار: ولم أزل أجوب أرضًا بعد أرضٍ، وأترك على حكم الدهر من شامخ عالٍ إلى خفض تارة تحت ظلّ شراع وآونة بين وهود وتلاع:

فَلَم يَبقَ بَرٌّ مَا طَويتُ بِساطَهُ
وَلَم يَبقَ بَحرٌ مَا نَشرتُ شِرَاعَهُ[80]

٥- المناقشة:

أولاً: المواضيع التي ضمتها تلك الأبيات الشعرية:

١- الأبيات الشعرية المتعلقة بالغربة والسفر ومتاعبهما: كان واضحًا جدًا تأثّر العطّار بغربته عن مدينته المفضلة القاهرة، وكم كان يعاني في تلك الغربة من فراق الأصدقاء والأماكن، وكانت أغلب تلك الأبيات الشعرية تدور في فلك هذا الموضوع. كما أنّ العطّار لجأ من خلال الشعر لوصف الأسباب التي دعته لمغادرة القاهرة، وكما وصف سفره إلى إسطنبول، ومن ثم إلى دمشق وما كان يلقاه هناك من متاعب ومشاقٍ وحنينٍ للأحبّة والخلّان.

٢- الأبيات الشعرية الطبّية أو ما يعرف بالأراجيز الطبية: حيث اشتملت الأبيات الشعرية الطبّية الواردة في المخطوطة على مرض العشق وعلاجه، والجماع وآثاره، كما تحدّثت عن القيء والفصد، ولكن أغلب تلك الأبيات الشعرية كانت حول التشريح وأعداد المفاصل والفقرات وغيرها.

تعد الأراجيز الطبية ظاهرة جميلة جدًا في تاريخ الطب العربي؛ حيث قام بعض المؤلفين العرب بتأليف الأراجيز الطبية التي تعتمد على شرح للطب إمّا كاملاً أو جزئيًا، وذلك من خلال أسلوب شعري لطيف وسلس جدًا، ولعلّ أشهر تلك الأراجيز كان من تأليف الشيخ الرئيس ابن سينا، والمعروفة باسم أرجوزة في الطب والتي يطلق عليها أيضًا ألفية الشيخ، كما لم يقتصر ظهور تلك الأراجيز الطبية على المشرق العربي؛ حيث قام ابن رشد بشرح أرجوزة ابن سينا مع التزامه بنمط التأليف نفسه في كتاب سماه شرح ألفية الشيخ، كما ظهرت في الأندلس أواخر القرن الثاني عشر الميلادي أرجوزة ابن طفيل الأندلسي (٤٩٤-٥٨١هـ/١١٠٠-١١٨٥م).

ولقد كان للعطّار أيضًا منظومته الشعرية في علم التشريح والتي كتبها عام ١٨٠٨م عندما كان في إسطنبول، وهي محفوظة في مكتبة الأزهر بالقاهرة برقم ٥٠٨ أباظة، وللأسف لم يقتبس العطّار من منظومته سوى أبياتٍ قليلة منها، كما أنّني لم أتمكن من الإطلاع على تلك المنظومة في علم التشريح، وهذه المنظومة قد تحتوي على معلومات تشريحية هامة وذلك لأنّ العطّار عندما كان في إسطنبول التقى بعددٍ من الأطباء الأوروبين الذين كانت لديهم خبرة واسعة في علم التشريح، ممّا قد يكون سببًا لاحتوائها على معلومات تشريحية هامة جدًا في تلك الحقبة الزمنية الطبية.

ثانيًا: الفترات الزمنية للأبيات الشعرية:

١- الأبيات الشعرية المتعلقة بالغربة والسفر ومتاعبهما: تنوعت الفترات الزمنية لتلك الأبيات الشعرية بدءًا من العصر الجاهلي في القرن السادس الميلادي مرورًا بالفترتين الأموية والعباسية ووصولاً للقرن السابع عشر الميلادي، وهذا يوضّح مدى غنى التراث الأدبي العربي عبر الزمن بالعديد من المواضيع؛ حيث إنّ الحديث عن الغربة والسفر ومشاقّه وبخاصة شعور الحنين للأحبة كان من بعض تلك الموضوعات الأدبية.

٢- الأبيات الشعرية الطبية: اقتصرت الفترة

الزمنية للأرجوزات الطبية على القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، وهما يمثلان عصر النهضة الطبية العربية؛ حيث ظهرت أرجوزة ابن سينا، وأرجوزة ابن رشد، وأرجوزة ابن طفيل الأندلسي.

وهنا مرة أخرى تأتي أهميّة الإطلاع على منظومة العطّار في علم التشريح ودراستها بشكل أعمق وأدق؛ لدراسة ظاهرة الأراجيز الطبية في القرن التاسع عشر الميلادي، ومقارنتها مع الأراجيز السابقة، وذلك من أجل التعرف على الفروقات الحادثة في نمط تأليف الأراجيز الطبية ما بين القرنين الثاني عشر والتاسع عشر الميلاديين.

ثالثًا: التوثيق العلمي للأبيات الشعرية:

١- الأبيات الشعرية المتعلقة بالغربة والسفر ومتاعبهما: لم يورد العطّار ذكر أيًا من الشعراء الذين اقتبس منهم الأبيات الشعرية المتعلقة بهذه المواضيع؛ حيث كان يورد البيت الشعري مباشرة بعد حديثه عن موضوع منها، من دون ذكر شيءٍ عن قائلها، وفي بعض الأحيان اكتفى بقول: ويحضرني قول القائل، وقال أحدهم.

٢- الأبيات الشعرية الطبية: على العكس تمامًا مما سبق كان العطّار دقيقًا جدًا في توثيق الأبيات الشعرية الطبية؛ حيث نسب كل بيتٍ منها لقائله مباشرةً.

وهنا نقطة تدعو للتساؤل، ففي بحثٍ قمت بإنجازه مسبقًا، وهو بعنوان (دراسة توثيق حسن العطّار لمصادره الطبية في مخطوطة راحة الأبدان)[٨١]، كان واضحًا تميّز العطّار في توثيق معلوماته الطبية بشكل دقيق، وهنا أيضًا تبين لنا استمرار اهتمامه بالتوثيق الطبي، ولكن السؤال لماذا أغفل العطّار التوثيق في الأبيات الشعرية غير الطبية الواردة في المخطوطة؟

٦- الخلاصة: من هذا البحث يمكن استخلاص الآتي:

أولاً: تناولت الأبيات الشعرية الواردة في مخطوطة راحة الأبدان موضوعين رئيسين، وهما موضوع الغربة والسفر وما يتبعها من صعوبات فراق الأهل والأحبة من جهة، ومن جهة أخرى الموضوعات الطبية والتي كان أهمها علم التشريح.

ثانيًا: تنوعت الفترات التاريخية للشعراء الذين تحدثوا عن الغربة في المخطوطة بدءًا من العصر الجاهلي وصولاً إلى القرن السابع عشر الميلادي، بينما اقتصرت الفترة التاريخية للأراجيز الطبية على القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، بالإضافة لأرجوزة حسن العطّار في القرن التاسع عشر الميلادي، وهذه دعوة للباحثين لدراسة تلك المنظومة في علم التشريح من القرن التاسع عشر الميلادي، من أجل معرفة التطور الحاصل في نمط تأليف تلك الأراجيز الطبية من جهة، ودراسة المعلومات التشريحية الواردة في تلك المنظومة من جهة أخرى.

ثالثًا: اختلف توثيق العطّار للأبيات الشعرية، فبينما تغاضى عن ذكر توثيق الشاعر لأبيات الغربة والسفر ومتاعبهما، التزم بالتوثيق العلمي والكامل للأبيات الشعرية الطبية.

*****

الحواشي

1 - Rainer Bromer, Blood, sweat, and tears, 2009, p. 340.

٢ - كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٥٨٧.

٣ - الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٢، صـ٢٢٠.

4 - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 57-58.

5 - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 58.

6 - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 59.

7 - Joseph Lowry, Essas in Arabic literary, 2012, p. 60.

٨- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ١/ظ.

٩- السابق، اللفظة الأخيرة بدون رقم.

١٠- الفيافي: البراري الواسعة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٩، صـ٢٧٢).

١١- اعتساف: السير بلا هداية (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ٨٣٧).

١٢- بروم: يطلب (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٢، صـ٢٥٨).

١٣- القِرْضاب: شديد القطع (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١، صـ٦٦٩).

١٤- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٢/ظ-٣/و.

١٥- يقول العطّار في هامش متن المخطوطة صـ٧٩/ظ: القَص بالفتح رأس الصدر كما في جامع اللغة.

١٦- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٧٩/ظ.

١٧- السابق، صـ١٩٦/و.

١٨- وِدّد: الأمنية (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٣، صـ٤٥٣).

١٩- نكال: القيد الشديد (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ١٠٦٥).

٢٠- الفام: الفم (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٣، صـ٥٢٥).

٢١- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ١٩٧/و-١٩٧/ظ.

٢٢- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٤٨٤.

٢٣- الأذلان: تثنيةُ الأذلّ تذلّ من العلمِّ المقرّ ومن الذل (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١١، صـ٢٥٦).

٢٤- عير: اسم للحمار أهلياً كان أو وحشياً (القوصوني، قاموس الأطباء وناموس الألباء، ١٩٧٩م، جزء١، صـ١٨٧).

٢٥- يشج: يضرب على الرأس فيشق (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٢، صـ٢٩٥).

٢٦- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٤/و.

٢٧- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، صـ٥٦٤.

٢٨- يقول العطّار في هامش متن المخطوطة صـ٤/و: يجمع بين الأروى والنعام مثال يضرب لشيئين يختلفان جداً.

٢٩- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٤/و.

٣٠- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٣، صـ٥٥.

٣١- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٥/و.

٣٢- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٤٨٤.

٣٣- اللوى: وهو الرمل وهو اسم لمنطقة تقع في الطريق إلى مكة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٥، صـ٢٦٢).

٣٤- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٥/و.

٣٥- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ٥٢٤.

٣٦- ديباجتين: الخدين (الأزدي، الماء، ١٩٩٥م، جزء٢، صـ٤٤٣).

٣٧- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٢/ظ.

٣٨- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب

العربية، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، صـ٤٥٣.

٣٩- غليل: شدة العطش مع حرارة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١١، صـ٤٩٩).

٤٠- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ١٩٦/و.

٤١- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٩٧٨م، جزء٣، صـ٧٦.

٤٢- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٧/و.

٤٣- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الأول، صـ١٢٦.

٤٤- يرعوى عن الجهل: ينزع عن الجهل (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٤، صـ٣٢٤).

٤٥- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٧/و.

٤٦- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٨/ظ.

٤٧- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الثاني، صـ٤٥٨.

٤٨- المُدام: الخمر (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ١١٠٩).

٤٩- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٤/و، صـ٤/ظ، هذه الأبيات واردة في كتاب المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، صـ١٨.

٥٠- المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء٣، صـ١٩٥.

٥١- أجن الماء: تغير لونه وطعمه (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ١١٧٤).

٥٢- نمير: الماء العذب وتستخدم لتذهب إلى الماء العذب لتشرب (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٥، صـ٢٣٤).

٥٣- ثـواء: طول المقام (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٤، صـ١٢٥).

٥٤- النوى: النية والوجهة (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ١٣٤١).

٥٥- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٢/ظ.

٥٦- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٢، صـ٢٤٢.

٥٧- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٧٨/و.

٥٨- الحقو: هي الخاصرة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٤، صـ١٨٩).

٥٩- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٧٩/و.

٦٠- السابق، صـ١٣٦/و.

٦١- الأوداج: ما أحاط بالعنق من عروق (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٢، صـ٣٩٧).

٦٢- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ١٨٥/و.

٦٣- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٩٧٨م، جزء٤، صـ٤٢٥.

٦٤- عِنان: الاعتراض ويقال أيضاً للرجل الشريف (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٣، صـ٢٩٠).

٦٥- غي: الضلال والخيبة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٥، صـ١٤٠).

٦٦- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٣/و، هذه الأبيات واردة في كتاب المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، صـ١٩، كما وردت في كتاب ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٩٧٨م، جزء٤، صـ٤٢٧.

٦٧- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٥، صـ٣١٨.

٦٨- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ١٤١/و.

٦٩- كحالة، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٩٩٣م، المجلد الرابع، صـ١٠٢.

٧٠- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ١٣٩/و.

٧١- المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، صـ١.

٧٢- بطاح وأدواح: مواضع وأشجار (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٢، صـ٤١٢).

٧٣- نمنمه: خطت عليه وتركت عليه أثر كالكتابة (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء١٢،

صـ٢٥٩).

٧٤- لؤلؤ: يجلب من البحار (ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ١٩٩٢م، جزء٤، صـ٣٨٩) وهو اللؤلؤ المعروف لدينا المستخرج من المحار.

٧٥- كافور: هو الـ Cinnamomum Camphora (عيسى بك، معجم أسماء النبات، ١٩٣٠م، صـ٤٩).

٧٦- حاجز: منع (الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ٢٠٠٥م، صـ١٣٧١).

٧٧- غض: الطري والخافت (ابن منظور، لسان العرب، ١٩٥٦م، جزء٧، صـ١٩٦).

٧٨- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٢/و-٢/ظ ، هذه الأبيات واردة في كتاب المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ١٩٦٨م، جزء١، صـ١٧-١٨.

٧٩- الزركلي، الأعلام، ٢٠٠٢م، جزء٥، صـ١٣٥.

٨٠- العطّار، مخطوطة راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان، ١٨١٣م، صـ٤/ظ.

٨١- هذا البحث قُبِل بتاريخ ٢٠١٥/٦/١٦ للنشر في مجلة آفاق الثقافة والتراث الصادرة عن مركز جمعة الماجد بدبي.

المصــادر والمراجع

- **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، تأليف خير الدين الزركلي (توفي ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة عشر، ٨ مجلدات، طبع عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- **الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**، تأليف ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد الأندلسي المالقي (توفي ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلدان، طبع عام ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.
- **راحة الأبدان في نُزْهَة الأذهان**، تأليف حسن العطّار (توفي ١٢٥٠هـ/١٨٣٥م)، ما تزال مخطوطة، يوجد نسخة منها في مكتبة الأزهر، الرواق المغربي برقم ٣٤٣٤، القاهرة، جمهورية مصر العربية، كُتبت عام ١٢٢٨هـ/١٨١٣م.
- **قاموس الأطباء وناموس الألباء**، تأليف مدين بن عبد الرحمن القوصوني (توفي ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)، مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق، سوريا، الجزء الأول، طبع عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- **القاموس المحيط**، تأليف الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (توفي ٨١٧هـ/١٤١٤م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثامنة، طبع عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- **لسان العرب**، تأليف محمد بن مكرم ابن منظور (توفي ٧١١هـ/١٣١١م)، دار صادر، بيروت، لبنان، طبع عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.
- **الماء**، تأليف عبد الله بن محمد الصحاري الأزدي (توفي ٤٦٦هـ/١٠٧٤م)، تحقيق هادي حسن حمودي، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، ثلاث مجلدات، طبع عام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- معجم أسماء النبات، تأليف أحمد عيسى بك (توفي ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، وزارة المعارف العمومية المطبعة الأميرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى، مجلد واحد، طبع عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م.
- **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، تأليف عمر رضا كحالة (توفي ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م)، مؤسسة الرسالة، دمشق، سورية، ٤ مجلدات، طبع عام ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تأليف أحمد بن محمد المقري التلمساني (توفي ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، سبعة أجزاء، طبع عام ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تأليف أبو العباس ابن خلكان (توفي ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، طبع عام ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- **Essays in Arabic Literary Biography** 1350-1850, edited by Joseph Lowry, Devin Stewart, Wiesbaden, Harassowitz, Germany, 2009, Band 17 Teil 2.
- **The Nature of the Soul and the Passage of Blood Through the Lungs. Galen, Ibn Al-Nafīs, Servetus İtaki,** 'Aṭṭār, Rainer Bromer; in Blood, sweat, and tears: the changing concepts of physiology from antiquity into early modern Europe, edited by H. F. J. Horstmanshoff, Leiden, Boston, U.S.A. 2012.

أثر الحواس في تشكيل الصور الشعرية في شعر ابن حمديس (*)

د. أحمد عقون
دبي - الإمارات

مقدمة

إن موضوع الصورة المعتمدة على الحواس، من الموضوعات المثيرة للاهتمام في النصوص الشعرية، وقد كان وما زال الشعراء يتوسلون بها بمعية الملكات الأخرى؛ لنظم قصائدهم ورسم لوحاتهم الفنية. والصورة الشعرية، كما هو معروف، سمة بارزة من سمات العمل الأدبي، وعنصر أساس من مكونات القصيدة الشعرية، وقد رأت بعض الدراسات أن الشاعر خلال نسجه للصور الشعرية يعتمد أكثر ما يعتمد على البلاغة، ورأت أخرى أنه تشكيل جمالي يعكس جوهر الأشياء وحركتها، ومالت أخرى إلى أن الشاعر، في نظم صوره الشعرية ونسجها، يعتمد الأساس الحسي إذْ أن "مدركات الحس هي المادة الخام التي يبني بها الشاعر تجاربه ولا يعني ذلك الانحصار في إطار حاسة بعينها"(١)، وهكذا.

والحقيقة أنَّ التصوير في الشعر- خلافًا للفنون الأخرى - تضطلع به الحواس وجميع الملكات الأخرى؛ ففيما يتعلق بالحواس،مثلاً، نجد الشاعر، يعتمد كثيرًا على ما تختزن ذاكرته وما ترى عينه، وما تسمع أذنه وما يشمُّ أنفه، أو يتذوق لسانه، أو ما يحسه بأنامله، وينقل إلينا أثرَها فيه، ووقْعَها على نفسه، وما بعثه فيه هذا الأثر من أحاسيس ومشاعر وذكريات دفينة، هي أوصاف تتعاقب في الزمن تنقلها أشتات ألفاظ أو"هي صور لا تتجمع أجزاؤها في رقعة محددة، بل نحن الذين نربط بين هذه الأجزاء، ونكَوّنُ منها كُلًّا عامًا بسرعة شديدة، حتى ليخيل إلينا أنها جميعًا صورة واحدة "(٢).

ودارس الشعر القديم بصفة عامة وشعر ابن حمديس بصفة خاصة، لا محالة، يرى آثار الحسية واضحة فيه؛ ذلك لأن الشاعر العربي القديم -وكذلك الناقد- غالبًا ما "كان ينزع نزعة حسية في فهم الجمال وفي تصويره، فكان الجمال عنده فيما ترضى عنه الحواس، كل حاسة

وما يوافقها، هذه النزعة الحسية كانت حريّة أن تفرض نفسها على الصورة الشعرية"[٣] والعنصر الحسي في الصورة الشعرية تناوله نقادنا المحدثون وبيّنوا طبيعة تشكيله وحقيقة تأثيره في الصورة الشعرية، وأشكاله المرتبطة بالحواس المختلفة، وبينوا الفرق بينه وبين الإدراك العقلي الخالص، وناقشوا كل هذه القضايا وما يحيط بها من تفصيلات. وإذا كان الشعراء غالبًا ما يعتمدون في نسج صورهم على جميع الحواس المعروفة وعلى الملكات الأخرى كالذاكرة والعقل، فهل هناك تميز بين حاسة وأخرى في بناء الصورة الشعرية؟ وهل الصور المتوسّلة حاسة البصر مثلاً، أجمل من الصور المعتمدة على الحواس الأخرى؟ وهل الصور المتوسلة للحواس الأخرى أجمل من الصور المعتمدة على حاسة البصر؟

وهذه الدراسة، محاولة لإضافة حلقة جديدة من حلقات الدرس الفني لنصوص الشعر العربي القديم، اتّبعتُ منهجًا قائمًا على قراءة ديوان الشاعر قراءة متأنية للبحث عن مواضع الصور المعتمدة على الحواس، ثم تحليلها وبيان مدى قدرة الشاعر أوْ إخفاقه في تشكيلها وإنجازها.

وقد اقتضى البحث أن يكون مشتملاً على هذه المقدمة، وثلاثة مطالب، هي:

١- الصورة البصرية.

٢- الصور الأخرى (السمعية، الشمية، الذوقية، واللمسية).

٣- الاعتماد على أكثر من حاسة لتشكيل بعض الصور، وتراسل الحواس، وخاتمة.

المطلب الأول: الصورة البصرية:

يرى بعض الدارسين أن للبصر قيمة مميزة وأهمية أكبر لجمال الصورة "لكونها تمثيلية تستمد عمقًا جديدًا من المعاني الكثيرة التي ارتبطت بها حتى أصبحت مركزًا تجتمع حوله أجزاء كاملة من وجودنا، إنها الحياة كلها مكثفة مختصرة، فالذكرى عند من وهبت له حاسة البصر سلسلة من اللوحات؛ أي من الصور والألوان، وقد تماسكت هذه الصور فأصبحت كل صورة تستدعي الصورة الأخرى. إنّ بين الإدراكات البصرية والأفكار انسجامًا خفيًا يدركه الشعراء، ويراعونه في كل ما ينظمون".[٤]

لكن هناك من الدارسين من ينفي "الفكرة التي تُقْصِر قدرة الشاعر الفنية على التقديم الحسي للمعنى في الصورة على حاسة البصر؛ لأن الصورة الشعرية [كما سبق أن ذكر] نتاج جميع الحواس والملكات..."[٥].

ويبدو أن هذا الرأي صائب، وبناءً عليه فإن البحث في تناوله لأثر حاسة البصر في نظم الصور الشعرية لا ينسى أبدًا أنّ الصورة إنما هي نتاج الحواس والملكات الأخرى. ولا يمكن ردها إلى حاسة دون الأخرى، وإنْ فَصَلَ البحثُ بين الصورة البصرية وغيرها من الصور الحسية الأخرى، فمن قبيل الحاسة الغالبة فقط ولهذا فإن دارسي الصور الشعرية قد يختلفون في نسبتها إلى الحواس، بل يختلف القراء أيضًا في ذلك.

ولنحاول الآن أن نورد نماذج من الصور البصرية التي وظفها الشاعر ضمن أغراضه الشعرية، ولنحللْها للوقوف عند مدى اعتماد الشاعر على حاسة البصر ومدى نجاحه في نسج

الصور بواسطتها.

ففي قصيدة للشاعر يصوّر من خلالها مشهد رحيل صديقه الملك المعتمد بن عباد، عندما ألقي القبض عليه، ونقل إلى المغرب "سجلماسة"، ليزج به في السجن، يقول:

وَلَمَّا رَحَلْتُمْ بِالنَّدَى فِي أَكُفِّكُمْ
وَقُلْقِلَ رَضْوَى مِنكُمْ وَثَبِيرُ
رَفَعْتُ لِسَانِي بِالْقِيَامَةِ قَدْ أَتَتْ
أَلَا فَانْظُرُوا هَذِي الْجِبَالُ تَسِيرُ[٦]

فالشاعر في هذه الأبيات، يعتمد حاسة البصر أساسًا للتصوير، والإيحاء بشعوره وآلامه، ففي البيت الأول نفهم من صورة رحيل صاحبه حاملاً الجود بين يديه، أن الشاعر لم يصدّق ما ترى عيناه من القبض عليه، فحكّم منطق عاطفته؛ ليقول "رحل" عوض أن يقول "ألقي القبض عليه"، ثم يؤوب إلى نفسه ليعلمنا أن هذا الرحيل ليس طبيعيًا وإنما لهوله حُرِّكَ جبلا رضوى وثبير، وقد رمز بهما إلى أن ما طرًا على المعتمد إنما هو هدمُ حضارةٍ ودين كان منبعهما أرض الحجاز؛ حيث الجبلان رضوى وثبير، ثم يمضي في البيت الثاني ليصور نفسه مذهولاً مذعورًا رافعًا صوته معلنًا أن يوم البعث قد حلّ، ويدعو السامع أن يصدق، وكيف لا، وهو يرى بني عباد قد ساروا نحو مجهول.

وهكذا، فقد جاءت صور الشاعر في هذين البيتين من الشعر ملونة بالذهول والحسرة، مصبوغة بالضياع والفراق، مما يدل على أنه وظّف فيها جميع منازعه، سواء أكانت حسية بصرية أم عقلية أم عاطفية، فولد بذلك صورًا مفعمة بالانفعال قادرة على نقله، يقول ريتشاردز: "من السفه أن نحكم على الصورة، كما نحكم على شيء حسي نراه، إنّ الذي يبحث عنه المصوّرون في الشعر ليس هو الصور الحسية المرئية، ولكن سجلاتٍ للمنبهات أو منبهاتٍ للانفعال..."[٧].

وفي قصيدة أخرى في المدح يتوسل الشاعر حاسة البصر؛ ليقدم خصال عليّ بن يحيى ومناقبه؛ حيث يقول:

وَجَدْنَا فَخْرَ ابْنِ يَحْيَى عَرِيضًا
ظُنَّ مَا شِئْتَ غَيْرَ ضَيِّقِ الْفَخَارِ
مَلِكٌ فِي حِمَايَةِ الْمُلْكِ مِنْهُ
قَسْوَرٌ شَائِكُ الْبَرَاثِنِ ضَارِ
عَادِلٌ يَتَّقِي الإِلَهَ وَيَعْفُو
عَنْ ذِي السَّيِّئَاتِ عَفْوَ اقْتِدَارِ
أَسْكَنَ اللَّهُ رَأْفَةً مِنْهُ قَلْبًا
وَرَسَا طَوْدُ حِلْمِهِ فِي الْوَقَارِ
لَا تَزَالُ الأَبْرَارُ تَأْمَنُ مِنْهُ
سَطْوَةً تُتَّقَى عَلَى الْفُجَّارِ[٨]

في هذه الأبيات، يقدم الشاعر أوصاف الممدوح، من خلال حاسة البصر والخيل، مضخّمًا صورته مبالغًا في الرفع من شأنه، وهي عادة جرى عليها الشعراء الأقدمون لإظهارِ الممدوحِ أقوى مِنْ كُلِّ مَا وُصِفَ، فعظمة الممدوح كبيرة، ولك أن تعتقد ما شئت، لكن من غير الممكن أن تراه قليل الخصال الحميدة والمناقب الرفيعة، فهو ملك مطاع شبيه بالأسد الضرغام القوي المخالب المتدرب على مواجهة

أثر الحواس في تشكيل الصور الشعرية في شعر ابن حمديس

المكاره، وهو منصف يخاف الله، عفو عند المقدرة، سكنت الرأفة قلبه، وحلمه جبل عظيم رسا عند الرزانة، والصواب وهو آمن الجانب على الصادق الأمين، متسلط على العادل عن الحق الراكب للمعاصي، ومن الطبيعي أن يعتمد الشاعر الحواس عمومًا لنقل مشاعره وعواطفه إلاّ أنه يتوجب عليه ألاّ يبقى مربوطًا إلى الحس الظاهري، ويبدو أن الشاعر هنا، وُفّق في الجمع بين الحس والخيال فأرانا "الفخر عريضًا" و"الفخار غير ضيق"و"الرأفة تسكن القلب" و"الحلم طودًا يرسو في مرسى الوقار"، لكنه في البيت الثاني أورد صورة لم تتعد حدود المألوف عند الأقدمين، وهي جعل الممدوح مثل القسور (الأسد) وهذا النوع من الصور لَمِمّا يضعف الأصالة عند الشاعر؛ لأنها مقتصرة على حدود الصورة التقليدية المبتذلة، فمن لا يعرف صورة "فلان أسد"؟

وفي معرض الوصف يقدم الشاعر، صورة لحصان أجرد قوي يشبه الأسد، وهو يتحرك فوق الأرض، مؤثرًا فيها، محدثًا فوقها سماء من الغبار، ثم يعرض بعض جوانب هذا الحصان، فإذا هو جواد لا يمنعه شيء عن الجري، نظره قوي يمكنه من رؤية ما خفي في ظلام الليل، وسمعه حاد يساعده على ذلك أيضًا، وهو حصان له قصب السبق في جميع ميادين السباق، مثله في ذلك مثل رمح يدفعه الرامي نحو هدف ما، يقول:

ومُنْجَرِدٍ كَالسِّيدِ يُعْمِلُ أَرْضَهُ
فَيَبْنِي سَمَاءً فَوْقَهُ، سُمْكُهَا النَّقْعُ
مَتَى يَمْنَعِ الْجَرْيُ الْجِيَادَ عَنِ الْوَنَى
فَفِي يَدِهِ بَذْلٌ مِنَ الْجَرْيِ لاَ مَنْعُ
لَهُ بَصَرٌ مُسْتَخْرِجٌ خِبْئَ لَيْلَةٍ
إِذَا الْحِسُّ أَهْدَاهُ إِلَى قَلْبِهِ السَّمْعُ
وَيَمْرُقُ بِي فِي السَّبْقِ فِي كُلِّ حَلْبَةٍ
فَتَحْسَبُهُ سَهْمًا يَطِيرُ بِهِ النَّزْعُ.[٩]

إنّ الشاعر في هذه الأبيات، رغم نزوعه فيها منزع القدماء في مماثلة الواقع، إذ الصورة عندهم غالبًا ما تكون "مكتملة أمام العين المبصرة، وهي من الناحية الشكلية تماثل الواقع تماثلَ مطابقةٍ، لكنها بعد ذلك لا تدل على تفكير حسّي".[١٠] رغم ذلك وجدنا أن الشاعر اعتمد على الحركة والحس ورصدهما، فجاءت صوره للحصان القوي المحرك للأرض المحدث سحابة من النقع، الحاد البصر، صاحب قصب السبق في أثناء العدْو، جاءت هذه الصور ناقلة شعورًا صادقًا بجمال الحصان وروعته، ويبدو أن الشاعر هنا، توسل النظر الحسي في مشاهدة هذا الحصانِ وأَوْصَلَه بإحساس نفسي جمالي، فنقل إلينا صورة نامية متحركة لجواد رآه بعينه وروحه.

ولم تكن صور ابن حمديس الوصفية جميعها موحية بل كثيرًا ما نراه في صور بصرية يقف بها عند حدود الحس دون النظر إلى ربط هذا المحسوس بجوهر الشعور والفكر، فهو مثلاً ينقل إلينا صورة البرد، وقد تساقط ليغطي وجه الأرض، يقول:

نَثَرَ الجو على الأَرْضِ بَرَدْ
أَيُّ دُرٍّ لِنُحُورٍ لَوْ جَمَدْ
لُؤْلُؤٌ أَصْدَافُهُ السُّحُبُ الَّتِي
أَنْجَزَ الْبَارِقُ مِنْهَا مَا وَعَدْ

مَـنَـحَـتْـهُ عَـارِيـا مِـنْ نَـكَـدْ

وَاكْتِسَابُ الدُّرِّ بِالْغَوْصِ نَكَدْ[11]

إنّ صورة الشاعر هنا حسية اعتمد فيها على حاسة البصر دون غيرها، ففي بداية الأبيات نقل إلينا صورة البرَد منثورًا على وجه الأرض هنا وهناك، وقد أعجب بلونه وأشكاله ورأى أنه صالح أن تُحَلّي به النساء نحورهن لشبهه بالدر، إلاّ أنه يستدرك ويستبعد هذه الوظيفة له، بسبب خاصية الذوبان، ثم يمضي ليقارن بين صورة البرد المتساقط بأعداد هائلة، وصورة الدر الحقيقي الذي لا يحصل عليه الناس إلاّ بالغوص في أعماق مياه البحار، وكأني به، يتمنى أن يكون الدر متوفرًا بقدر توفر حبات البرد.

والشاعر في هذه الأبيات يقدم لنا صورًا متضافرة متآلفة وينقل إلينا شعورًا حسيًا صادقًا لصورة البرد، إلاّ أنّ توسّله للبصر وحده في نقل صوره دون النفاذ إلى ما توحي به أغوار النفس لمِمّا يضعف الصورة ويجعلها سطحية لا تعبر إلاّ على الظاهر من الأشياء. ولا نعيب عمل الشاعر هنا، ذلك لأنه لا شك اتّبع منهج القدماء في بناء صوره، فالشاعر القديم في أغلب الأحيان يهدف من وراء صوره إلى رسم الواقع ونقله، لكن الحقيقة أن قوة الشعر يجب أن تتمثل في الإيحاء بالأفكار عن طريق الصور لا بالتصريح بها مجردة[12].

ونجد للشاعر صورًا شعرية بصرية غير قليلة في أغراضه الشعرية الأخرى، ومن ذلك قوله في رثاء عمته:

فَيَا لَيْتَنِي شَاهَدْتُ نَعْشَكِ، إذْ مَشَى

حَوَالَيْهِ: لاَ أَهْلِي حَفَاةً ولاَ صَحْبِي

وَدَفْـنَـكِ بِـالأَيْـدِ الْـغَـرِيـبَـةِ وَالْتَقَتْ

مَعَ الْمَوْتِ فِي إِخْفَاءِ شَخْصِكِ فِي حَدْبِ

فَـأَبْـسِـطَ خَـدِّيَ فَـوْقَ لَـحْـدِكِ رَحْـمَـةً

وَتَسْفِي عَلَيْهِ التُّرْبَ عَيْنَايَ بِالْهُدْبِ[13]

يبدو من خلال هذه الأبيات أن دور البصر يظهر عند الشاعر منذ البيت الأول، ذلك لأن استعماله للفعل "شاهدت" إنما يدل على أنه اعتمد حاسة البصر؛ لنقل صورة نعش عمته المحمول نحو مثواها الأخير، وقد سار حواليه أناس، لا هُم أهل الشاعر ولا صحبه، ويصور عملية الدفن التي تمت بأيد غريبة، أيدي أناس ليسوا من ذوي عمته، وهو هنا يلوح إلى أنها دفنت بعيدة عن أرضها (صقلية)، دفنت في مكان، ما شاءت أن تدفن فيه، وقد واراها التراب أناس غرباء، ويمضي في البيت الأخير متمنيًا أن يبسط خده فوق قبر عمته، وتذري عليه عيناه بأهدابها التراب، طالبًا لها الرحمة والمغفرة.

ومما يلاحظ على هذه الصور المعبرة عن مراسيم دفن عمته أنها توحي إلى أبعد الحدود بمعاناة الشاعر، إذ رسم لنا مشاهد متحركة نراها بأعيننا، لكن براعةُ التصوير ودقةُ العرض وربطَ ذلك بالإحساس النفسي، جعلها مثيرة لعواطف المتلقي، معبرة عن أحاسيس عميقة، وهنا يكمن الفرق بين شاعر وشاعر وبين رسام ورسام.

وفي معرض الغزل نجد للشاعر صورًا شعرية، ينقل إلينا من خلالها جمال محبوبته وبعض خبايا المرأة ودخائل نفسها، فيقول:

وَرَيْحَانَةٍ فِي النَّفْسِ مَنْبَتُ غُصْنِهَا

لَهَا نَفَسٌ يُحْيِي بِنَفْحَتِهَا النَّفَسَا

إِذَا أَقْبَلَتْ كَانَتْ بِتَقْوِيمِ خَلْقِهَا
وَمِشْيَتِهَا بِالشَّمْسِ تَسْتَوْقِفُ الشَّمْسَا
فَتَاةٌ إِذَا اسْتَعْطَفْتَ بِاللِّينِ قَلْبَهَا
عَلَى الصَّبِّ أَضْحَى وَهُوَ مِنْ حَجَرٍ أَقْسَى(١٤)

في هذه الأبيات ينقل إلينا الشاعر صورة لفتاته الجميلة التي يراها نبتة طيبة الرائحة، لها مكانة ثابتة في قلبه ووجدانه، ذات رائحة طيبة تنعش الروح، إن أقبلت كانت بجمال خلقها ومشيتها وحليّها أجمل من الشمس، ثم يبين لنا مدى معرفته بخبايا المرأة ودخائل نفسها، فيصورها على أنها صعبة القياد عند اللين. ويبدو على هذه الصور الجزئية للفتاة أنها موحية مثيرة للانفعال والوجدان في نفس الشاعر والمتلقي؛ ذلك لأنه ارتقى بها عن مستوى الحس الظاهري رغم وضوح ما هو بصدد نقله إلينا.

وفي الغزل دائمًا يعتمد الشاعر في الأبيات الآتية، على الرؤية؛ لتصوير امرأة يبدو أنه أعجب بها، فينقل آلامه البالغة من صدها عنه، ويبالغ فيرى الحسن مجسمًا، يأخذ الجمال من وجهها، وليس هذا فقط بل الشمس والقمر دون جمالها، وأخيرًا يراها تمشي غير قادرة على نقل خطاها، وقد انقطع النفس منها بسبب الإعياء، ويعذر خصرها الذي ون عن حمل ردفها، فيقول:

وَأَرَى الَّذِي تَجِدِينَ فِيكِ لَهُ
نَفْعًا فَمِنْهُ مَسَّنِي الضُّرُّ
مِنْ وَجْهِكِ الْحُسْنُ اقْتَنَى مُلَحًا
فَكَأَنَّهَا فِي وَجْهِهِ بِشْرُ
لَيْسَتْ تَنَالُ الشَّمْسُ مَنْزِلَةً
مِنْهَا، فَكَيْفَ يَنَالُهَا الْبَدْرُ؟
وَأَرَاكِ قَدْ حَاوَلْتِ نَقْلَ خُطًى
فَقَصَرْتِهَا وَعَلاَ بِكِ الْبُهْرُ
وَعَذَرْتُ مِنْكِ الْخَصْرَ مَرْحَمَةً
وَلِحَمْلِ رِدْفِكِ يُعْذَرُ الْخَصْرُ(١٥)

يبدو من خلال هذه الأبياتِ التي اعتمد فيها الشاعر على البصر، أنّه قد وفق كذلك إلى حد ما في أبياته الثلاثة الأولى؛ حيث أرانا صدّ المحبوبة له على أنه ألم بالغ الأثر في نفسه، وأرانا الحسن مجسمًا يقتني جمالها، وجعل مكانتيّ الشمس والقمر دون مكانتها، ثم في البيتين الأخيرين يتوسل بالفعل "رأى"؛ ليصورها ثقيلة الخطى قصيرتها، متقطعة النفس بسبب الإعياء، ويعذر خصرها رحمة به؛ لأنه حُمّل ردفها الضخم وهولا طاقة له على ذلك، ويبدو أن صور المحبوبة في هذين البيتين الأخيرين، لم تؤد وظيفتها داخل التجربة الشعرية؛ ذلك لأنها لم تأت مسايرة للفكرة العامة والشعور السائد، إذ بينما توصف المحبوبة بالجمال الرائع والمنزلة العالية المنافسة لمنزلتي الشمس والقمر، إذا بها في الأخير ثقيلة الخطى قصيرتُه متقطعة النفس بسبب الإعياء من حمل جسمها الضخم، وهذا نوع من التناقض.

وكذلك نجد للشاعر أبياتًا شعرية يصور فيها امرأة تصويرًا حسيًا متناولاً جسمها، وكأنه رسام ينقل إلينا صورة ماثلة أمامه، يقول:

وَنَاهِدَةٍ تَرَبَّتْ كَفُّهَا
تَرَائِبَهَا بِسَحِيقِ الْعَبِيرِ
تَصُونُ عَلَى الْقَطْفِ رُمَّانَةً
مِنَ النَّهْدِ فِي غُصْنِ بَانٍ نَضِيرِ

لَـهَـا وَجْـنَــةٌ صُقِلَتْ بِالنَّعِيمِ
وَنَـاظِــرَةٌ كُحِلَتْ بِالْفُتُــورِ
وتَـبْـسُـمُ عَـن أُقْـحُــوَانٍ تُـرِيـكَ
عَلَى نُـورِهِ الشَّمْسُ إِشْـرَاقَ نُورِ
كَـأَنَّ غَـدَائِـرَهَـا الْمُـرْسَـلاَتِ
أَسَــاوِدُ سَابِحَـاتٌ فِـي غَـدِيـرِ[١٦]

ففي هذه الأبيات تبدو الفتاة أمامنا "كَاعِبٌ غَطَّى كَفُّهَا أَعْلَى صَدْرِهَا بِمَسْحُوقِ الْعَبِيرِ"، وهي"غُصْنُ بَانٍ جَمِيلٌ يَعْلُوهُ الرُّمَّانُ"،"خَدُّهَا يبدو عليه النَّعِيمُ"،"عَيْنَاهَا كُحِلَتْ بِالْفُتُورِ"،"عِنْدَ الابْتِسَامِ تُرِينَا أَسْنَانًا بَيْضَاءَ تُشْبِهُ زَهْرَ الأُقْحُوَانِ"،"أَسْنَانُهَا الْبَيْضَاءُ يَزِيدُهَا نُورُ الشَّمْسِ بَيَاضًا"،"غَدَائِرُهَا الْمُرْسَلاَتُ أَسْوَدٌ تَسْبَحُ فِي غَدِيرٍ".

إنّ أوصاف هذه المرأة، كما تبدو تمثل لنا صورة غزلية من النمط القديم الذي شاهدناه عند امرئ القيس وغيره، فهي تركز على الجمال الطبيعي كما تراه عينا الشاعر، لا كما يراه وجدانه وقلبه، ومن هنا فإن الشاعر لم يبلغ بها درجة الإيحاء والتصوير الفني اللذين يشيران إلى المعنى عن طريق غير مباشر، فيؤثران في النفس أشد التأثير، أما ما قد تتركه فينا هذه الصورة من آثار لا سبيل إلى إنكارها فإنه يعود إلى طبيعة موضوعها، لا إلى درجتها الفنية.

وهناك صور يمكن أن ندرجها تحت عنوان الصور المرئية وهي:الصور اللونية؛ ذلك لأنه لا يتم تمييزها الحقيقي إلاّ بالرؤية والنظر، ومن خلال الديوان نجد ابن حمديس يستعمل اللون بصفته عنصرًا مهمًا في رسم لوحاته، ووسيلة أساسية لنسجها، ومن ذلك اللون الأحمر الذي اعتمد عليه كثيرًا في رسم صوره البصرية، إذ نجده مثلاً يصف به خدّ محبوبته في قوله:

لَهَا حُمْرَةُ الْيَاقُوتِ فِي خَدٍّ مُخْجَلٍ
وقَسْوَتُـهُ مِنْهَا بِقَلْبٍ مُدَلَّـلِ[١٧]

ويلوّح باللون الأحمر إلى قوّة ممدوحه علي ابن يحيى، فيقول:

أَغَـرُّ كَـالْبَدْرِ يَعْلُو سَـرْجَـهُ، أَسَدٌ
أَظْفَارُهُ حُمْرُ أَطْـرَافِ الْقَنَا الذُّبَّلِ[١٨]

وقد يتوسل الشاعر بما يدل على هذا اللون، في صوره، كما نرى في افتخاره بقومه الصقليين فيقول:

وَأَجْنِـحَـةُ الـرَّايَـاتِ فِينَا خَـوَافِـقٌ
كَـأَنَّ دَمَ الأَبْطَـالِ فِيهِنَّ عَـنْـدَمُ[١٩]

ومن الألوان التي اعتمدها أيضًا وبكثرة، اللون الأسود، ومن ذلك وصفه لليلة حالكة، بأن ظلامها أسود سواد القار، يقول:

وَلَـيْـلَـةٍ حَـالِـكَــةِ الإِزَارِ
مَـدَّتْ جَنَاحًا كَسَـوَادِ الْـقَـارِ[٢٠]

وقد يتوسل الشاعر بما يدلّ على السواد الكبير، كما في قوله يصف عين الزرافة:

تَـلَـفَّـتُ أَحْـيَـانًـا بِـعَـيْـنٍ كَـحِـيـلَـةٍ[٢١]
وَجِيدٍ عَلَى طُـولِ اللِّـوَاءِ مُظَلَّلِ[٢٢]

وقد استعان باللون الأزرق لرسم صوره، ومن ذلك قوله في البركة التي رآها زرقاء بلون السماء، وقد تنبهت بفعل ريح الفجر التي هبت عليها، يقول:

أثر الحواس في تشكيل الصور الشعرية في شعر ابن حمديس

وَزَرْقَـاءَ فِي لَـوْنِ السَّمَاءِ تَنَبَّهَتْ

تَحْيِيكِهَا، رِيحٌ تَهُبُّ مَعَ الْفَجْرِ(٢٣)

واعتمد اللون الأصفر في صياغة صوره الوصفية، ومن ذلك رسمه لصورة الخمرة الصفراء التي تبدو مثل الشمس، يقول:

وَصَـفْرَاءَ كَـالشَّمْسِ تَـبْدُو لَنَا

مِنَ الْكَأْسِ فِي هَالَةٍ مُسْتَدِيرَهْ(٢٤)

ويستعمل اللون الأخضر أيضًا لنسج صوره في مثل قوله مادحًا يحيى بن تميم، واصفًا إياه بسعة الخير والإحسان والرّزق، معلنًا أنه إن قصده الناس، وطلبوا فضله وجوده، فإنهم لا محالة تلبى رغباتهم وتقضى حاجاتهم، وينالون من خيراته الواسعة شيئًا كثيرًا، وقد رمز إلى ما يملك من رزق وسعة خير بالحدائق الخضر، يقول:

رَحِيبُ ذُرَى الْمَعْرُوفِ مُسْتَهْدَفُ النَّدَى

تَندَى الأَمَانِي فِي حَدَائِقِهِ الْخُضْرِ(٢٥)

وقد استعان باللون الأبيض في بناء صوره، ومن ذلك وصفه أسيرات الأعداء أثناء سبيها، إذ يذكّر الأعلاج، كما يقول، بيوم أسر هذه الجميلات ذات الترائب البيض اللائي يمشين متمايلات مثل أغصان البانة، يقول:

هَلْ تَـذْكُرُ الأَعْـلاَجُ سَـبْيَ بَنَاتِهَا

بِظُبًـا جُعِلْـنَ قَـلاَئِدَ الأَجْيَـادِ

مِـنْ كُلِّ بَيْضَـاءِ التَّرَائِـبِ غَـادَةٍ

تَمْشِي كَغُصْنِ الْبَانَـةِ الْمَيَّـادِ(٢٦)

وابن حمديس دقيق في اختيار ألوانه، إذ ليست المسألة عنده مجرد تلوين الصورة، واختيار اللون للتعبير عنها وإبانتها، ولكن مهارته تكمن في قدرته على اختيار اللون المناسب لكل صورة يودّ بناءها، وتظهر قدرته المتميزة في معرفة خصائص الألوان عندما يمزج بينها، أو عندما تتعدد في صورة واحدة وتتزاحم.

ويبدو أنّ الشاعر يكثر من مزج اللون الأحمر بغيره من الألوان، فهو يمزج الأحمر بالأخضر في وصف انهزام أعداء صقلية، فيرسم صورة لدمائهم الحمراء المماثلة للخمور التي يتعاطونها، وقد احمرّ منها ورق الطبيعة الأخضر؛ حيث نشبت المعركة بينهم وبين الحسن بن علي، يقول:

وَحُمْرُ دِمَـاءٍ كَالْخُمُورِ الَّتِي سُقُوا

تَحَمَّرَ مِنْهَا فِي الظُّبَا وَرَقٌ أَخْضَرُ(٢٧)

ويمزج اللون الأحمر والأصفر والأسود في أثناء تصويره بعض جميلات صقلية عندما ساقهن الأعداء تحت دخان النفط المشتعل الذي كانت ترميه السفن الحربية، ويرينا هذه الجميلات مثل بنات الزنج الملوثة وجوههن بالدخان الأسود، وفي ألبستهن الحمراء والصفراء، يريهن إيانا، وقد تهيأن، عرائس لزفهن إلى أزواجهن، يقول:

وَحَرْبِيَّةٍ تَرْمِي بِمُحْرِقِ نِفْطِهَا

فَيَغْشَى سُعُوطُ الْمَوْتِ الْمَعَاطِسَا

تَرَاهُنَّ فِي حُمْرِ اللُّبُودِ وَصُفْرِهَا

كَمِثْلِ بَنَاتِ الزِّنْجِ زُفَّتْ عَرَائِسَا(٢٨)

وقد يخلط الأحمر بالأبيض والأسود في مثل قوله، مصورًا نفسه لمّا بلغه نعي أبيه، وقد تحولت عبراته البيضاء إلى حمرة، وشعره الأسود إلى بياض، يقول:

أَتَـانِي بِـدَارِ الـنَّـوَى نَعْيُـهُ
فَيَا رَوْعَـةَ الـسَّمْعِ بِالـدَّاهِيَـهْ
فَـحَـمَّـرَ مَـا ابْـيَـضَّ مِـنْ عَـبْرَتِي
وبَـيَّـضَ لِـمَّـتِـيَ الـدَّاجِـيَـهْ[٢٩]

وقد تجد لابن حمديس صورًا لونية، توسّل فيها بكلمة واحدة تدل على ألوان متعددة، وهي صور نلمس فيها جهدًا فنيًا ملحوظًا، وقدرة تصويرية بارزة، وهذا ما نراه في وصف إحدى الجميلات بأن خدّها ياقوتي اللون، والياقوت كما هو معروف حجر كريم مختلف الألوان، يقول:

لَـوْنُ الْـيَـاقُـوتِ وَقَـسْـوَتُـهُ
فِـي الْـوَجْـنَـةِ مِـنْـهَـا، وَالْـكَـبِـدِ[٣٠]

وقد يستعمل مفردة تدل على مزيج من الألوان أيضًا مثل كلمة "أكلف" الدالة على لون السواد في صفرة أو لون السّواد المشرب بالحمرة، في أثناء وصفه لأحد الطّيور الجارحة، ولو أننا نلاحظ نزوعه إلى الحوشيّ من الألفاظ، يقول:

وَأَكْـلَـفَ مِـنْـسَـرُهُ[٣١] ذو شَـغًـا[٣٢]
كَعَطْفَةِ رَأْسِ السِّنَانِ الذَّلِيقِ[٣٣] [٣٤]

ويتوسل الشاعر كلمة الحرباء بصفتها متعددة الألوان؛ ليصور دنيا علي بن أحمد الفهري بعد وفاته، فيقول:

وَدُنْـيَـاكَ كَـالْـحِـرْبَـاءِ ذَاتِ تَـلَـوُّنٍ
وَمُبْيَضُّهَا فِي الْعَيْنِ أَصْبَحَ مُسْوَدًّا[٣٥]

ويبدو من خلال دراستنا للصور اللونية التي نسجها ابن حمديس، أنّه عميق الإحساس بالألوان المتنوعة، بارع براعة تامة في نسج صوره اللونية، معتمدٌ اللون وسيلة من وسائل التصوير، ومن يتتبع ديوانه لا شك يلاحظ انتشار الألوان في شعره بشكل واسع، ويجد أن لكل عنصر من عناصر صوره اللونية ميزة؛ ذلك لأنه عمل على تسجيلها في شعره تسجيلاً دقيقًا وقد استعان على ذلك بقدرته الفائقة على التمييز بين لون وآخر، وتوظيف حاسة البصر توظيفًا دقيقًا.

المطلب الثاني: الصور الأخرى (سمعية، شمية، ذوقية، لمسية):

لا جدال في غلبة اعتماد البصر وسيلة لنسج الصور الشعرية وبنائها، لكنّ الشاعر ابن حمديس لم يستغن عن الحواس الأخرى في إخراج صوره وتجسيم الإحساس بها، إذ هولا يخفى عليه ما يحققه تعاون الحواس جميعًا لجعل مجال الصور أرحب وأوسع، ولهذا فمن يَعُدْ إلى ديوانه، لا محالة، يَجِدْ إلى جانب الصور المرئية صورًا أخرى رائعة اعتمد فيها على السمع والشم والذوق واللمس.

١- سمعية:

لقد اعتمد بن حمديس اعتمادًا بارزًا على السمع لبناء صوره، ولا أحد يجهل ما لهذه الحاسة من أهمية في فهم الأمور الذهنية الخيالية، وفي إدراك الجمال.

يرى إبراهيم أنيس أنّ وسيلة السمع ذات أهمية أكبر من حاسة البصر، أحيانًا؛ ذلك لأن السمع يستغل في النور والظلام، بينما البصر لا يستغل إلاّ في النور، ثم إنه بإمكان الإنسان أن يدرك الأفكار والمعاني بشكل أسمى وأرقى عن طريق السمع أقل من إدراكها عن طريق البصر.[٣٦]

وقد برع ابن حمديس في بناء صور سمعية جميلة بسبب ما أوتيه من حس صوتي مرهف، ولعل أكثر ما تغنى به الشاعر صوت غناء المرأة إضافة إلى تصوير أصوات المخلوقات الأخرى من إنسان وحيوان وطبيعة...

وفي أكثر من موضع في قصائد الشاعر تتتابع إلينا أصوات المغنيات، وذلك على نحو ما نرى في قوله مصورًا إحدى الراقصات مقيمة وزن الغناء على نظام حركات أعضائها، منغمة غناءها مؤثرة به على المكرم من الناس، جاعلة إياه أمامها في هوان العبد، يقول:

وَرَاقِصَةٍ بِالسِّحْرِ فِي حَرَكَاتِهَا
تُقِيمُ بِهِ وَزْنَ الْغِنَاءِ عَلَى حَدِّ
مُنَغِّمَةً أَلْفَاظَهَا بِتَرَنُّمٍ
كَسَا مُعْبَدًا مِنْ عِزِّهِ ذِلَّةَ الْعَبْدِ(٣٧)

ويكاد الشاعر هنا يسمعنا صوت المغنية بوصفه الدقيق له، وينقل النغم مثيرًا ملكة الخيال حاثًا إياها على تصور ألحان المغنية رغم ما يفصل بينهما وبين السامع من زمان.

ويصور الشاعر في مكان آخر منظر غيدٍ مغنيات، مثيرًا فينا حاسة السمع، معلنًا أن ألحانهن عذبةٌ لطيفةٌ، تبعد عذوبتها الهموم عن الحزين وتشيع السرور في جوانحه، فيقول:

وَغِيدٍ لَطَائِفُ أَلْحَانُهَا
تُنَغِّمُهَا لِسُرُورِ الْكَئِيبِ(٣٨)

ويرى الشاعر في موضع آخر، غناء جارية رقيقَ الأطراف لطيفها، وهو عند ترديده على آذان السامعين، أشبه بجرس الخلاخل، يقول:

رَقِيقَةُ أَطْرَافِ الْغِنَاءِ كَأَنَّهُ
إِذَا طَافَ بِالأَسْمَاعِ جَرْسُ الْخَلَاخِلِ(٣٩)

وتتلذذ أذن الشاعر بالكلام الجميل الناقل لنجوى المحبوبة، فيقول:

وَشَنَّفَ أُذْنِي بِالْهَوَى حُسْنُ مَنْطِقٍ
بِنَجْوَاهُ غَازَلْتُ الْغَزَالَ الْمُشَنَّفَا(٤٠)

وتصوير الشاعر لأصوات المغنيات، وكلام النساء، ظاهرة طبعت شعره بطابع على قدر من الطرافة، وأشاعت فيه جوًا من حياة اللهو التي ينقلها الشاعر إلينا، على بعد الزمان والمكان، هذه الحياة التي كان جزءٌ منها تلك الجلساتِ الغنائية والغرامية التي ما فتئ يَحْضرها الشاعر في المغرب والأندلس.

والشاعر في معرض مدحه للأمير "علي بن يحيى"، يصور أصوات أهل سفاقس المرددة للأدعية،شكرًا للأمير، على أنها محلقة في السماء لدرجة أن لم تسعها السماء والأرض، يقول:

وَدُعَاؤُهُمْ لَكَ فِي السَّمَاءِ مُحَلِّقٌ
حَتَّى تَضِيقَ بِعَرْضِهِ الأُفُقَانِ(٤١)

والصورة هنا واحدة، لكنها متعددة من حيث قيمتها، فالأدعية متنوعة، وكل دعاء يعرض فضيلة من فضائل الأمير عرضًا مباشرًا وغير مباشر، وتتصل أطراف الأصوات معا لتجمع في نهاية الأمر محاسن الأمير وأفضاله، ومن هنا جاء جمال الصورة.

ويتوسل الشاعر بأصوات الطبيعة الحيّة؛ لينقل إلينا مدى قدرته على نظم شعرٍ مؤثر على المتلقي من جانب موسيقاه، فالمستمع وهو يقرأ

شعره أو يسمعه لا تقر أذنيه زفراتُ الحزن والأسى، لكن يسمع صوتًا قويًا حلوًا أشبه بصوت الصُّرَدِ وهو يتشوق إلى سماع صداه يتردد مرارًا وتكرارًا على أذنيه، ولم لا وهو شعر يجمع بين حلاوة صوت الرئم وقوة صوت الأسد:

لاَ يَسْتَمِعُ فِيهِ مُسْتَمِعٌ
زَفَرَاتِ أَسًى كَالْمُفْتَقِدِ
فَصَفِيرُ الْبُلْبُلِ مُطَّرَحٌ
فِي الأَيْكِ لَهُ صَوْتُ الصُّرَدِ
تَسْتَحْسِنُ عَوْدَةَ مُنْشِدِهِ
وَتَقُولُ إِذَا مَا زَادَ: زِدِ
فَبُغَامُ الرِّئْمِ حَلاَوَتُهُ
وجَزَالَتُهُ زَأْرُ الأَسَدِ(٢)

وفي مكان آخر يتوسل بالصوت؛ ليرسم بشعره صورة القوة والتأثير، فيقول:

وَلِي كَلِمٌ كَأَنَّ اللَّفْظَ مِنْهَا
يَرُشُّ السَّمْعَ مِنْهُ بِالسِّهَامِ(٣)

ودائمًا نحس أن له قدرةً على التقاط الصوت وتشبيهه، إذ نجده يصور أعداء علي بن يحيى من الصليبيين، ويشبه أصواتهم أثناء طعنهم في نحورهم بخوار الأبقار، يقول:

إِذَا مَا شُكَّ نَحْرُ الْعِلْجِ مِنْهُ
تَعَالَى بِالْحِمَامِ لَهُ خُوَارُ(٤)

وإلى جانب تصوير الشاعر لأصوات البشر نجد أنه شُغل أيضًا بتصوير أصوات الحيوانات، ومن ذلك قوله في محاكاة صوت حمامة، يقول:

وَنَاطِقَةٍ بِالرَّاءِ سَجْعًا مُرَدِّدًا
كَحُسْنِ خَرِيرٍ مِنْ تَكَسُّرِ جَدْوَلِ(٥)

فهو هنا يحاكي صوت الحمامة محاكاة دقيقة في أثناء ترديدها حرف الراء، ثم لم ينته عند هذا الحد، وإنما أعطانا مثيله في الطبيعة، وهو خرير الماء عند انعطاف جدول، ولعل جمال الصورة لم يأت من مجرد نقل صوت الحمامة وصوت خرير المياه وإنما جمالها أيضًا فيما تحدثه الحمامة من حركة أثناء ترديدها لحرف الراء، وكذلك ما يحدثه خرير الماء أثناء انسيابه عبر الجدول.

وفي معرض رثاء القائد أحمد بن إبراهيم، يورد الشاعر ضمن قصيدته بيتًا من الشعر يجعل فيه صهيل جياد المرثي بكاءً ونياحًا عليه:

كَمْ جَوَادٍ بَكَاكَ غَيْرَ صَبُورٍ
فَنِيَاحٌ عَلَيْكَ الصَّهِيلُ(٦)

وفي هذا البيت نرى أن الشاعر يصور الجياد باكية نائحة، لكن في الحقيقة ليس الأمر كذلك؛ إذ من غير المعقول أن تبكي الحيوانات وإنما منطق الشاعر العاطفي هو الذي جعله يترجم الصهيل إلى أسف وألم أو هو كما يقال أسقط شعوره الحزين على صورة الجياد الصواهل فسمع صوتها بكاءً ونياحًا، ونجاح الصورة في رأيي يَكْمُنُ في هذه القدرة على إشاعة شعور الشاعر الحزين؛ ليشمل العاقل وغير العاقل.

ونظرًا إلى أن الشاعر كان متجولاً بين البلدان الإسلامية، فإننا نرى له صورًا كثيرة طبعها بجو الحياة في الفلوات التي كان يقطعها، فهو مثلاً في جولة له في إحدى مناطق المغرب

الموحشة يسجل على أشرطته الحساسة ما تموج به الطبيعة من أصوات الحيوانات الموحشة من مثل عواء الذئاب وبغام الغزال يقول:

صَحِبْتُهُمْ فِي مُوحِشِ الأَرْضِ مُقْفِرِ
بِهِ الذِّئْبُ يَعْوِي وَالغَزَالُ تَبْغُمُ[٤٧]

ومثل تصويره لعوعوة بن آوى ونئيم البوم في البيت الآتي:

لابْنِ آوَى وَسْطَهَا وَعْوَعَةٌ
تُوحِشُ الإِنْسَ وَلِلْبُومِ نَئِيمُ[٤٨]

وكذلك الأمر بالنسبة للبيت الآتي؛ حيث يرسم لنا صورة الذئب يعوي مهددًا الأسد في حين أن هذا الأخير لا يراه كفوًا له يقول:

وعْوَعَ سِيدٌ عَلَى هِزَبْرٍ
فَمَا رَآهُ الهِزَبْرُ كُفُوَا[٤٩]

ولم يتوقف الشاعر عند تسجيل أصوات البشر وأصوات الحيوانات، وإنما نقل إلينا عبر شعره أصوات الطبيعة الجامدة، وذلك على نحو ما سجله في أثناء تصويره لمساجد سرقوسة التي حولها النصارى إلى كنائس، أصبح من حقهم أن يدقوا بها دقات النواقيس صباحًا شاؤوا أو مساء، يقول:

وَكَيْفَ وَقَدْ سِيمَتْ هَوَانًا وَصَيَّرَتْ
مَسَاجِدَهَا أَيْدِي النَّصَارَى كَنَائِسَا
إِذَا شَاءَتِ الرُّهْبَانُ بِالضَّرْبِ أَنْطَقَتْ
مَعَ الصُّبْحِ وَالإِمْسَاءِ فِيهَا النَّوَاقِسَا[٥٠]

ويبدو أن الشاعر في هذه الصورة، بتوسله دقات النواقيس وتسميتها نطقًا، قد وفق إلى نقل معاناة المسلمين وآلامهم، وكأني به تتقطع نفسه وتتمزق جوانحه بعد استبدال صوت الآذان رمز التوحيد برنين النواقيس رمز التثليث.

ويسجل الشاعر صوت سكب الخمرة من إبريقها، ويشبهه بتردد صوت السيد الخبير، ذي المكانة العالية، يقول:

يُقَهْقِهُ فِي الصَّبِّ إِبْرِيقُهَا
كَمَا هَدَرَ البَازِلُ[٥١] المُقْرَمُ[٥٢] [٥٣]

والشاعر لا يني يردد قهقهة الإبريق بصفتها صورة سمعية ينقل بها جزءًا من واقع حياة المجتمعات الإسلامية آنئذ، يقول:

إِذَا قَهْقَهَ الإِبْرِيقُ لِلْكَأْسِ خِلْتَهُ
يُرَجِّعُ صَوْتًا مِنْ عُقَابٍ مُصَرْصَرِ[٥٤]

وينقل إلينا الشاعر صوت الرعد في أماكن عديدة من نظمه، وربما عزا ذلك لشدة صوت الرعد، وإلى ما يحدثه من هلع وخوف عند قعقعته، مدويًا في قلب السماء الفسيح، فهو يصوره مرة، من شدة ارتفاع دويه، يكاد يجعل فؤاد الأرض منفطرًا، يقول:

إِذَا السَّمَاءُ بِصَوْتِ الرَّعْدِ صَرْخَتُهَا
يَكَادُ مِنْهَا فُؤَادُ الأَرْضِ يَنْفَطِرُ[٥٥]

ويصوره مرة أخرى ممثلاً لهدير الفحل المكرم من الجمال: "سَحَابٌ رَعْدُهُ هَدِيرُ الفَنِيقِ"[٥٦]

ويمثله مرة أخرى بهدير كبار السادة "أَصْوَاتُ الرُّعُودِ... كَأَنَّهُنَّ هَدِيرُ الجِلَّةِ..."[٥٧].

ومرة يشخص السحابة فإذا بها تصرخ بصوت الرعد صرخة تملأ بها الليل الأسود أنينًا "صَرَخَتْ بِصَوْتِ الرَّعْدِ... مَلأَتِ اللَّيْلَ البَهِيمَ

أنينا"(٥٨).

على هذا النحو، مضى ابن حمديس في تصوير ما يترامى إلى حاسة سمعه من أصوات الحيوانات وغيرها، فتارة يصورها مبينًا جمالها أوْهولها، وطورًا يقارن بينها وبين غيرها من الأصوات الأخرى في قدرة بارعة أعانته عليها حاسة سمعه المرهفة اللاّقطة للأصوات المميزة بينها، ومن يعد إلى ديوانه، يجد إضافة إلى النماذج السابقة، صورًا صوتية أخرى من مثل "صفيرًا لبلابل" و"بغام الرئم" و"زئير الأسد"و"هديل الحمام" و"أصوات الطيور بصفة عامة"و"نغم الناي"و"صوت العود"و"جرس الخلاخل"و"نطق الرزايا"و"ألحان الرّدى" وما إلى ذلك...

٢- شميّه:

اعتمد ابن حمديس على حاسة الشّم، وقدّم لنا بعض الصور، نشعر لدى قراءتها أن الشاعر يتمتع بحاسة شمية دقيقة، لها قدرة بارعة على التمييز بين أنواع العطور من الطيب والمسك والعبير والكافور وما إلى ذلك. ويبدو من خلال الديوان أن الشاعر، ركز كثيرًا على ما يتعلق بعطور المرأة وروائحها، فهي مرة في نظره روضة يعبق منها أرج مسك لا نهاية لرائحته الطيبة كما في قوله:

أو نَـفْـحَـةٌ تَـعْـبَـقُ مِـنْ رَوْضَـةٍ

تُحْيِي مِنَ الصَّبِّ رَمِيمَ الْعِظَامِ

غَـزَالَـةُ الـسِّـرْبِ الَّـتِي جِسْمُهَا

مَـعَـانُ مِـسْـكٍ مَـا عَـلَاهُ خِـتَـام(٥٩)

إنّ المتأمل لهذين البيتين، ليرى جمال الصورة في إحساسه برائحة منتشرة من فتاة كالغزالة، جسمها مصدر مسك لا ينضب معينه، وهي روضة متنوعة الأزهار تُحْيِي، بما يعبق منها من روائح، روحَ العاشق الولهان.

وهو يرى مرة أخرى كافورة في بياض لونها ورائحتها، ومسكة في أريج طيبها:

كَـــافُـــورَةٌ(٦٠) فِـي بَـيَـاضِ لَـوْنٍ

وَمِـسْـكَـةٌ فِـي ذَكِـيِّ طِـيـب(٦١)

ويعطي صورة عامة عن ساقية رشيقة، تطوف بالخمر ذاهبة آيبة، ويركز على تصوير صدغها، فإذا به حلقات من الشعر معطر بمسك ممزوج بالكافور، وربما كانت الرائحة التي تتضوع من مزيج عطرها، هي التي جلبت نظره إلى التركيز أكثر على تصوير هذه الجزئية منها:

تَطُوفُ بِهَا مَمْشُوقَةُ الْقَدِّ زَرْقَنَتْ(٦٢)

مِنَ الْمِسْكِ فِي الْكَافُورِ صُدْغًا مُعَطَّفَا(٦٣)

ويبالغ ابن حمديس مبالغة مقبولة؛ ليصور المرأة مماثلة لغزال المسك تمامًا:

أَغَـزَالَـةَ الْـفُـلْـكِ الَّـتِي عَبَقَـتْ

مِسْكًا، فَقُلْتُ: غَـزَالَـةُ الْـمِسْكِ(٦٤)

ويمضي الشاعر مصورًا المرأة طيبةً أنفاسُها: "وَطَيِّبَةِ الْأَنْفَاسِ نَحْسَبُ وَصْلَهَا"(٦٥)، طيبًا كلامُها:" يَنِمُّ عَلَيْهَا طِيبُ رَيًّا كَلَامِهَا"(٦٦)، ويصورها متبخترة يعبق من ثيابها عطر كأنه المسك:"أَمَا تَضَوَّعَ مِنْ أَرْدَانِهَا أَرَجٌ كَأَنَّهُ مِسْكٌ"(٦٧)، أوهي في أثناء مشيتها ينتشر منها الطيب فتُعطِّر به ما يحيط بها: "مُضَيِّعَةٌ لِلطِّيبِ تُطَيِّبُ...تُرَابًا"(٦٨)، وهي تحمل أنفاسًا عطرة

أثر الحواس في تشكيل الصور الشعرية في شعر ابن حمديس

بين طياتها مسك السلام:"...تَحْمِلُ أَنْفَاسُهَا لَطَائِمًا(٦٩) ضُمِّنَ مِسْكَ السَّلَامِ"(٧٠)، ويرسم لها مرة أخرى صورة لعقربَيْ صدغيْها على أنهما من عنبر:"وَعَقْرَبَا صُدْغَيْكِ مِنْ عَنْبَرٍ..." (٧١)، ويصورها ناقلاً منها عاشقُها ريّا العبير،ومن ربوع بلدتها أريج الخزامى يقول:

تَحَمَّلَ مِنْهَا بِرَيَّا الْعَبِيرِ
وَمِنْ أَرْضِهَا بِأَرِيجِ الْخُزَامَى(٧٢)

وهكذا فالمرأة في شعر ابن حمديس، غالبًا ما توصف، وهي متعطرة، نكاد نشم رائحة المسك أو العنبر أو الطيب أو الكافور، تتضوع منها، ويبدو أن الشاعر باستخدامه لأنواع الروائح، إنما يريد أن يسم صوره بالجمال الحسي المتوسل لحاسة الشم، وينقلها إلينا عطرة متعطرة جميلة رائعة، مثلُها مثَلُ النساء الجميلات المتزينات بمختلف وسائل الزينة؛ ليظهرن أنيقات ذوات أريج ذكي طيب ساطعةٍ رائحتُه، كلما انتشر شذاه، زاد مستنشقوه إقبالاً عليه وطلبوا الاستزادة منه.

ويستخدم الشاعر حاسة الشم؛ ليصور الخمرة بمختلف أنواعها وروائحها، فهي تهدي أرج المسك، في قوله:

فَإِذَا فُضَّ خَاتَمٌ عَنْهُ أَهْدَتْ أَرَجَ
الْمِسْكِ وَهِيَ فِي ثَوْبِ نَارِ(٧٣)

يجسم الشاعر من خلال هذا البيت أرج الخمرة، حينما فض خاتم الدَّنِّ الممتلئ بها، ونُزِع عنه غطاؤُه؛ ليُشرع في توزيعها على الجمع، ويُستشف جمال الصورة في براعة تقديمها، إذ نراها ونشم شذاها، فإذا هي عطرةٌ تعبق منها رائحة المسك الطيبة، بارزةٌ في ثوبها الأصفر، جالبةٌ نظرَ متناوليها، حاثةٌ إياهم على استنشاق أريجها الطيب وعلى تعاطيها أكثر فأكثر.

ويصور ريّا عبير الخمرة مزيلاً هموم المحزون، فيقول:

وَحَمْرَاءَ تَنْشُرُ رَيَّا الْعَبِيرِ
وَفِي طِيبِهِ فَرَحٌ لِلْحَزِينِ(٧٤)

وفي هذا الموضع، يعتمد الشاعر حاسة الشم أيضًا؛ ليعطينا صورة حسية جميلة لرائحة الخمرة الحمراء، فيرينا إياها مُعتَّقة ينتشر أريج عبيرها، حاملاً بين طيّاته ما يخلص المهموم من الشدة والغم. والحقيقة أن المدمن على المشروبات الكحولية والمنبهات يرتاح كثيرًا عندما يشم شذاها، وهذه التجربة تصدق كثيرًا على رائحة القهوة بصفتها من المواد التي يُدمن عليها، وهي تجربة عند غير قليل من الناس.

وللشاعر مع الخمرة شؤون، فهو لا يني يذكرها في جميع أغراضه الشعرية، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- أنه أيضًا صوّر رائحتها من شدة قوتها، أن لوشمها صاح، لا يؤثر فيه تعاطي الخمرة؛ لأسرع إليه السكر، وفقد توازنه، فيقول:

لَوشَمَّهَا صَاحٍ عَسِيرٌ سُكْرُهُ
تَحْتَ لِثَامٍ فِدَامٍ(٧٥) لَطَفَحْ(٧٦)

ويعتمد الشاعر حاسة الشم لبناء بعض صوره المدحية، مركزًا على الجوانب المعنوية فيه، فيقدم أخلاق ممدوحه، يحيى بن تميم، طيبة، فيقول:

وَكَأَنَّ طِيبَ ثَنَائِهِ أَرَجٌ
عَنْ رَوْضِهِ يَتَنَفَّسُ السَّحَرُ(٧٧)

وفي هذا البيت يُلَمحُ جمال الصورة في جعل الأشياء المعنوية محسوسة، ذلك أنّ الشاعر أرانا أخلاق الممدوح، طيبًا أرجُها، صادرةً رائحتُها عن جنة من الجنان الساحرة.

ويقدم الشاعر ممدوحًا آخر هو الحسن بن علي مركزًا دائمًا على الجوانب المعنوية، فيقول:

إِلَيْكَ طَيِّبَ رَوْضِ الْمَدْحِ نَفْحَتَهُ
لَمَّا تَفَتَّحَ فِيهِ بِالنَّدَى زَهَرُ
يَجُوبُ مِنْهُ ذَكِيُّ الْمِسْكِ كُلَّ فَلاً
وَيَعْبَرُ مِنْهُ الْعَنْبَرُ الذَّفَرُ[٧٨]

وصورة الممدوح في هذين البيتين جميلة أيضًا، تتناسب ومقامه، إذ جعله منهلاً للرائحة الطيبة يأخذ منها الشاعر حاجته؛ ليطيب بها ما يَنْظم من شعر في المدح، فرائحة كرم الممدوح وجوده وشجاعته، تمدّ الشاعر بالقدر اللاّزم من العطر؛ ليخرج قصائده المدحية طيبة، مثلها في ذلك مثل الندى الذي يُفَتِّح أكمام زهور الروض؛ لتنتشر منه مختلف أنواع الروائح، وبهذا أرانا الشاعر نظمه متضوعًا منه أريجُ المسك والعنبر المستمَدَّيْن من الممدوح، ويبالغ على طريقة القدماء؛ ليصور رائحته العطرة شاملة كل الأرجاء والأنحاء "يجوب منه المسك كل فلا".

وابن حمديس يلجأ إلى هذا الضرب من التصوير؛ لبناء صوره المدحية في أماكن غير قليلة، إذ نراه مثلاً يجسّم التحية ويرسلها طيبة العرف إلى الممدوح؛ ليستنشقها، ويتلذذ بعبيرها، "أبا الحسن انْتَشِقْ...سَلامًا...نَسِيمُهُ مِسْكُ"[٧٩]، ويصف رسول ملك قسنطينة، الذي جاء يستعفي منه غزو بلاده بالهدايا، ويصوره عطِرَ الذِّكْرِ، خاضعا، لا يُسْمَعُ منه إلاّ الكلام الطيب العرْف: "مُطَيَّبُ الذِّكْرِ...عَرْفُهُ مِسْكٌ بِكُلِّ فَمٍ".[٨٠]

ولم ينس الشاعر في معرض مدح يحيى بن تميم أن يصف ريح بلدته بالرحمة ويرجوها أن تنعش الساهر في أرجائها، وتترك من لا يودّ أن يغتنم فرصة استنشاقها والتلذذ بها، ويرينا إياها متطيبة بالأرض التي عبقت رائحتها وأُثْقِل نداها بشتى أنواع العطور الطيبة، يقول:

فَيَا رِيحُ إِنَّ الرُّوحَ[٨١] فِيكِ فَعَلِّلِي[٨٢]
بِهِ سَاهِرًا، وَقِفَا عَلَى ذِكْرِ نَائِمِ
تَطَيَّبْتِ بِالأَرْضِ الَّتِي طَابَ تُرْبُهَا
وَمَجَّ نَدَاهَا النَّدَّ[٨٣] فِي أَنْفِ لاَثِمِ[٨٤]

ويستعمل الشاعر حاسة الشم؛ لبناء بعض صوره الشعرية في مواضع أخرى، ومن ذلك قوله في عزاء أبي الحسن علي في ابنه:

أَمْسَى دَفِينًا وَلَمْ تُدْفَنْ مَفَاخِرُهُ
كَالْمِسْكِ يُطْوَى، وَنَشْرٌ مِنْهُ يَنْتَشِرُ[٨٥]

والبيت هنا صورة لابن أبي الحسن المتوفى، ويبدو جماله في قدرة الشاعر على توسل حاسة الشم، لتصوير المتوفى مدفونًا إلاّ أنّ مفاخره لم توار التراب؛ ذلك لأنها أشبه برائحة مسك وعطر لا نراها بالعين المجردة لكن نحس بها منتشرة هنا وهناك.

وفي موضوع آخر، يرثي الشاعر القائد عبد الغني، ويصف الأرض التي توفي فيها بأنها أرض تُهْدي من المرثيّ رائحةً طيبةً ذكيةً "... لَتُهْدِي رِيحُهَا مِنْكَ عَرْفَ مِسْكٍ ذَكِيٍّ".[٨٦]

وفي وصف منازل أهل صقلية والحنين إليها،

أثر الحواس في تشكيل الصور الشعرية في شعر ابن حمديس

يركز على تربتها الطيبة فيصورها لنا عطرة تُطَيِّبُ الهواء "...فَمَغَانِي(٨٧) الْهَوَى يُطَيِّبُ طِيبُ ثَرَاهَا الْهَوَاءَ"(٨٨)، وفي مستهل مقطوعة شعرية، يصف الشاعر نسيم يوم جميل، ويشرك المتلقي في شم هذا النسيم الممزوج عطره بالكافور والمسك، يقول:

يَـــوْمٌ كَـــأَنَّ نَـسِـيـمَـهُ
نَـفَـحَـاتُ كَـافُـورٍ وَمِـسْـكِ(٨٩)

٢ - ذوقية:

إذا كانت حاسة السمع، تتمثل الأصوات والموسيقى وإدراك الأفكار المسموعة، فإن حاسة الذوق هي أيضًا مهمة في إدراك الجمال؛ إذ يلجأ إليها الشاعر في كثير من شعره؛ ليقدم لنا صورًا نحس لدى قراءتها أن لسانه فيها يتلمس مواطن الجمال والفن، فيصور لنا في أساليب مختلفة طعوم الرُّضاب والريق والشهد والسُّلاف والمُدام والحلاوة والسم وغيرها، ويبدو أنّ الشاعر مركز أكثر في صوره الذوقية على رضاب المرأة وريقها، ففي البيت الآتي، مثلاً، يرسم لرضاب محبوبته صورة يصفه فيها بالسُّلافة:

أَرُضَـــابُ فِيكِ سُـلَافَـةٌ، نَشْوَاتُـهَـا
يَمْشِينَ مِنْ طَرَبٍ بِقَدِّكِ رَاقِصَا(٩٠)

والصورة هنا يؤدي الذوق فيها دورًا مهمًا، فرضاب المرأة أفضل خمرة، سكرُها يسري نشوانَ عبر قدها الراقص، ونجاح الصورة، نراه في قدرة الشاعر على الجمع بين الذوق وتجسيم المعنويّ والحركة: "الرضاب سلافة، نشواتها يمشين، القد راقص"، إذًا فالصورة الذوقية هنا غير جامدة، نابضة بالحياة، يتحرك فيها كل شيء، فهي صورة نامية.

وفي البيت الآتي يصور رضاب المحبوبة فستقًا وتفاحًا، يقول:

مَـازِلْـتُ أَشْـرَبُ كَـأْسَـهُ مِـنْ كَـفِّـهِ
وَرُضَـابُـهُ نُقْلٌ عَلَى مَا أَشْـرَبُ(٩١)

فالشاعر في هذا البيت، ينقل إلينا صورته، فإذا هو يتعاطى الخمرة من كف المحبوبة، أما رضابها فلذته لذة تفاح وفستق، وقد وفق الشاعر في تشبيهه الرضاب بالمُكَسَّرات والفواكه، إذ عبر بذلك عن الذوق العام للمجتمعات الإسلامية الحالية التي هي امتداد لعصر الشاعر؛ حيث ما زالت العائلات العربية الإسلامية في لقاءاتها في الأفراح والأعياد وفي السهرات، مازالت تفضل أن تتناول المكسرات والفواكه إلى جانب المشروبات، أقصد غير الكحولية.

وفي مكان آخر، يقدم الشاعر صورة لمعاناته، لما حرمته محبوبته من التلذذ برضابها العذب، "وَمَنَعَتْنِي...جَنَى الرُّضَابِ الْمُسْكِرِ".(٩٢) ويصفها في موضع آخر بمجموعة من الصفات الجميلة، ويخص بالذكر رضابها الصافي الرائق الممتلئ للندى، ليقول: "... وَالطَّلُّ الرُّضَابُ".(٩٣)

ويكثر الشاعر، أثناء نسجه للصور الذوقية من تصوير ريق المحبوبة، فيرينا نفسه وقد أمسى بماء الشفاه السمراء مشفيًا غليله ومُبَرِّئًا نفسه من المرض، إن ريق المحبوبة طاب له وأسكره، فهل هو خليط من العسل والخمر؟! يقول:

فَـأَمْـسَـيْـتُ بِـهَـا بِـمَـاءِ اللَّمَـى
أُرَوِّي أُوَامًـا (٩٤) وَأُشْـفِـي سِقَامَا

حَـلاَ لِـــي وَأَسْـكَـرَنِـي رِيقُـهَـا

فَهَلْ خَامَرَ الأَرْيُ[٩٥] مِنْهُ الْمُدَامَا[٩٦]

والبيتان هنا صورٌ جزئية توسل فيها الشاعر حاسة الذوق لإخراجها "بِمَاءِ اللَّمَى، أُرَوِّي أُوَامًا، حلالِي وأسكرني ريقُها، فهل خامر الأَرْيُ منه المُدَامَا ".

ويلاحظ توفيق الشاعر هنا؛ حيث استطاع بهذه الصور أن يجسم أمامنا ذوق ريق المحبوبة، فإذا هو حلو شبيه بمزيج من العسل والمدام، والشاعر مقبل عليه مشف غليله، متلذذٌ بحلاوته، ولا شك أن المتلقي، وهو يستقبل هذه الصور الجزئية، يتمثل إحساس الشاعر تمثيلاً جيدًا.

ويصف الشاعر ريق المرأة في مواضع أخرى، إذ يرسم صورة لمحبوبته التي مرت متبخترة متمايلة كأنها سكرى من ريقها الشبيه بسلاف الكرم:

مَـرَّتْ تَمِيسُ فَقُلْتُ: هَلْ سَكِرَتْ

مِـنْ رِيقِـهَـا بِسُـلاَفَـةِ الْـكَـرْمِ[٩٧]

ويرينا في موضع آخر ريقَ المرأة يَبُزُّ الشهدَ حلاوةً ولذَّةً:

فَــلاَ تَــكُ مِنْهَا ظَـالِـمًا لِصِفَاتِهَا

عَلَى الثَّغْرِ بِالإِغْرِيضِ[٩٨] وَالرِّيقِ بِالشَّهْدِ[٩٩]

ويصف ريق امرأة جميلة بأنه أخ المدام "... فَمٌ فِيهِ أَخُو الدُّرِّ وَأُخْتُ الْمُدَامِ"[١٠٠].

ويصف الشاعر في بيت آخر نفسه يقطف، متلذذًا، ما حواه فم المحبوبة من ريق منعش لذيذ يطفئ به غليله:

وَأَجْـتَـنِـي مُسْتَطِيبًا مَـا حَـوَاهُ فَـمٌ

مِنْ مَاءِ ظَلْمٍ بَرُودٍ يُطْفِئُ الْحَرَقَا[١٠١]

ونجد الشاعر في أماكن أخرى يصف كرم الممدوح بماء نمير، ويصف الحرب، وطعم السم والشهد ونبيذ العسل والعلقم، والحلاوة والمرارة وما إلى ذلك.

ففي معرض مدحه لعلي بن يحيى، يقول:

تَحْسَبُ الْبَحْرَ بَعْضَ جَـدْوَاهُ لَـوْلاَ

أَنَّـهُ فِي الْـوُرُودِ عَـذْبٌ نَـمِيرُ[١٠٢]

فهو على غرار قدماء الشعراء يبالغ في هذا البيت، فيصور البحر بوافر خيراته بعضًا من كرم الممدوح، ويُفَصِّل الصورة متوسلاً حاسة الذوق؛ ليحبب عطايا الممدوح "عذب نمير"، ويجعل ما يزخر به البحر دونها "البحر بعض جدواه"، وهو لا شك بهذه الصورة بلغ هدفه المادي إزاء الممدوح، أو على الأقل، عبر عما يجيش في جوانحه من أمان، ورسم صورة للممدوح، كما تمنى أن تكون في الواقع، لا كما هي موجودة، إذ من غير المعقول أن تعدّ خيرات البحر الكثيرة بعضًا من عطايا الشاعر وسخائه، لكن الحكم في هذا المقام فرض نفسه بإسناده إلى منطق الخيال والعاطفة.

وفي مدح آل عباد، يصفهم الشاعر بالشجعان الذين بنوا قدراتهم القتالية من ألبان أثداء الحرب، ويوظف الذوق؛ لينقل إلينا صورتهم مقبلين على هذه الألبان؛ أي على الحروب والمعارك بِنَهَمٍ، مستطيبين لها، رغم أنها مثل العلقم مرارة، يقول:

بَنُو الْـحَـرْبِ غَـذَّتْـهُـمْ لَـبَـانُ ثُدِيِّهَا

وَلَمْ يَسْتَطِيبُوا مِنْهُ إِلاَّ الْعَلاَقِمَا[١٠٣]

وفي وصف الشاعر لله سبحانه عزّ وجل، في أثناء رثاء القائد أبي الحسن، يتوسل حاسة

الذوق؛ ليبين لنا أن عدله المطلق أرانا حكمه ذا طعمين، طعم يقطع أوصالنا ويذيقنا السم الناقع، وطعم ينعشنا، ويذيقنا حلاوة العسل ولذته، يقول:

وَمُخْتَلِفُ الطُّعْمَيْنِ مِنْ طَبْعِ عَادِلٍ
فَطَعْمٌ لَهُ سُمٌّ، وَطَعْمٌ لَهُ شَهْدُ[١٠٤]

ويوازن الشاعر بين نوعين من الخمور موظفًا حاسة الذوق مفضلاً خمرة بنت الكرم على نبيذ العسل من حيث الطعم، يقول:

وَتَبْلُغُ بِنْتُ الْكَرْمِ مِنْ فَرَجِ الْفَتَى
بِلَذَّتِهَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ الْبِتْعُ[١٠٥]

وتتردد كلمتا الشهد والعلقم في نظم الشاعر، وذلك مثل ما رأيناه له في معرض افتخاره بقومه الصقليين الذين صمدوا في وجه الأعداء النورمانديين، صمود الشجعان وما ذاقوا لذة الشهد وحلاوته إلاّ بعد أن نهلوا من مرارة العلقم ما نهلوا؛ أي أنهم لم يحققوا النصر المبين على أعدائهم، إلاّ بعد أن خاضوا معارك دامية، لقوا ما لقوا فيها من مشقة وهوان:

صَبَرْنَا لَهُمْ صَبْرَ الْكِرَامِ، وَلَمْ يَسُغْ
لَنَا الشُّهْدُ إِلاَّ بَعْدَمَا سَاغَ عَلْقَمُ[١٠٦]

وكما ترددت كلمتا الشهد والعلقم في شعر ابن حمديس، ترددت كذلك كلمتا الحلاوة والمرارة، وتوسل بهما الشاعر؛ لبناء بعض صوره الشعرية الذوقية، ومن ذلك وصفه مرارة إيابه بعد لقاء المحبوبة مهدمة حلاوة مجيئه إليها والاستعداد للقائها، فيقول:

فَــفَـضَّــتْ حَـــــلاوَةَ مَــــوْرِدِي
مِـنْـــهُ مَـــرَارَةُ مَــصْــدَرِي[١٠٧]

٤ - لمسية:

إنّ الشاعر بصفته فنانًا، لم يكتف بالاعتماد على الصور البصرية والسمعية وغيرها، وإنما أشرك إلى جانب هذه الحواس، حاسة اللمس؛ ليصوّر ما يحسه من ليونة وحرارة وبرودة ونعومة وخشونة، يرى جان ماري جويتو أنّ اللمس: "يتيح لنا أن نشعر بإحساسات فنية من كل نوع حتى ليستطيع أن ينوب مناب البصر إلى حد بعيد، وإذا كانت حاسة اللمس عاجزة عن إدراك الألوان، إلاّ أنها تطلعنا على ناحية جمالية لا تستطيع العين وحدها أن تطلعنا عليها، كالنعومة والرخاوة والملاسة؛ فجمال المخمل لا يقوم على لمعانه فحسب، بل على نعومة ملمسه كذلك، وحين نحكم على امرأة بالجمال فلا شك أنّ مخملية بشرتها عنصر أساس في الفكرة التي قامت في أذهاننا عن جمالها. والألوان نفسها تستمد بعض جمالها من اقترانها بملمس ناعم، فبريق الشعور الشقر أو السود مرتبط بالملمس الحريري الذي تحسه الأصابع، وهي تداعب هذا الشعور"[١٠٨].

ويبدو من خلال قراءة الديوان أن الشاعر مهتم بوصف بعض جوانب المرأة المرتبطة بحاسة اللمس، والتي استمالت إحساسه واسترعت نظره، فهو يستخدم اللمس في تصوير مواطن جمال المرأة، يقول:

مَهَاةٌ تَكَادُ الْعَيْنُ مِنْ لَيْنِ جِسْمِهَا
تَرَى الْوَرَقَ الْمُخْضَرَّ فِي الْحَجَرِ الصَّلْدِ[١٠٩]

وما يسترعي الانتباه هنا هو أنّ الصورة إشارة إلى ليونة جسم المرأة ومماثلته بالورق الأخضر الغض النابت بين الحجارة الصلدة،

وتقديم بشرتها طريةً لينة بادية عليها علامات النعمة والرفاهية.

وفي موضع آخر يرسم الشاعر صورة لمسية أخرى لجسم محبوبته؛ إذ يقدمه فضي اللون ليّنًا ملمسُه "جِسْمٌ لُجَيْنٌ نَاعِمٌ مَلْمَسُه"(١١٠) والصورة هنا رغم أنها تبدو للوهلة الأولى مباشرة، إلاّ أنّ الإيحائية التي نتلمسها بين طياتها قد قوتها وأفضت عليها مزيدًا من الجمال، "فالجسم اللجين" يوحي بالرفعة والنفاسة، "ونعومةُ الملمس" توحي بالرفاهية وسعة العيش والمكانة الاجتماعية المرموقة.

وفي معرض تغزل الشاعر بإحدى الجميلات، استعمل عبارة "لذع الجمر" يقول:

كَــرْبُ هَـــوَاكِ وَمَـــالَـــهُ فَـــرَجٌ
وَمَـتَـى يُـفَـارِقُ لَـذْعَـهُ الْـجَـمْـرُ(١١١)

في هذا البيت يصوّر الشاعر عن طريق اللمس حزنه ومشقته من حب محبوبته الذي كواه حره، وطرافة الصورة جاءت من كونها، تجسم المعاناة وتقدمها ملموسة رغم أنها في الحقيقة معاناة نفسية تأثيرها نشعر به، لكن من غير الممكن أن نرجعه إلى حاسة بعينها.

وقد أكثر الشاعر خلال صياغة صوره الشعرية اللمسية من ذكر الجمر والشمس والنار وما تسببه حرارتها من أذى مادي ونفسي، وذلك على نحو ما نرى له في تصوير عشيقة له سنحت لها الفرصة للقائه، إلاّ أنها وهي مجتمعة به، كانت أشبه بواضع قدمه على جمرة ربما خوفًا من الرقباء:

كَـــانَـــتْ وُقُـــوفًـــا بِـــنَـــا زِيَـــارَتُـــهُ
كَـوَاضِـعٍ فَـوْقَ جَـمْـرَةٍ قَـدَمَـهُ(١١٢)

وهو في معرض رثائه القائد عبد الغني، يصور دموع الباكين عليه المتأثرين بوفاته، أنها تسيل جارية على الخدود، ومن شدة حرها، يشبهها بالجمر المحرق، فيقول:

تَـــذْرِفُ الْـعَـيْـنُ مِـنْـهُ جَـرْيَـةَ مَـاءٍ
تَـطَـأُ الْـخَـدَّ وَهْـيَ جَـمْـرَةُ كَـيٍّ(١١٣)

ويرسم صورة للشمس وقد ألقت أشعتها المحرقة على رمل الصحراء، فحوّلته إلى رماد ما زالت حرارة النار تنبعث منه:

إِذَا الشَّمْسُ أَحْيَتْ فَيْحَهَا(١١٤)، خِلْتَ
رَمْلَهَا رَمَادًا، وَقُودُ النَّارِ فِيهِ قَرِيبُ(١١٥)

ويمضي في القصيدة نفسها؛ ليصور الحرباء مستقبلة أشعة الشمس المحرقة دون أن يبدو شحوب على وجهها،"...سَوَامُ الشمس لم يشو وجهه ولا لاح منه...شحوب".(١١٦)، ويشير إلى شيّ الوجوه في بيت آخر عند وصفه لسفينة حربية، يقول:

كَـــأَنَّ الْـمُـهْـلَ فِـي الْأُنْـبُـوبِ مِـنْـهُ
إِلَـى شَـيِّ الْـوُجُـوهِ لَـهُ ابْـتِـدَارُ(١١٧)

فهو هنا يصور المدافع الحربية مملوءةً أنابيبُها بمعادن ذائبة، من اقترب منها أحسّ بلفح حرارتها، وهذه الصورة رغم ما يبدو عليها من تقريرية، إلاّ أننا نلمح من خلالها رغبة الشاعر الملحة في أن تُشْوى وجوهُ الأعداء بخليط من ذائب المعادن الذي تقذف به مدافع السفينة، وبذلك ينال ثأره ممن استولوا على فردوسه المفقود، صقلية.

واعتمد ابن حمديس، على حاسّة اللمس؛

لِيبعث إحساسًا داخليًا أَحشَتُهُ محبوبته، يقول:

تُـمَـرِّضُ مُـقْـلَـةٌ لِـيَـصِـحَّ وَجْـــدٌ
تَـوَارَى فِي الضُّلُوعِ لَـهُ أُوَارُ(١١٨)

إنّ الصورة هنا تعبر عن حب مستتر بين جوانح العاشقة، ويبدو جمالها في قدرة الشاعر على نقل حرارة هذا الحب، وجعل المتلقي يتمثل معه تجربته الشعرية المصورة لمعاناة هذه العاشقة.

وفي موضع آخر في معرض تصوير الشاعر للخمرة، نجده يتوسل لفظة "المس"، ويصف عملية مزج الماء بالخمرة، مصورًا إياها مندفعةً، وقد تتطاير شرارٌ منها، لمّا لمسها الماء، وكأنها تود أن تبقى محافظة على صفائها ونقائها وتميزها عن الماء، يقول:

أَنْكَحُوا عِنْدَ مَزْجِهَا، الْـمَـاءَ نَـارًا
فَارْتَمَتْ عِنْدَ لَمْسِهِ بِالشَّرَارِ(١١٩)

ويستعمل الشاعر اللمس في وصف بعض الأشياء، من مثل تصويره لدرع عليّ أنها لينة الملمس غير خشنة "لَهَا لِينُ لَمْسٍ لاَ يَخَافُ خُشُونَةً"(١٢٠)، ويصور في موضع آخر قطرات ماء الحمام الحارة، ويصفها من شدة حرارتها بأنها سهام موجهة إلى جسمه واقعة عليه مؤذية له، ويتخيلها نارًا ملتهبة في عظامه "...قَطَرَاتُهُ صَائِبَاتُ السِّهامِ"(١٢١)، و"تَخَيَّلْتُ إِيقَادَهَا فِي عِظَامِي"(١٢٢).

وهكذا فإنّ صور الشاعر الحسية تفاوت فيها اعتماده بين حاسة وأخرى؛ حيث نلاحظ أنه أعطى الغلبة للبصر، وهذا أمر طبيعي عند شاعر يتمتع بسلامة هذه الحاسة، إلا أن الدارس لديوانه، لا محالة، يلاحظ توظيفه للحواس الأخرى بشكل ملحوظ، وكان السبق لحاسة السمع بعد البصر، إذ الأذن، كما هو معروف لها دور مهم في صياغة الشعر، كما أن الشاعر وهو يغلّب البصر والسمع، إنما: "يتماشى مع ما يردده النقد الحديث من أنهما معًا يشكلان جوهر الشعر"(١٢٣)، وبعد الصور السمعية يلاحظ من قراءة الديوان أنّ صوره الأخرى، تأتي حسب الترتيب الآتي؛ الشمية ثم الذوقية ثم اللمسية: "والترتيب النسبي ليس واحدًا عند الشعراء عادة، وهذا ما دفع نقاد الغرب إلى تصنيف بعض الشعراء عندهم والمقارنة بينهم على أساس هذه القاعدة"(١٢٤).

المطلب الثالث: الاعتماد على أكثر من حاسة لتشكيل بعض الصور، وتراسل الحواس.

أ ـ الاعتماد على أكثر من حاسة لتشكيل بعض الصور.

إن الشاعر في تشكيل بعض صوره الشعرية، غالبًا ما كان يعتمد على أكثر من حاسة لإخراجها، ويتجلى ذلك - على سبيل المثال - في وصف مجلس أنس وطرب؛ حيث يقول:

فِـي رَوْضَـــةٍ غَـنَّـاءَ غَـنَّـتْ بِهَا
فِـي قُضُبِ الأَوْرَاقِ وُرْقٌ فِصَاحْ
لا يَـعْـرِفُ الـنَّـاظِــرُ أَغْـصَـانَـهَا
إِذَا تَـثَـنَّـتْ مِـنْ قُـدُودِ الْـمِـلاَحْ
كَـأَنَّ مَـفْـتُـوتَ عَـبِـيـرِهَــا
مُطَيَّبٌ مِنْهُ هُبُوبُ الرِّيَاحْ(١٢٥)

فالبيت الأول في هذه المقطوعة يقوم على حاسة السمع "في روضةٍ غَنّاء غَنّتْ... وُرْقٌ فِصَاح"، وفي البيت الثاني يتوسل كلمة "الناظر" مشيرًا إلى حاسة البصر، ثم يمضي واصفًا القدود الملاح على أنها أغصان متمايلة متبخترة، وفي البيت الثالث، يركز على حاسة الشم؛ حيث مفتوت العبير المطيب للرياح، ولعل أهم ما يميز هذه الصور الجزئية هو أن الشاعر وقف منها موقف المصور، المحرك للصور النافذ إلى أعماق جمالها، ولو أنه جمال طبيعي.

وكثيرًا ما نجد الشاعر يجمع بين هذه الحواس الثلاث؛ إذ في أثناء وصفه لإحدى الجميلات، نراه يرسم لها صورًا يجعلها ماثلةً أمامنا نشم عطرها ونرى قدها ونسمع شدوها "عن ذات عَرْفٍ ... ياقوتةٌ تلبسُ دُرًا ... تُسْمِعُ شَدْوًا يثيرُ وَجْدًا"(١٢٦).

ويصوّر في موضع آخر إحدى بنات صقلية متوسلاً حاسة البصر والذوق والسمع، فالبنت: "تَبْسُمُ عَنْ بَرَد بَيْنَ بُرُوقٍ لُمَّعٍ...كَأَنَّ في فِيهَا سُلَافُ قهوةٍ صرفٍ...خُصَّتْ من الصّوتِ بِمَغْنَى الْوَصْلِ..."(١٢٧).

وقد يجمع الشاعر بين حاستين أو أكثر، في مواضع أخرى، على نحو قوله في الخمر:

وَأَشْكِلِ الأَوْتَارَ عَنْ نَغْمَتِهَا
لا تَسُوغُ الْخَمْرُ إِلاَّ بِالنَّغَمْ(١٢٨)

إنّ الصورة هنا خليط وتداخل بين الذوق والسمع، لكنها ليست نموذجًا لصورة غير منتظمة، بل هي لوحة واضحة جميلة غلبت عليها حاستا الذوق والسمع، وتبادلتا التأثير والتأثر، وعبرتا في نهاية الأمر عن مراد الشاعر ورغبته، بل عن تجربته الخاصة إزاء لذتي تعاطي الخمرة وسماع الغناء؛ فهو يرجو من المغني أن يزيل الإشكال عن الأوتار ويفسح المجال أمامها لترسل النغم الجميل المؤثر؛ ذلك لأن الخمرة في رأيه لا تبلغ مكانتها من اللذة إلاّ بسماع الغناء.

ويجمع أيضًا بين حاستين في قصيدة أخرى، إذ نراه يصف راقصات يسحبن ذيولهن مغنيات متضمخات بالطيب والعنبر، يقول:

وَمِنْ رَاقِصَاتٍ سَاحِبَاتٍ ذُيُولَهَا
شَوَادٍ، بِمِسْكِ الْعَبِيرِ تَضَمَّخُ(١٢٩)

ومنه تجسيمه للسرور ليرينا إياه كؤوسًا سُقي بها، في خِضَمِّ غناءِ الطّيور؛ "حيث نُسْقَى من السرور كؤوسًا، ونُغَنّى من الطيور..."(١٣٠).

ويتوسل بالذوق والشم في مكان آخر ليصور خمرة مزجت بذكي مسك ولذيذ شهد على أنها دون لذة ريق المحبوبة في وقت الفجر عند تغير رائحة الأفواه، يقول:

وَمَا قَهْوَةٌ صُفِّقَتْ لِلصَّبُوحِ
بِمِسْكٍ ذَكِيٍّ وَشَهْدٍ مَشُورِ(١٣١)
بِأَطْيَبَ مِنْ فَمِهَا رِيقَةً
إِذَا بَرَدَ الدُّرُّ فَوْقَ النُّحُورِ(١٣٢)

ويصف في قصيدة أخرى، معتمدًا في تصويره على عناصر الصورة السابقة نفسها، ريق المحبوبة في آخر الليل، وهو أشبه بمسك مُزِجَ بالخمر والعسل، يقول:

رِيقُهَا فِي بَقِيَّةِ اللَّيْلِ مِسْكٌ
شِيبَ بِالرَّاحِ مِنْهُ شَهْدٌ مَشُورُ(١٣٣)

ويعطي صورة أخرى للخمرة، مركزًا على اللون والطعم والرائحة، يقول:

وَمُعَتَّقَةٍ حَمْرَاءَ تَنْثُرُ فَضْلَهَا

لِخُطَّابِهَا فِي اللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالنَّشْرِ(١٣٤)

والشاعر في أبيات شعرية متتالية، يصور الطبيعة عطِرةً تنبعث منها رائحة عبِقةٌ: "وَنَفْحَةُ الزَّهْرِ شَمُّهَا عَبِقٌ"(١٣٥) وهواؤها مشبع بالماء البارد "وَرِيقَةُ الْمَاءِ بِالصَّبَا(١٣٦) شَبِمَةٌ(١٣٧)"(١٣٨)، ويصور البلبل بين الطيور الأخرى مغردًا مرددًا صوته الجميل مطربًا به الأسماع، "...بُلْبُلُهَا مُرَجِّعًا فِي غُصْنِهِ نَغَمَهْ"(١٣٩)

ب ـ تراسل الحواس:

يتخذ ابن حمديس تراسل الحواس وسيلة لنقل بعض تجاربه الشعرية، وتراسل الحواس، هو وصف مدركات حاسة من الحواس بصفات مدركات حاسة أخرى؛ وهنا قد يعطي الشاعر الأشياء التي ندركها بحاسة الذوق صفات الأشياء التي ندركها بالعين، ويعطي الأشياء التي ندركها بحاسة السمع صفاتِ الأشياء التي ندركها باللمس أو البصر وهكذا...(١٤٠).

وقد استخدم الشاعر هذه الوسيلة في بناء صوره البصرية قليلاً، ومن أمثلة ذلك في شعره تصويره للعين تذوق، يقول:

وَمُنَعَّمٍ جَرَحَ الشَّبَابَ بِخَدِّهِ

لَحْظِي، فَسَالَ عَلَى الْمَهَا الْيَاقُوتُ

وَأَنَا الَّذِي ذَاقَتْ حَلاوَةَ حُسْنِهِ

عَيْنِي فَسَاغَ لِطَرْفِهِ وَشَجِيْتُ(١٤١)

والشاعر من خلال تصويره لمحبوبته معتمدًا في ذلك على حاسة البصر، يقدمُ لنا صورته أمام جميلةٍ أَذى عينَه ما رأى في خدِّها من شباب، فَجرَتْ دموعُه غزيرةً، وقد غيّب اللسانَ، أداة الذوق، وجعلَ العينَ تؤدي وظيفته، في قوله: "أنا الذي ذاقَتْ حلاوةَ حُسْنِهِ عَيْنِي"، وكأن الشاعر هنا يعرف ما دعت إليه المدرسة الرمزية من "تراسل الحواس"، إذ يرى أصحابها أن: "تحول صفات الحواس وصورها، بعضها إلى بعض يجعل العالم الواقعي مثاليًا صوريًا مختلطًا تتجاوب فيه الحقائق مع الخيالات والأحلام"(١٤٢).

وهناك مثال آخر جعل فيه الشاعرُ العين تذوق أيضًا؛ حيث يقول في معرض وصفه لفرس علي بن يحيى:

أو أَشْعَلَ(١٤٣) كَالسِّيدِ(١٤٤) عَرَضْ سَابِحًا

فَحَسِبْتُهُ بِالأَيْطَلَيْنِ(١٤٥) غَزَالاَ

أَو مُشْبِهٍ لَعَسَ(١٤٦) الشِّفَاهِ فَكُلَّمَا

رَشَفَتْهُ بِالنَّظَرِ الْعُيُونُ أَحَالاَ(١٤٧)

لقد جعل الشاعر العين في الشطر الثاني من البيت الثاني، ترشف.

وهو في مثال آخر يجعل العين تسمع، إذ يقول:

كَمْ سَامِعٍ بِالْعَيْنِ مِنْ آلامِهِ

قِيلاً بِأَفْوَاهِ الدُّمُوعِ وَقَالاَ(١٤٨)

وإلى جانب اعتماد الشاعر على تراسل الحواس لبناء بعض صوره البصرية، فإنه اعتمد أيضًا، وإن في أماكن تعد على أصابع اليد الواحدة، على هذه الوسيلة لبناء صوره السمعية، وفي هذا نجده يعطي الأذن على وجه

الخصوص صفات العين لإدراك الأشياء، ومثال ذلك تصويره السمع يقوم مقام البصر "كَأَنَّ لِلسَّمْعِ مِنْهُ رُؤْيَةُ الْبَصرِ"(١٤٩)، ونسبة الرؤية للأذن "كَأَنَّ فِي أُذْنِهِ مُقْلَةً"(١٥٠) أو جعل السمع وسيلة لجني الزهر "ذَاتُ لَفْظٍ تَجْنِي بِسَمْعِكَ مِنْهُ زَهْرًا..."(١٥١).

وجعل الشاعر حاسة الشم مكان الأذن، إذ صور راهبة مُغْلَقًا ديرُها، وقد اهتدى وصحبه إليها، وعرف سرها الذي أذاعه طيب الخمرة التي تبيعها:

هَدَانَا إِلَيْهَا شَذَى قَهْوَةٍ

تُذِيعُ لأَنْفِكَ أَسْرَارَهَا(١٥٢)

وهنا نرى الأنف الذي وظيفته الشم، يستقبل الأسرار المذاعة؛ ليؤدي وظيفة الأذن التي هي السمع، وهذا نوع من تداخل اختصاصات الحواس، وهو الذي يثير فينا كثيرًا من الشعور بالجمال والإحساس به.

والشاعر في بيت شعري آخر يرسم صورة لغادة مظهرًا شذا عبيرها كلامًا، فصار الأنف يقوم بوظيفة الأذن، يقول:

يَنِمُّ عَلَيْهَا طِيبُ رِيَّا كَلامِهَا

فَيَدْرِي غَيُورٌ أَنَّهَا تَتَكَلَّمُ(١٥٣)

وفي قصيدة أخرى، يصور لنا الشاعر شرب الخمرة الذي هو من مدركات حاسة الذوق تتم بالأنف والسماع والرؤية، وهي صفات من مدركات الشم والسمع والبصر، يقول:

حَمْرَاءُ تُشْرَبُ بِالأُنُوفِ سُلافُهَا

لُطْفًا وَبِالأَسْمَاعِ وَالأَحْدَاقِ(١٥٤)

وفي هذا البيت نلاحظ أن الحواس الأخرى، استعارت مهمة حاسة الذوق، وقامت لتضطلع بوظيفة غير وظيفتها، وهذا التبادل بين مدركات الحواس يعد محببًا جدًا؛ "لأنه يعتمد على إثارة تداعيات جمالية متنوعة"(١٥٥).

الخاتمة

استطاع ابن حمديس من خلال قدراته وتوظيف حواسه أن يرسم لنا صورًا عن أحاسيس إنسانية عميقة، إذ ارتقى بكثير منها عن مستوى الحس الظاهري إلى مستوى الإيحاء والحركة وإثارة الانفعال، وقدمها ناميةً متغلغلةً في جوهر الأشياء، عاكسةً إياه مبرزةً له في حلة قشيبة تُحرِّكُ فينا أوتارَ الطرب، لكن رأينا البعض منها لم يتعد حدود التعبير المباشر عن الأفكار، ونقّل الأشياء الموجودة في العالم الخارجي نقلاً كاملاً، كما تراه العين وتحسه الحواس الأخرى، فهي صور تقوم على أسلوب منطقي يصف بها ما يقع تحت الحس دون التأثير في النفس.

ونظرًا إلى أن الشاعر يتمتع بحاسة البصر، فقد غلب على نظمه الصور البصرية، وجعل عينيْه وخياله الوسيلة الأولى في نسج صوره؛ إذ عن طريق الرؤية البصرية تختزن الذاكرة آلاف الصور، والعين فقط هي التي تميز الألوان والأشكال والأحجام، وهي الوسيلة الأساسية للإحساس بالجمال والإلمام بمعانيه.

ولا يخفى على أحد ما يحققه تعاون الحواس جميعًا لجعل مجالات الصور أرحب وأوسع، فإنّ الشاعر توسل إلى جانب البصر بجميع الحواس الأخرى؛ حيث اعتمد على حاسة السمع لنسج بعض صوره؛ لأن هذه الحاسة تتميز بإمكان

استغلالها في النور والظلام وفي فهم الأفكار والمعاني بشكل أسمى. واعتمد على حاسته الشمية الدقيقة ذات القدرة على التمييز بين أنواع العطور من مسك وعنبر وكافور وما إلى ذلك، وقدم لنا صورًا شمية بارعة، وتوسل حاسة الذوق في بناء بعض صوره، واستطاع عن طريقها أن يقدم صورًا نحس لدى قراءتها أن لسانه يتلمس مواطن الجمال والفن، وأشرك إلى جانب هذه الحواس جميعًا حاسة اللمس ورسم لنا صورًا بارعة لما أحسه من ليونة وحرارة وبرودة وخشونة وما إلى ذلك، والشاعر في أثناء بنائه للصور، غالبًا ما نراه يعتمد على أكثر من حاسة لإخراجها؛ فالإحساس بالجمال وتمثله، لا يجب أن يتم بالضرورة عن طريق حاسة واحدة؛ ذلك لأن الحواس مجتمعة، تتفاعل مع البيئة في كل تجلياتها، وليست العين أو الأذن أو أيُّ حس آخر سوى المجرى أو القناة التي تمر عبرها الاستجابة الكلية. ثم إن الشاعر في بعض صوره اهتدى إلى ما عرف في عصرنا بتراسل الحواس، فقدم لنا صورًا حوّل من خلالها مهام حاسة إلى حاسة أخرى؛ فأعطى، مثلاً، للأشياء التي تدرك بالسمع صفات الأشياء التي تدرك بالعين، وللأشياء التي تدرك بالعين صفات الأشياء التي تدرك بالسمع، وجعل مقام السمع للذوق،ومقام الشم للسمع وهكذا... ويبدو أن الشاعر وهو يمزج بين مدركات الحواس على النحو الذي رأيناه كمن يعلم أنه:"يفجر من تلك المحسوسات مشاعر مهمة وأحاسيس غامضة تساعد على نقل الأثر النفسي كما هو عند الشاعر أو قريب مما عنده"(١٥٦).

الحواشي

(*) ولد عبد الجبار بن حمديس في بلدة نوطس على مسافة خمسة وعشرين كيلومتر من مدينة "سرقوسة" الواقعة على الساحل الشرقي من جزيرة صقلية سنة ٤٤٧هـ، ١٠٥٥م (ابن حمديس: الديوان، ص٣. و زين العابدين السنوسي: عبد الجبار بن حمديس، ص١٣). ، وتوفيت والدته وهو شابّ، تاركةً إيّاه وأخته الصغيرة، ولما تزوّج أبوه أبو بكر بن محمد، تولّى تربيته جدُّه محمد بن حمديس، إذ ضمّه وأخته إلى بيته، وتولّت العناية بهما عمتهما (بنت محمد بن حمديس) أرملة ابن أبي الدّار التي عادت إلى بيت أبيها بعد وفاة زوجها بولدين هما عليّ وأخته، وتربّى الأربعة في بيت جدّهم (زين العابدين السنوسي: عبد الجبار بن حمديس، ص١٣-١٤).

وقد كان والد عبد الجبار حريصًا على تعاليم الإسلام وتقاليد الدين الحنيف، إذ ورث هذه الطباع عن أبيه (جدّ شاعرنا) محمد بن عبد الجبار، والذي طال عمره إلى أن أشرف على تربية أحفاده، بجوار عمّةٍ صوّامةٍ قوّامةٍ، اتخذها عبد الجبار بن حمديس أمّا عطوفًا حنونًا يسكن إليها، ويبثّها لواعجه، ومثل هذا الجو العائلي المحافظ جعل الشاعر ابن حمديس ينشأ محترما للدين مقدّسًا لتعاليمه (د. سعد إسماعيل شلبي: ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، ص١٢١). لكن من الطبيعي "... ألا يخلو شبابه من المغامرات المعروفة لأمثاله يرافق فيها أترابه وأصدقاءه إلى مجالس الشراب واللهو، بل إلى المعازف والمراقص، وتقوده بعض هذه المغامرات إلى التهوّر والاستهتار، فيصف ذلك في شعره، وقد يبالغ متأثّرًا بأحلام الذكريات ومزايدات الشعراء." (فؤاد أفرم البستاني: ابن حمديس منتخبات شعرية، دار المشرق-بيروت، ط١، ١٩٧٧، ص:ب). وقد هاجر ابن حمديس إلى الأندلس عن طريق تونس وعاد منها بعد زمان إلى المغرب الأقصى ثم الأوسط، ثم جزر البليار، ولم يتجه إلى المغرب الأدنى(إفريقية) إلا فيما بين شوال وذي الحجة سنة٥٠٨هـ (د. سعد إسماعيل

سلبي: ابن حمديس الصقلي حياته من شعره، ص ٢٠٧).

أما وفاة الشّاعر ابن حمديس فيتفق المؤرخون على أنها سنة ٥٢٧هـ، ويقول ابن خلكان: "وأبياته الميمية التي في الشيب والعصا تدلّ على أنه بلغ الثمانين" (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣ ص٢١٥). ذلك ما ينطق بمتوفاه الزماني، أما موضع وفاته، فقد رجّح إحسان عباس أحد محققي ديوانه أن تكون بمدينة بجاية في رمضان عام ٥٢٧هـ، الموافق لـ تموز (جويلية) ١١٣٣م، وتم دفنه في المدينة نفسها- (ابن حمديس: مقدمة الديوان، ص ١٦).

١ - جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط : دار الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ص: ٣٧٢.

٢ - شوقي ضيف: في النقد الأدبي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م، ص ٩٢-٩٣.

٣ - د.عز الدين إسماعيل، الأدب و فنونه، دراسة و نقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص١٤٠.

٤ - جان ماري جويتو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة د. سامي ألدروبي، دمشق ط٢، ١٩٦٥م، ص٧٩.

٥ - د.بشرى موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ص٩٠.

٦ - ابن حمديس، الديوان، ص٢٦٩.

٧ - د.عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك،أربد، الأردن،١٩٨٠م، ص١٤٦.

٨ - ابن حمديس، الديوان، ص٢٢٩.

٩ - نفسه، ص ٣١٠. والنزع: الرمي.

١٠ - د.عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص١٥٦.

١١ - ابن حمديس، الديوان، ص١١٧.

١٢ - د.محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص٤٥١.

١٣ - ابن حمديس، الديوان، ص٣٦.

١٤- نفسه، ص ٢٨٢.

١٥- نفسه، ص ٢٠٠.

١٦- نفسه، ص ١٧٩.

١٧- نفسه، ص ٣٥٢.

١٨- نفسه، ص٣٩٣.

١٩- نفسه، ص٤١٥. العندم: هو خشب البقّم الذي يحتوي على مادة ملونة بالأحمر تستعمل في الصباغة.

٢٠- ابن حمديس: الديوان، ص١٨٨. القار: هو مادة سوداء تطلى بها السفن، و قيل أنها الزفت.

٢١- عين كحيلة: أي عين كثيرة السواد، أو مكحولة بالكحل.

٢٢- ابن حمديس، الديوان، ص٣٨١.

٢٣- نفسه، ص١٨٧.

٢٤- نفسه ص١٨٣.

٢٥- نفسه ص٢١٥.

٢٦- نفسه ص١٤٦.

٢٧- نفسه، ص ٢٥٣.

٢٨- نفسه، ص٢٧٦.

٢٩- نفسه، ص٥٢٣. اللّمّة : هي ما تشحت من الشعر.

٣٠- نفسه، ص١٨٥.

٣١- المنسر:الطير الجارح.

٣٢- الشغا: الطول.

٣٣- الذليق: الحاد.

٣٤- ابن حمديس، الديوان، ص٣٢٧.

٣٥- نفسه، ١٦٦.

٣٦- د.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، د.ت، ص١٩٥.

٣٧- ابن حمديس، الديوان، ص١٣٣.

٣٨- نفسه، ص١٣.

٣٩- نفسه ص٣٩٥.

٤٠- نفسه ص٣١٧.

٤١- نفسه، ص ٥٠٠.

٤٢- نفسه، ص ١٦٢.

٤٣- نفسه، ص٤٣١.

٤٤- نفسه، ص٢٣٩. الحمام: الموت، الخوار: صوت الأبقار.

٤٥- ابن حمديس، الديوان، ص٣٦١.

٤٦- نفسه، ص٤٠٠.

٤٧- نفسه، ص٤١٣.

٤٨- نفسه،٤٥١.

٤٩- نفسه، ص ٥٢٠.

٥٠- نفسه، ص٢٧٤.

٥١- البازل: معناه هنا الرجل الخبير.

٥٢- المعرم: السيد.

٥٣- ابن حمديس، الديوان، ص٤١٨.

٥٤- نفسه، ص٥٥١. مصرصر: مصوت.

٥٥- نفسه، ص٢٢٢.

٥٦- نفسه، ص ٣٣٢.

٥٧- نفسه، ص٣٩٢.

٥٨- نفسه، ص٤٥٠.

٥٩- نفسه، ص ٤٥٩.

٦٠- الكافورة: شجرة أوراقها دائمة، وأزهارها بيضاء ضاربة إلى الصفرة يستخرج منها الكافور.

٦١- ابن حمديس، الديوان، ص٦٠.

٦٢- زرفنت شعرها: جعلته حلقات.

٦٣- ابن حمديس، الديوان، ص٣١٧.

٦٤- نفسه، ص٣٤٥.

٦٥- نفسه، ص٤٠٧.

٦٦- نفسه، ص٤٠٩.

٦٧- نفسه، ص٣٣٦.

٦٨- نفسه، ص٥٤.

٦٩- اللطائم: جمع لطيمة وهي هنا نافحة المسك، أي وعاؤه.

٧٠- ابن حمديس، الديوان، ص٤٦٠.

٧١- نفسه، ص٣٤٥.

٧٢- نفسه، ص٤٥٢.

٧٣ - نفسه، ص ٢٢٨.

٧٤- نفسه، ص٤٨٨.

٧٥- الفدام: المصفاة أو الخرقة تُجعل على فم الإبريق ليصفّى بها ما فيه أو يصفى ما يوضع فيه.

٧٦- ابن حمديس، الديوان، ص٨٦.

٧٧- نفسه، ص ٢٢٠

٧٨- نفسه، ص ٢٥١. والذفر: هنا الطيب، الشديد الرائحة

٧٩ - نفسه، ص٣٣٤.

٨٠ - نفسه، ص٤٥٦.

٨١ - الروح هنا الرحمة.

٨٢ - عللي: عالجي.

٨٣ - الند: هنا عود يتبخر به، (فارسية).

٨٤ - ابن حمديس، الديوان، ص٤٤٣.

٨٥ - نفسه، ص ٢٢٢.

٨٦ - نفسه، ص٥٢٩.

٨٧ - المغاني: هنا المنازل.

٨٨- ابن حمديس، الديوان، ص٠٤.

٨٩ - نفسه، ص٥٥٥.

٩٠ - نفسه، ص ٢٨٨.

٩١ - نفسه، ص ٥٤١.

٩٢ - نفسه، ص١٧٨.

٩٣ - نفسه، ص٦٤.

٩٤ - الأوام: العطش.

٩٥ - الأري: العسل.

٩٦ - ابن حمديس، الديوان، ص٤٥٣-٤٥٢.

٩٧ - نفسه، ص٤٠٦.

٩٨ - الإعريض: يوصف به كل أبيض.

٩٩ - ابن حمديس، الديوان، ص١٥٠.

١٠٠- نفسه ص٤١١.

١٠١- نفسه، ص ٣٣٧.

١٠٢- نفسه، ص ٢٤٦.

١٠٣- نفسه، ص٤٢٦.

١٠٤- نفسه ص١٧٤.

١٠٥ - نفسه، ص ٣٠٨ . البتع: نبيذ العسل.

١٠٦ - نفسه، ص ٤١٥ .

١٠٧ - نفسه، ص١٧٦ .

١٠٨ - جان ماري جويتو،مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة الدكتور سامي الدّروبي، دمشق،ط١٩٦٥،٢م، ص٧٣.

١٠٩ - ابن حمديس، الديوان،ص١٥٠ .

١١٠ - نفسه، ص ٤٦٠ .

١١١ - نفسه،ص ٢٠٠ .

١١٢ - نفسه،ص٤٢٠ .

١١٣ - نفسه،ص٥٢٨ .

١١٤ - فيحها: شدة حرارتها.

١١٥ - نفسه، ص ٣٩ .

١١٦ - نفسه، ص ٣٩ .

١١٧ - نفسه، ص ٢٣٩ .

١١٨ - نفسه، ص ٢٣٧ . الأوار هو الحرّ.

١١٩ - نفسه، ص٢٢٨ .

١٢٠ - نفسه،ص٥٢١.

١٢١ - نفسه،ص٥٦٠.

١٢٢ - نفسه،ص٥٦٠.

١٢٣ - د.عبد القادر الرّباعي،الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص١٤٩ .

١٢٤ - نفسه، ص١٤٩ .

١٢٥ - ابن حمديس، الديوان، ص٩٠.

١٢٦ - نفسه، ص١٢٨ .

١٢٧ - نفسه، ص٣٠١ .

١٢٨ - نفسه، ص٤٣٩ .

١٢٩ - نفسه، ص١١٢ .

١٣٠ - نفسه، ص١٢٦ .

١٣١ - مشور: مجموع.

١٣٢ - ابن حمديس، الديوان، ص١٧٩ .

١٣٣ - نفسه، ص ص٢٤٥ .

١٣٤ - نفسه، ص٢١٥ .

١٣٥ - نفسه، ص٤٢٠ .

١٣٦ - الصبا: ريح مهبها الشرق

١٣٧ - شبمه: باردة.

١٣٨ - ابن حمديس، الديوان، ص ٤٢٠ .

١٣٩ - نفسه، ص٤٢٠ .

١٤٠ - د.علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ص٨١.

١٤١ - ابن حمديس، الديوان، ص٧٢. والمها: الثغر النقي إذا ابيض وكثر ماؤه، ابن حمديس، هامش الديوان، رقم١، ص٧٢.

١٤٢ - د. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ص٤١٩ .

١٤٣ - الأشعل: الحصان ذو العينين الحمراوين.

١٤٤ - السيد: الأسد أو الذئب.

١٤٥ - الأيطلان: الساقان.

١٤٦ - اللعس: سواد شفاه مستحسن.

١٤٧ - ابن حمديس، الديوان، ص٣٩٠ .

١٤٨ - نفسه، ص٣٨٧ .

١٤٩ - نفسه، ص٢٧٢ .

١٥٠ - نفسه، ص١٤٤ .

١٥١ - نفسه، ص٣٥٣ .

١٥٢ - نفسه، ص١٨١ .

١٥٣ - نفسه، ص ٤٠٩ .

١٥٤ - نفسه، ص٣٢٦ .

١٥٥ - د.عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ص١٤٨ .

١٥٦ - د.عبد الباقي محمد حسين، سيد قطب حياته وأدبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١٤٠٦ هـ، ١٩٨٦م، ص ٢٣٤ .

المصـادر والمراجع

١- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط١، د.ت.

٢- بشري موسى صالح، الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٣- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط: دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٤م.

٤- جان ماري جويلو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة، ترجمة د. سامي ألدروبي، دمشق،ط٢، ١٩٦٥م.

٥- جون ديوي، الفن خبرة، ترجمة د. زكريا إبراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٦٣م.

٦- ابن حمديس، الديوان، تحقيق د إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١٩٦٠م.

٧- شوقي ضيف: في النقد الأدبي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢م.

٨- عبد الباقي محمد حسين، سيد قطب حياته وأدبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٩- عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك،أربد، الأردن، ١٩٨٠م.

١٠- عبد المنعم تليمة، مدخل إلى علم الجمال الأدبي، ط. دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٧م.

١١- عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.

١٢- عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٣- علي عشري، عن بناء القصيدة العربية الحديثة، مكتبة دار العلوم، القاهرة ط ١٩٧٨م.

١٤- محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، مكتبة دار الثقافة، بيروت لبنان، د ت، ١٩٧٣م.



جَماليةُ التَوَاتِر بَينَ الشدّة والرّقة في ديْوَان أطْلَسِ المُعْجِزَات لصَالح الْخَرفِيْ القْرَاري الزّيْتُونِي الجَزَائري (١٩٣٢ - ٢٠٠١م)

د. عبد اللّطيف حنّي
كلية الآداب واللغات - جامعة الطارف

بَسطٌ مَنهَجيّ:

كَشفت الدّراسات النقدية العديد من الجماليات الفنية للأدب الجزائري، وبينت تلازم ثنائية الثورة والوطن في موضوعاته، وعدّها الكثير منهم أحد سماته الثابتة؛ لأنه يعبر عن أحد أعظم الثورات التي شهدها العالم؛ لذلك دأب المبدع الجزائري على التمسك بهذه الجدلية، خلال الثورة التحريرية وبعدها، فراح يتغنى بها وببطولاتها مدونًا تاريخها، وراصدًا أحداثها، موظفًا التواتر بين لغة العنف الثورية التي طبعت موقفه من المستعمر ومن جرائمه ضد الشعب الجزائري الأعزل، وبين لغة الرقة والنشوة والتفاؤل من خلال تغنيه بالجزائر أمًا ورفيقة وحبيبة وزوجة وبشجاعة المجاهدين وبطولاتهم، وبالعلم الجزائري، ومبديًا شوقه وحنينه لأحبته وأهله، وهو في غربته، ونجد هذه السمة تتلون بها دواوين الشعر الجزائري قبل وبعد الثورة التحريرية، وهي ظاهرة نقدية تستحق منا الوقوف عليها والنظر في جدليتها وبواعثها وتجلياتها.

تأسيسًا على ما سبق تتنزل هذه الدراسة لتغوص في عالم القصيدة الثورية الجزائرية متخذة من ديوان أطلس المعجزات للشاعر صالح الخرفي القراري الزيتوني الجزائري[1] أنموذجًا، فقد أفضى في متن أطلسه همومه وآلامه ووجعه من جرائم المستعمر، فكانت لغته وإيقاعه يمتازان بالعنف والضراوة والرصاص والمدفع، كما حمّل الخرفي أنوثة قصائده بلغة انسيابية رقيقة سلسة حبه وعشقه للجزائر وطنًا وإنسانًا، وغازل الراية(العلم) بألوانها الخفاقة على سفوح الأطلس والأوراس، وبث شوقه وحنينه للحرية والاستقلال ولأهله خلال غربته، وتظهر الدراسة كفاءة الشاعر في الجمع بين هذا التخالف المعنوي والدلالي في ديوانه بل على

مستوى القصيدة الواحدة والبيت الواحد.

١- التماهي الثوري في ديوان أطلس المعجزات:

تعد الثورة التحريرية منطلق الشعر الجزائري الحديث، فقد أججت عواطف الشعراء فراحوا يسكبون حبر أقلامهم على الأوراق ليدونوا أحداثها ويصفوا عظمتها ويتغنوا ببطولة الشعب الجزائري الذي ضحى بأغلى ما يملك، فكان الإبداع الشعري الثوري والوطني، الذي جند الشعراء الجزائريون في ساحاته طاقاتهم التعبيرية؛ لتسجيل كل مناسبة أو حادثة تمر في قصيدة خاصة أو ضمن ثناياها بغض النظر عن المناسبة سواء أكانت دينية أم قومية، فقد كان همهم الوحيد مواساة هذا الوطن المكلوم بالجراح والآلام، والدفاع عن مقوماته وتأصيل معالم هويته الوطنية، والحفاظ على سماتها وأسسها أمام تيارات التغريب التي كان يمارسها المستعمر الغاشم، ورفع رايته عالية في المحافل الدولية والمؤتمرات القومية.

ومن بين الشعراء الجزائريين الصادحين بشعر ثوري صاحب أطوار ثورتنا التحريرية المباركة التي نحتفل بذكراها الخمسين شاعرنا صالح الخرفي؛ من خلال العديد من دواوينه، وبخاصة أطلس المعجزات الذي هو محل دراستنا، فإذا تصفحنا أوراقه، ورحنا نتلمس جسد قصائده ونحاورها، ونحادثها، إننا نلحظ ظاهرة بارزة ألا وهي الاحتقان الثوري الوطني المبثوث فيها، فهي حبلى بالمعاني والدلالات التي توحي بصدق وانفعال الخرفي، كما برز أن «هذا الاحتقان الثوري في الجزائر فجر بطولة ساخرة لا مبالية فاقدة الإحساس بالآلام الجسدية»(٢)، كما جعل شاعرنا ملتصقًا بالثورة التحريرية «في سهولها وجبالها ومغاويرها وكهوفها، فالثورة فيه خافقة تائقة زاحفة متموجة؛ حيث اختلط الشعر بالدم ورائحة البارود، إذ لا يكتفي الشاعر بالتحويم العائم على الجبال أو بالصورة القاتمة تلتقط من الجو وإنما يتبعها بأسمائها، ويلون الخارطة بالألوان البارزة، ويستوحي الأبعاد البطولية»(٣)، ومن هذه الأسماء: أوراس، البيضاء، تبسة، القصبة، شوارع الجزائر العاصمة، فهذه «الأماكن من قرى ومدن وجبال في الشعر العربي تبث العواطف المرتبطة بحب الوطن، فتهيج في المغترب الأشواق والحنين...وتذكي شعلة الغربة المحترقة والحنين الدائم لأرض لا تنمحي معالمها الجغرافية ولا تزول»(٤).

ولعل أهم ما جعل شاعرنا يعيش مأساة الجزائر بذاته وروحه هي حياة الغربة التي كان يعاني منها، فهذه الغربة صقلت تجربته الشعرية، وبخاصة عندما تمتزج مع الأخبار المزعجة التي تصل إلى المشرق العربي عن الثورة التحريرية الكبرى، وعن جرائم المستعمر ووحشيته في قتل الشعب الأعزل غدرًا وتعمدًا، وزج الشباب والمتظاهرين في السجون، فهذه العوامل أججت الروح الثورية في روح الخرفي منذ صغره، وكبرت معه كلما كبر، وتبلورت في أفكاره، وشدته شدًا إلى أرض البطولات إلى مسقط رأسه وذكرياته وصباه، إلى الأرض التي عاش فيها أجداده، الأرض التي عشقها صغيرًا واكتوى بنارها كبيرًا؛ أرض الجزائر الثائرة، فكان بذلك ديوانه "أطلس المعجزات" بمثابة المنبر الذي يرى منه الناس فيكون خطيبًا

ناصحًا، مرشدًا تلهمه الثورة التحريرية المباركة بالكلمات، وتمده بالأفكار الثائرة المدوية، فيلون بالدم قصائدهن فيرسلها من صخور الأطلس الشامخ الأشم مشيدًا بالمجاهدين الأحرار.

٢-غضبُ الثورة في ديوان أطلس المعجزات:

إن ديوان أطلس المعجزات هو أناة شاعر احترق حبًا في جزائره، واكتوى بنار البعاد عنها، فألهمته ثورتها المباركة الكلمات فراح متفاعلاً ومنفعلاً مع أحداثها موظفًا في ذلك مزيجًا من الخطابات التي تكشف عن حالته وتدل على نفسيته، ومن أبرزها ظهورًا خطاب العنف الذي نلاحظ لغته تطغى في القصائد التي خصصها الخرفي في إظهار موقفه من الاستعمار وتتمثل في:

أ-تجريم الاستعمار:

بين الخرفي في ديوانه خطر الاستعمار ووصف بشاعة جرائمه مستعملاً قوافي مدوية، ذات جرس قوي ينم عن سخطه وغضبه بلغة عنيفة شديدة تقرع الآذان، وتوقظ الإحساس وتنبه الشعور وتشد الإدراك، لهول جرائمه المرتكبة ضد أبناء الشعب الجزائري، فهذه الحالة الصارخة تمليها العاطفة الوطنية الساكنة في نفس الخرفي«هذه النفس التي تتميز بالحربية المنطبعة في ديوانه أطلس المعجزات»(٥).

ولعل لأول قصيدة تصادفنا في الديوان هي "مأساة تبسة" المدينة التي حولها المستعمر الفرنسي إلى أطلال مترامية، وحول أهلها الضعفاء إلى جثث خامدة متناثرة في المكان، وساق بعض شبابها إلى السجون، فالشاعر يصف بلغة ساخطة وغاضبة المأساة التي تجاوزت وحشية النازية وهمجية الفاشية فيقول حزينا(٦):

رَفـعُـوك فـي لَـيْـل الـكـفَـاح مَـنَـارا
إذْ غَـــدرُوك أيَــا تِـبَـسَّـة نَـارا
فـي كُـل قَـلب نَـابض قَـد أضْـرَمُـو
هَـا يَـسـتـفـز أوزاهــا الأحْـــرَارا
مَـا انْـهَـد رُكـن فِـيـك إلاّ والـغُـرو
بَـة قَـد تَـصـدّع قَـلْـبُـهـا وانْـهَـارا

يوظف الخرفي كلمات توحي بشراسة المستعمر وحقده على الجزائريين مثل (نارا، أضرموا، انهد، انهارا) التي سطا بها على تبسة، وما هي إلا مثل على الكثير من الأماكن التي عاث فيها المستعمر قتلاً وتنكيلاً وتشريدًا لأهلها، ونتيجة ذلك فهو يتوعده برد الكيد والنيل منه، فالثورة كفيلة به بثائر مناشد للحق استطاب الحرب وألف لظاها، وهذه الجرائم ستزيدنا عزمًا على أخذ حريتنا؛ حيث يقول(٧):

صَـرخَـات بِنْت من بَنَاتكَ كَالخَرِيـ
ـدة هَتَـك البَـاغـيُ لَـهَـا أسْتَـارا
زَفَـراتُ قَـوم أبْـعَـدُوا عَـن أرضِهم
ظُـلْـمًـا فَـهَـامُـوا فـي الـقِـفَـار حَـيَـارَا
تـلـكَ الـمَـآسـي قَـد كَـفَـانَـا وَقْـعَـهَـا
لِـيُـثِـيرهَـا بَـيـنَ ضُلوعنَا إعْـصَـارَا
إعْـصَـارُ حقْد فـي الـجَـوَانـح كَـامن
إنْ ثَـــار دَكّ الـشّـر والأشْـــرَار

لعل الخرفي يرسم لنا هذه اللوحة المأساوية، مبينًا كيف صب المستعمر حقده على الأبرياء موظفًا في بيان تفاصيل الفاجعة لغة غاضبة

عنيفة توجه بها للمستعمر (إعصار، حقد، كامن، الشر، الأشـرار) فهذه الألفاظ تعكس نفسية شاعرنا الحاقدة على أعماله وجرائمه، وتندد بها وتستنكرها، فالخرفي يؤكد أن الثورة ولدت من هنا وثار الشعب؛ لأن البطش قد تك به وحان أوان التحرر من ربقة الذل والهوان، وبالمقابل يرى أن هذه الجرائم لا تزيد الشعب إلا صمودًا وعزيمة وقوة وثورة على الباغي، فقد السهول مقابر من شدة القتل والإبادة فيقول(٨):

بَـلْ صَـيّـروا تـلْـكَ الـسُّـهـولَ مَقَابِر
وَأَذرُوا الجِبَالَ الشّامخَاتِ غُبَارَا
الـكُـلُ يَـخـضَـعُ لـلْـحَـديـد وَلَـنْ يَـنَـا
لَ حَـديْـدَكـم مـن عَـزمـنَـا مـعْـشَـارَا

ويخفف الخرفي الألم على تبسة المكلومة الحزينة ويتوعد المستعمر برد الثأر والنيل منه على جرائمه فيها، فلا التاريخ ولا العالم ولا الشعب يغفر عمله فيها فيقول بنبرة حادة قوية شجاعة(٩):

صَـبـرًا تـبَـسَّـةَ إن شَـقَـيـت بـنَـار
أوغَـادُ بـكَـأسِ الانـتـقَـام سُـكَـارَى
سَيُزِيحُ عَنهُم ظُلمَةَ الأسْكَارِ فَجر
الـجَـزائـر يُـبْـهـرُ الأنْــــظَـارَا
لا تَحْزَنِي لِلْوَكرِ إنْ عَصَفَت جَبَا
بِـرَةٌ بـه والـسّـرب رَيـعَ فَـطَـارَا

وتشيع هذه اللغة التي تتعالى منها أصوات الحرب والنار في وصف مكائد المستعمر التي يدبرها ضد الشعب الجزائري، فترك شاعرنا الكلمة للرصاص والمدفع والبندقة فقولهم الفيصل في هذه المواقف التي تنفى كل الشعارات، وتجيز كل الخطب والمقالات.

ويعرج شاعرنا على القصبة (حـي قديم بالجزائر العاصمة) مهد البطولة والتضحية مظهرًا المأساة التي حلت به فقد أحرق المستعمر الكثير من المنازل بحثًا عن الثوار بعدّها قلعة حصينة لهم ومنها تنفذ العمليات الفدائية إبان الثورة، فكانت هدفا للغارات الفرنسية الوحشية، فوقف الشاعر واصفا للقصبة وقد تحولت إلى قبور للأحياء، بنبرة تعلوها حدة وغضب على ما حل من تنكيل؛ حيث يقول(١٠):

فَـتـلْـكَ الـقَـصـبـةُ الـمـصْـلاة نَـارا
فَـــزادَت نَـار ثَـورتـنَـا اتّـقَـادَا
فَـهَـل جَـبـرُوتـهـا أطْـفَـأ لهَيبًا
وهَـلْ بَـلَـغُـوا بِقَسوتِهِم مُـرَادَا
إذَا خَـانـتـكَ أسـبَـابُ الـتَّـراضـي
فَـلَـن تَـقـوى عَـلـى الأعْـدَا عِـنَـادَا
ألاَ إنَّ الـجَـزائـرَ يَـا فَـرنـسـا
لـكَـالـعَـنـقَـاء تَـكـبُـرُ أنْ تُـصَـادَا

لعل شاعرنا وظف ألفاظًا وعبارات حادة مثل (نـارًا، المصلاة، اتقادًا، لهيبًا، قسوتهم، عنادًا، تصادًا) وتوجه بها للمستعمر الذي لا يدخر بنعته بأشر النعوت، ويكشف عن جرائمه بأبخس الأوصاف، وبعنف الثورة التي استأصل عروقه من الجزائر، وبثورة العنف كان لغة التعامل معه، وقد أتقن أبجدياتها شارعنا، فراح يصوغ على أوتارها قصائده الكثيرة التي تصف جرائمه، ومنها ما حدث في شهر يناير ١٩٥٧م؛

حيث شنت الجزائر إضرابًا عامًا دام أسبوعًا كاملاً بمناسبة عرض القضية الجزائرية على الأمم المتحدة لأول مرة، فقام المستعمر بشن حملات اعتقال ودهم للبيوت والدور والمحلات بجنوده وذخيرته الحية دون رحمة أو شفقة، يصور الخرفي حال الجزائر وأعمال المستعمر، معبرًا عن حالته النفسية إزاء جرائمه فيقول(١١):

خَبِّرُونِيْ أَبِالْجَزَائِرِ أُنْسٌ؟
أَم طَوى شَعْبَهَا الْمُكَافِح رَمْس
أَنْهَجٌ خَيَّم السُّكُون عَلَيهَا
وأُنَاسٌ بَيِن الْمَنَازِل خُرس
سَكَنَت لا سُكُون عَجْزٍ وكَانَت
كَعُبَابِ الْخِضَمِّ تَطْفُو وَتَرْسُو
غَيرَ نَارٍ ومُتْرَيَاتٍ تَدْوي
وذِئَابٍ سَطَت تَجُور وَتَقْسُو
بَطَرت فَانْثَنت تَعُضُّ وتَعْوي
ولَهَا في إِبَادَةِ النَّفس أُنْس

ب - تحدي المستعمر:

يتعالى من أطلس المعجزات صوت الخرفي المتحدي الثائر الشجاع المقدام، ممتطيًا الكلمات والجمل الصلبة القوية واللغة الثائرة التي لا تعرف للين طريقًا ولا للرقة مسلكًا، مخاطبًا المستعمر فيقول(١٢):

فَلا تترَقَّبُوا منَّا سَلامًا دَعُونا
صَخرةٌ ودَعوةٌ وَعُلا
يَا نسرَ الجبَالِ أَدِرْ رَحَاهَا
وأَجِّج نَارَهَا أو تَستقلا

فالحرب عند الخرفي مسألة موروثة لا يهابها الشعب الجزائري؛ لأنه سليل ابن الوليد، وما كان لهؤلاء الأحفاد أن يخافوا الوغى،؛ لأنهم أصحاب مبادئ لا تغريهم الدنيا، ولا تخدعهم الوعود الكاذبة، فهم لا يريدون إلا الحرية أو الاستشهاد في سبيل وطنهم، فالشاعر يعرف المستعمر بحقيقة الشعب ، فيقول(١٣):

فَنحنُ بَنُوا المَغَامِع من قِدَم
سلي خَواضَهَا ابن الوليد
وَلَسنَا في الوغَى جُددًا فَنَثني
عزَائِمَنَا القَذَائِفُ كَالرُّعُود
وَلا عُشَّاق دِينَار فَتلوِيْ
أَعْنَتَنَا بَوارِقُ مِنْ وُعُود

ولعل الخرفي في تحديه للمستعمر يستكين إلى صور ولغة صارخة وغاضبة لكنها تقليدية؛ حيث «يصف فيها معارك الحرب التحريرية من خلال صور لا تمت إلى الحروب المعاصرة بأية صلة إنها صور مستقاة من أجواء القصائد العربية القديمة»(١٤) التي يكثر فيها ذكر السيوف والصهوات وتصوير القتلى وشجاعة الفارس، وهو يحارب الأعداء، كل هذه الصور القديمة لا تفارق الخرفي في نسج قصائده الثورية، من ذلك يقول(١٥):

تغاضينا عن السوءات حينا
وقلنا والنهى يقظى لعلا
ولما لم يفد حلم وصبر
ركبنا في طريق المجد جهلا

وثرنا صارخين بملء فينا
رويدك يا فرنسا ثم مهلا
فمن بنزالنا غرته نفس
تركنا أمه تبكيه ثكلى
إذا خضنا الوغى أبنا بنصر
وغادرنا الثرى جرحا وقتلى

فالشاعر يستعين باللغة العنيفة في التعابير والألفاظ التي لا تعرف رحمة ولا هوادة تتحدى المستعمر وتهدد كيانه وتتوعده بأن تزيحه، فالثورة عند الخرفي تتأجج وتعلو صرخاتها وأصواتها المرتفعة إلى حد أقصى، وهذا ما يؤكده خطابه لأحد الجنرالات الفرنسيين، فيقول[١٦]:

وهالته الجزائر إذ رآها
تشرد قومه سبيا وقتلا
وتلك سيوفنا صدئت فثرنا
نروم لها على الأعناق صقلا

كما يوجه شاعرنا تحديه للمستعمر من خلال توجيه قصيدة " صرخة الأحرار في وجه غي موليه" لرئيس الوزارة الفرنسية أثناء زيارته للجزائر، وتشدقه بالمبادئ الاشتراكية ودعوة البناء والتعمير، فيجند شاعرنا خطابه الحاد العاكس لكرهه للحكومة الفرنسية، ومن سار في ركبها، واستهانته بكل ما تصرح به فهو كذب وبهتان فقد خبر الشعب فرنسا وحيلها وخداعها، فيقول[١٧]:

أي(مولي) استقل و تنحى عنا
فإن السيف أصدق منك قولا
لا نجنح لتزويق الأماني
زمان القول يا مولي تولى
ألا إن الجزائر أنجبتنا
لظى نار به الأعداء تصلى
ألا إن العروبة علمتنا
وعلمتنا الآبا ألا نذلا
و لما لم يفد حلم و صبر
ركبنا في الطريق المجد جهلا
فمن بنزالنا غرته نفس
تركنا أمه تبكيه ثكلى
إذا خضنا الوغى أبنا بنصر
وغادرنا الثرى جرحى و قتلى

نلاحظ أن الخرفي صعد في لغته؛ حيث نقل القصيدة إلى الأجواء الجاهلية التي تغالي في وصف الحروب وتعلي من شانها وتبدي ولاءها لقبيلتها، وتستلذ الدفاع عنها والاستماتة لأجلها، وكذلك يفعل الجزائري من أجل وطنه، يثور بقوة وعنف ويسترخص في سبيل نيل الحرية أو الشهادة كل غال، وهذا ما دأب على تأكيده شاعرنا في كل قصائده متفاعلاً مع سياقها ومنفعلاً لرصد المعاني والدلالات المعبرة عن تجربته الشعرية؛ حيث يقول[١٨]:

فجئنا والنيران في لهب
تديرها فتية عرب صناديد
وللمنية في ساح النزال رحى
تديرها فتية عرب صناديد

خاضوا المعامع في شوق وفي

لهف كأن قلبهو بالموت معمود

فهذه المواقف في ساحات الوغى تبين شجاعة أبناء شعب الجزائر، وهم يتسلقون الجبال؛ لنيل حريتهم، ولا يفارقونها أبدًا حتى ينالوا سيادتهم، فالخرفي يبطن أبياته بألفاظ عنيفة مستوحاة من الحرب وساحات الوغى.

٢ - رقة الثورة في أطلس المعجزات:

إلى جانب اللغة الثورية الحادة والعنيفة التي وظفها الخرفي في أطلسه لمخاطبة المستعمر وكشف جرائمه، نجده امتطى لغة أخرى وقوض خطابًا مخالفًا ومناقضًا للأول، ألا وهو الرقة والسلاسة واللين، تعلوه في الكثير من المواضع لمسة رومانسية تظهر الجانب الآخر من شخصية الخرفي، فقد رأينا فيه الشخص المحارب والمناهض الشرس أمام أعمال الاستعمار وجرائمه ضد شعبه، وسنرى منه الشخص الحالم الهادئ المتطلع لمستقبل الجزائر المتحررة والجميلة التي تنعم بالأمن والسلام والطمأنينة، وقد تجلت هذه السمة في:

أ - التغني بالجزائر:

عندما نطالع شعر الخرفي نجده يهيم بحب الجزائر، فهو «غارق في حب وطنه إلى أعمق أعماقه وأخمص قدميه؛ لأنه معذب بهواه هائم فيه ولذا عاش مؤرقًا بوطنه متشوقًا إليه لا يهدأ من هجمة الحنين إلا عاوده هذا الحب مما جعل حب الوطن تضخم كلما كبرت المأساة، وكلما عاوده القلق وتملكه الخوف»[١٩]؛ حيث يتغنى بنوفمبر الأغر بجمالية ممتعة وبرومانسية متناهية، كاشفًا حبه للجزائر وثورتها المباركة فيقول[٢٠]:

يا روضة الشهداء من أرض الفدا

يا أسد معقلها و لا أسد الشرى

يا روضة الشهداء لولا كعبة

هي قبلتي سميتها (أم القرى)

يا صيحة الأحرار من أرض الجزا

ئر لم زل تغزو المدائن والقرى

لولا اختتام الوحي بالهادي ولو

لا روضة فيها أقام معطرا

أقسمت أن الأطلس الدامي

يخبئ للبرية هديا و مبشرا

فالخرفي يتسامى بحب الجزائر؛ حيث يصفها بروضة الشهداء ومعقل الأبطال، فيفيض عليها بأوصاف قدسية؛ مما يجعل لغته لغة حالمة عميقة الأغوار، وغايته بث الحماس، وإلهاب المفاخر بأرض الجزائر؛ لأنها ثغر من ثغور العروبة والإسلام.

وقد اتخذ الخرفي من نفسه المتأججة منطلقًا لرؤيته الشعرية فجاء شعره وجدانيًا انفعاليًا مما أماط اللثام عن رؤيته الحزينة ونفسه المتألمة وقلبه المحطم، فهو يعيش حياة الخوف؛ لأنه يصبو للحرية، فيقول[٢١]:

أنت أنشودة الصباح إذا افتر

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

فهذا التغني بالجزائر يعود إلى أن الشاعر لا يرى في الجزائر إلا حريته وحرية شعبه، ولا يحس بالحرية إلا إذا كان في أرض الجزائر؛

جمالية التواتر بين الشدة والرقة في ديوان أطلس المعجزات لصالح الخرفي القراري الزيتوني الجزائري (١٩٣٢ - ٢٠٠١م)

حيث يتغنى بعودته من غربته إلى الجزائر الحرة بخطاب رومنسي في قصيدة " صرخة جزائري" مصورًا لنا نفسية جديدة وروحًا أخرى تمثلها الخرفي في حديثه عن الجزائر؛ حيث يقول[٢٢]:

سنة الكون أن أكون طليقا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
أتخطى في الغرب دربا سحيقا
و من الشرق أستمد شروقا
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
لبلاد أقسمت أن تفيقا
إنها تربة تسمى الجزائر
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
أخرجتها للكون قبضة ثائر

ويتسامى الخرفي متغنيًا بالجزائر وبمكانتها الأصيلة الضاربة في التاريخ، العاكسة لحضارتها العربية والإسلامية، فقد عرفت بين الأمم بالعزة والكرامة فعليها أن تثور لتثبت وتؤكد هذه الحقيقة، يقول[٢٣]:

وطني عهدتك في المروءة والكرا
مة؛ حيث يعشق ذكراك الجلاس
وعهدت فيك يشمخ أنفه
نحو السماك وللعزيز شماس

ب - التغني بالراية:

فإذا كان الخرفي قد تغنى بالجزائر وقدسها، فهو لا يملك إلا أن يعتز برايتها، التي ضحى لأجلها الآلاف من الشهداء، إنها راية العز والسيادة باخضرارها واحمرارها وبنجمتها الخماسية، فالخرف يشيد بالعلم الجزائري ويؤمن به كرمز للجزائر وحريتها، ويضع الثقة في الثورة منذ انتصاراتها الأولى، فوصفه في قصيدة "عهد جديد" للعلم التي نظمها بمناسبة إعلان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سنة ١٩٥٨، والتي يشيد فيها بهذه الراية التي ظلت خفاقة، فالشاعر يكثر من التغني بالراية إلى حد أنه يرى أن كل جزائري لا تظلله إلا هذا العلم المقدس الذي يجب أن نفتخر به وندافع عنه ونمكن له، متوسلاً بلغة سلسة طيعة تضفي على القصيدة جمالاً ورقة؛ حيث يقول[٢٤]:

يا أخي ظللتك أقدس راية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
وبها سرت نحو أشرف غايه
إنها دولة وليست حمايه
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
إنها النصر والعلا في النهايه
إنها يا أخي برغم الجبابر
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
دولة من صميم شعب الجزائر

فالعلم بتاريخه الطويل يحتل مكانة في نفوس الشعب، فهو صورة مصغرة للوطن، وعنوان الثورة ولواؤها، وجدير «بأن يحظى من الشعر بوقفات تقديس وإجلال ولفتات افتتان وهيام فتخفق في خفقاته أوزانه وقوافيه، ولم يقل الشعر عن السلاح وفاء للعلم الجزائري فطالما حياه بطرف مطرق وقلب خاشع»[٢٥] دليل على

مكلته لذا وصف العلم بريشته الشعرية وبالألوان التي «يستمدها من الطبيعة الجزائرية، وأخلاق أبناء الجزائر، ومواقفهم البطولية، فالعلم فلذة من أكبادهم ودفقة من دمائهم وقطعة من وطنهم الأخضر ونسيج من عروقهم النابضة، فهو أهل؛ لأن يفدى»[٢٦]؛ حيث يصفه الخرفي بلغة تنساب على القلوب الحزينة فتحييها، وعلى الجروح فتشفيها فيقول:[٢٧]

ظللتنا بنجمة وهلال
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
وسلام على ممر الليالي
واخضرار على الربى والتلال
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
ودم مفرد القداسة غال

لقد سكن هذا العلم أفئدة الشعب، فأحبوه واحترموه؛ لذلك لا يزال صاعدًا إلى العلا ولا يزال أبناء الشعب يبايعونه الواحد تلو الآخر، فهو علم الثوار وأنات الجزائر وصرخات اليتامى[٢٨]:

عالم ثائر إلى المجد صاعد
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
فتلقته أعين على السوا وأباعد
أقرياء بكف حر مساعد
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
باعوه بكف حر مساعد
تلك أنات يتم وحرائر
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
فجرت بالحنان أقسى الضمائر

ج - الشوق والحنين:

إن الخرفي شاعر ثوري ووطني يحترق شوقًا إلى الجزائر المحترقة بالآلام ونيران الأعداء، ولكم تهزته تلك المناسبات الغالية حين يجد نفسه غريبًا بعيدًا عن وطنه المحترق بلا أم تواسيه، ولا بيت يأويه، ولا أخ يمسح همومه، هنا تتجلى اللغة الرقيقة الحبلى بالرومانسية المغرقة في جو من المشاعر الفياضة التي نتلمس وقعها، ونسمع إيقاعها من خلال حديث الخرفي عن والدته التي تركها في أرض الجزائر، ولا يدري ما حل بها، وكيف نكل بها المستعمر، فالخرفي شغوف لرؤيتها يتطلع إلى كل خبر عنها، فقد حرم من مناداتها والجلوس إليها، فيرسل الزفرات الحارة حين يرى الأمهات مع أبنائهن فيذكره المشهد فيقول[٢٩]:

كم ذكرتني أمهات في ثياب زاهية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
أيامك السوداء بين الذئب الضارية
والعيد خضب منك كفا بالدماء القانية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى
وتقلد الخدان لؤلؤ مقلة لك باكية
والكف ساند خافقا دقاته متتالية
وفي غفوة الدجى أنت نجوى

تتراءى لنا الرقة المبثوثة في المقطوعة والتي تظهر الجانب الآخر لشخصية الخرفي؛ حيث تشع من روحه معاني ودلالات تشعرنا بالشوق والحنين إلى ما يشعر به، وبخاصة الأم التي نشتاق إليها، وهي قريبة منا، فالشاعر يتخبط بين

ألم البعاد وألم الحيرة عليها في أرض الجزائر، وهي تكابد مع شعبه قهر واضطهاد المستعمر.

لعل اللوحة التي رسمها الشاعر لأمه هي لوحة مأساوية لما حل به في العيد، ولما يتصوره في الجزائر؛ حيث يتخيل والدته دافنة رأسها بين كفيها والدمع يترقق من مقلتيها وحيدة غريبة عنه لا يستطيع مواساتها، ولا هي كذلك، فيقول(٣٠):

أمـي يهنئ كل نجل أمـه ويعانق
وفـي غـفـوة الـدجـى أنـت نجوى
وأنا نصيبي منك يا أمي الخبر الطارق
أحيا هنا وأنا لمرآك الوضيئ مفارق
وفـي غـفـوة الـدجـى أنـت نجوى
لكنني بالرغم منه باللقاء أنا واثق
أماه هذا المعتدي هذا الغراب الناعق
وفـي غـفـوة الـدجـى أنـت نجوى
أناوالجميع وأنت ياأمي عليه صواعق

ويشتد الشوق بالخرفي فيتذكر كيف يمضي العيد مع والدته؛ حيث تمر صورتها أمام عينيه، وهي تحضر لذلك اليوم بدءه بالإبكار وتزيين البيت للزائرين فيتفاعل حنينًا مع المشهد، ويغوص في عالم الذكرى الحالمة فيقول(٣١):

من يا ترى ينسى فؤادي بقظة باكره
في فجر يوم العيد والأعياد ذكرى عابره
لتزيني البيت الجميل لزائر أو زائره
والبشر رسم في محياك الجميل بشائره

فهذه من ثورية ووطنية الخرفي وشعوره بالحنين والشوق للجزائر، وهو في غربته؛ لأنه «اغتراب لا يعلم له انتهاء مما يجعل الأنفس معلقة بين اليأس والطمع، ولكن المشاعر رغم ثبوتها بين الحنايا فقد طوتها الضلوع، وهي تتمزق وتنكرت لها، وهي تضرب بجذوتها بأعماقها وتسامت عليها وانصرفت عن ذكراها»(٣٢) فتجنح العاطفة الثورية المفعمة بحنين الوطن؛ لتصبح شعورًا يضمه الشاعر في نفسه، شوقًا وحرقة بملاقاة الأهل والأصحاب، فيكون نكران الذات عنده عبارة عن التضحية بالعواطف الشخصية والتسامي بالمشاعر الذاتية، ونلمح ذلك في قصيدة " نداء الضمير" التي أظهر فيها هذه العاطفة المعبأة بالحنين لتربة الجزائر ففي القصيدة «جمع بين الحب والثورة...تصور حياة حبيبين نعما بالحب وفرقت بينهما الحرب، فهاهي الحبيبة تتلهف على حبيبها وتعرب له عن حبها ووفائها وأملها باللقاء به يوم النصر القريب»(٣٣)فشعور الخرفي بالعودة للوطن والتلاقي مع الحبيبة جعل أفكاره تنثال انثيالا؛ لتتجاوز المحنة قهرًا وذلاً؛ حيث يقول:(٣٤)

يا حبيبي ذكريات الأمس لم تبرح خيالي
وفـي غـفـوة الـدجـى أنـت نجوى
كيف تغفو مقلتي عن ذكراها عبر الليالي
لا تلمني إن ترامت بي أمواج البعاد
وفـي غـفـوة الـدجـى أنـت نجوى
لا تلمني لم يزل يخفق للحب فؤادي
غير أن القلب هزته نـداءات شجية
وفـي غـفـوة الـدجـى أنـت نجوى
صعدتها في دجى الليل قلوب عربية

وجفون مسها الضيم فغصت بالدموع

فاستطارت شعلة الحب لهيبا في ضلوعي

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

وتراءت لي وراء الصوت أعلام البشائر

فوهبت الحب قربانا وبايعت الجزائر

يبدو الخرفي متشبثًا بالوطن مخلصًا للثورة التحريرية الكبرى يغزلها بشتى الأوصاف والنعوت والأسماء قاصدًا حبيبته الجزائر فتسيل قصائده في حرارة وحرقة تنم عن رقة إحساسه وجميل نفسه ورومانسية روحه(٣٥):

يا حبيبي لم أخن عهدي ولا خنت هوايا

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

غير أن الحب أمسى ثورة بين الحنايا

لك حبي في ذرى الأطلس في تلك الروابي

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

فهناك الأفق الرحب لأحلام الشباب

يبدو أن هذا البوح العاطفي الشجي البعيد الأغوار يعمق التجربة الشعرية للشاعر، ويجعل هذه العواطف تنساح انسياحًا، ولا تقف أمامها الحدود ولا القيود، وهذا يخفف من آلام الشاعر ويبعث الأمل:(٣٦)

يا حبيبي كم فرشنا الربع وردا وزهورا

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

كم بنينا من هوانا لأمانينا قصورا

لك حبي يوم تعلو بسمة النصر ثرانا

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

ويغيب الليل والآلام فجر من دمانا

سوف ألقاك مع النصر وأفراح البشائر

وفي غفوة الدجى أنت نجوى

سوف نبني عشنا في ظل تحرير الجزائر

د - الإشادة بالمجاهدين:

إن الشخصية الثورية التي عرف بها الخرفي تجعله يتغنى بالمجاهدين والشهداء في أطلسه، «مشيدًا بأعمالهم وشجاعتهم في كل ربوع وطنه، يحثهم على الجهاد صراحة، ويشد من أزرهم ويثمن أعمالهم ويبارك انتصاراتهم وصف بسالتهم ويذيع انجازاتهم»(٣٧) بلغة لا تخلو من الرقة والسلاسة، فالمجاهدون يصنعون التاريخ الطاهر ويرسمون طريق الحرية، بعز وكرامة؛ لذا نجده يصفهم براصنة وهدوء فيقول(٣٨):

يا أيها الزاحفون زحف المنايا

في ذرى الأطلس الأشم المصابر

يا نسور الجبال حدق منكم

رابض في الثرى وحلق كاسر

أين سباقكم في المعالي

من باق التسلح المتطاير

هذه الصيحات الجهادية تبعث العواطف المرتبطة بالثورة، والوطن والجهاد وتشجع المجاهد في ساحات الوغى«بخوض المعارك وهو مستعد لها، يحمل كل الصفات التي تؤهله لها، وتمكنه من النصر في الأخير، من شجاعة وابتسال، وتحد للموت، ونفور من الذل»(٣٩)؛ ليدافع عن بلاده، إنها توجيهات القائد(٤٠):

غاض نبع الحياة منكم
وارد يستقي الردى غير صادر
أنتم المجد والخلود وأنتم
مهرجان انطلاقنا والمنابر

يرى الخرفي أن تربة الجزائر تطهرت بدماء الشهداء، وتعطرت، وارتوت بها، فأضحت روضة لهم، ومعقلاً للأسود المجاهدين الذين لم يدخروا جهدًا لتحريرها، فالخرفي آمن بقضيته، وتمكن حب الجزائر منه، فهو ثوري ووطني للنخاع، ويركب اللغة القاسية حينًا والرقيقة الهامسة حينًا آخر؛ حيث يقول(٤١):

بسمة النصر تلك في يوم عيد
أم هي الدمعة احتفت بالشهيد
خليا دمعة الشهيد تروي
مقلتي خلياه يذكي صمودي
لا تقولا أين ابتسام الأماني
بسمة البشر ضاق عنها وجودي
أي عيد بوقف إطلاق نار
ولهم في دمنا ألف عيد
خليا آهة المعذب تحدو
ثورتي؛ لأنطاقها من جديد

يبدو أن شاعرنا اعتمد في المقطوعة على بعض الكلمات التي سعى إلى تكرارها، وهي ذات دلالات راقية وسامية تعبر عن الناحية الجمالية والمقدسة للثورة وهي: (بسمة، ابتسام، الشهيد، خليا، عيد، دمعة)، كما تعكس حرص الخرفي على الارتقاء بالشهداء وبقيمة المجاهد الجزائري وعمله.

خاتمة

وبعد فقد كانت هذه الدراسة محاولة لسبر أغوار عالم القصيدة الثورية الجزائرية في ديوان أطلس المعجزات لصالح الخرفي القراري الجزائري، والكشف عن ثنائية العنف والرقة التي طبعت لغة ومعاني ودلالات قصائده، فشكلت صورة جمالية تلونت بها نصوصه، وكشفت عن شخصية الخرفي التي تتميز بالقوة والعنف والحزم حينًا، والرقة والسلاسة والرومانسية المطلقة حينًا آخر في عالم ثوري يعج بلغة الحديد والنار، كما استطاع الخرفي إنتاج بنية شعرية نبعت من صميم التجربة الشعرية الثورية التي عاش أيامها واكتوى بنارها وآلامها وتلذذ بنشوتها عند الاستقلال.

ومن ثم فقد جاءت تلك النصوص الثورية وفقًا للرؤية النفسية والفنية للخرفي؛ حيث رصد في أطلسه محطات الثورة الأليمة، وعبر عما قاساه الشعب الجزائر من ذل هوان، كما كشف فيه عن عنف الثورة التحريرية التي عصفت بالمستعمر فسجل أطوارها ومحطاتها، وإلى جانب ذلك أشاد بالجزائر وبجمالها وخاطب أنوثتها، واشتاق للحديث إليها من خلال مشاعره النبيلة، فكان رومانسيًا إلى أبعد الحدود، فقد جمع في أطلس المعجزات بين هذا وذاك في جمالية فنية مطلقة.

الحواشي

١ - الشاعر صالح الخرفي من مواليد ١٩٣٢م بمدينة القرارة بولاية غرداية، من أسرة تقدس العلم والعلماء، حيث حفظ القرآن الكريم سنة ١٩٤٦م، ثم تعلم في مدرسة الحياة الابتدائية، وبعدها أرسل إلى تونس لينهل من علوم جامع الزيتونة.

والمدرسة الخلدونية سنة ١٩٥٣م، بعدها رحل الشاعر إلى القاهرة، فالتحق بجامعتها فتحصل على شهادة الليسانس ثم الماجستير ثم الدكتوراه في الآداب، ناضل الشاعر لإسماع صوت الثورة للرأي العالمي، ثم عاد إلى الجزائر ليشارك في الثورة حتى الاستقلال، توفي الخرفي سنة ٢٠٠١م.

٢ - صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٢، ١٩٨٤م، ص ٢٣٣.

٣ -نفسه، ص ٢٣٣-٢٣٤.

٤ - سلمى خضراء الجيوشي، أبعاد الزمان المكان عند الشابي- دراسات عن الشابي-، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٩م، ص ٢١٤.

٥ - مقداد محمد، دراسة نقد عربية لأطلس المعجزات- ديوان شعر لصالح الخرفي- مجلة الرواسي، باتنة، الجزائر، العدد العشر، السنة الثالثة، رمضان ١٤١٤هـ- جانفي فيفري ١٩٩٤م، ص ٤٥.

٦ - صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢م، ط ٢، ص ١٩.

٧ - نفسه، ص ٢١.

٨ - نفسه، ص ٢١-٢٢.

٩ - نفسه، ص ٢٢.

١٠ - نفسه، ص ٤١.

١١ - نفسه، ص ٤٧.

١٢ - نفسه، ص ٣٠.

١٣ - نفسه، ص ٦٧.

١٤ - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م، ص ٤٣٥.

١٥ - صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ٢٩.

١٦ - نفسه، ص ٢٥.

١٧ - نفسه، ص ٢٦، ٢٧، ٣٠.

١٨ - نفسه، ص ٥٣.

١٩ - محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر(١٩٥٤ – ١٩٦٢)، رسالة ماجستير في الآداب، مخطوط، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، ١٩٨٩، ص ٦٩.

٢٠ - صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ١٨٠.

٢١ - نفسه، ص ٢٢٢.

٢٢ - نفسه ، ص ١٠١.

٢٣ - نفسه ، ص ١٢-١٣.

٢٤ - نفسه ، ص ١٠٩-١١٠.

٢٥ - صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص ٢٨٤.

٢٦ - صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ٢٨٥.

٢٧ - نفسه، ص ١١٠.

٢٨ - نفسه، ص ١١٠-١١١.

٢٩ - نفسه، ص ٩٧.

٣٠ - نفسه، ص ٩٥.

٣١ - نفسه، ص ٩٦.

٣٢ - محمد ناصر، الأصالة في شعر ثورة نوفمبر، مجلة الأصالة، السنة العاشرة، العدد ٨٩ – ٩٠، جانفي – فيفري، ١٩٨١م، ص ١٢٣.

٣٣ - الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري الحديث منذ سنة ١٩٤٥م حتى سنة ١٩٨٠م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١١٤.

٣٤ - صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ١٩٣.

٣٥ - نفسه، ص ١٩٤.

٣٦ - نفسه، ص ١٩٥.

٣٧ - أنيسة درار بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة ١٩٤٥م حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م، ص ١٠٢.

٣٨ - نفسه، ص ٢٣٧-٢٣٨.

٣٩ - يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء -دراسة فنية تحليلية-، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط١، ١٩٨٧م، ص ١٢١.

٤٠ - صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، ص ٢٣٨.

٤١ - نفسه، ص ٢٠٥-٢٠٦.

قائمة مراجع الدراسة

١ - أنيسة درار بركات، أدب النضال في الجزائر من سنة

جمالية التواتر بين الشدة والرقة في ديوان أطلس المعجزات لصالح الخرفي القراري الزيتوني الجزائري (١٩٣٢ - ٢٠٠١م)

١٩٤٥م حتى الاستقلال، المؤسسة الوطنية للكتاب، ١٩٨٤م.
٢- سلمى خضراء الجيوشي، أبعاد الزمان المكان عند الشابي- دراسات عن الشابي-، الدار العربية للكتاب، ط٢، ١٩٨٩م.
٣- صالح الخرفي، أطلس المعجزات-الديوان-، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٢م، ط ٢.
٤- صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط٢، ١٩٨٤م.
٥- محمد زغينة، شعر السجون والمعتقلات في الجزائر(١٩٥٤ – ١٩٦٢م)، رسالة ماجستير في الآداب، مخطوط، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، ١٩٨٩م.
٦- محمد ناصر، الأصالة في شعر ثورة نوفمبر، مجلة الأصالة، السنة العاشرة، العدد ٨٩ – ٩٠، جانفي – فيفري، ١٩٨١م.
٧- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
٨- مقداد محمد، دراسة نقدية حربية لأطلس المعجزات- ديوان شعر لصالح الخرفي- مجلة الرواسي، باتنة، الجزائر، العدد العشر، السنة الثالثة، رمضان ١٤١٤هـ- جانفي فيفري ١٩٩٤م.
٩- الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري الحديث منذ سنة ١٩٤٥م حتى سنة ١٩٨٠م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
١٠- يحي الشيخ صالح، شعر الثورة عند مفدي زكرياء –دراسة فنية تحليلية-، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ط١، ١٩٨٧م.



من مَوارِدِ السَّهو والخَطأ والإخْلال في تحَقيق النصوص التراثيَة

مُحَمَّد رضْوان الدَّايَة
دمشق - سوريا

(١)

شغل التصحيف والتحريف في النُّصوص التّراثيَّة على اختلاف أنواعها-اهتمام العلماء والرُّواة والأُدباء والمؤلِّفين والمصنفين. واجتهدوا في ضبط النّصّ كتابةً ورسمًا، مثلما اجتهدوا في ضبطِه روايةً ومُشافهةً، وقد استظلّوا بظلّ رؤيةٍ إسلامية اتّصلت بجانبٍ من العقيدة، كما دعت العرب والمسلمين إلى تأدية كلام رسول الله ﷺ كما سَمِعُوه، وألّا يزيد الراوي على ما سمع ولا ينقص منه، وأن يجتهد في ذلك الاجتهادَ الأعلى الذي يستطيعُه الإنسانُ مستعينًا بالأدوات المتاحة للضَّبط والحِفظ والصَّون وأَداء الأمانة.

والضّبْطُ ضبطان:

١ ـ ضبط صَدْر: وذلك بأن يؤدّيَ الرّاوي الرّواية كما سمعها من شيخه. (الحفظ في الصُّدور).

٢ ـ وضبط كتابة: وذلك بأن يؤدّي الرّوايةَ كما يرويها من كتابِهِ الذي رَواه من شيوخه، على أن يكون على الكتاب أمارات الضبط. لم تَعْتَوِرْهُ يُد التغيير والتّبديل.

وكان في جُملة ما صنعه المهتمون بضبط الكلام وسلامةِ النقل، واستقلال كلّ حرفٍ برسمٍ وضبطٍ يحجزه عن التّداخل بغيره **الإصلاحُ** الذي تَمّ **بالإعجام** (وضع النقاط على بعض الحُروف تبيينًا وتفريقًا)، وعلامات **الإهمال** للحروف المُهملة كرسم السين (س) تحت حرف السّين على أنها السِّينُ المهملة وليست الشين (المعجمة).

واستفادت الكتابة العربيّة، وسائر مناشط الرّسم والضّبط وتَوخّي الصّحّة والسّلامة ممّا صنعه العلماءُ الذين اشتغلوا بالمُصحف الشريف، ونَسْخِه وضبطه.

واعْتَنوا بالحديث النّبوي الشريف بوضعهم علامات الإعجام والإهمال للحُروف، وتقييدها في الحاشية للتبيان، ووضع علامات الفصل بين الأَخبار: الدائرة، وبداخلها نقطة، ووضع النقطة

بعد المقابلة دلالةً على انتهاء المُقابلة حتّى هٰذا الخَبر.

والتَّصحيف[1] - في بعض تعريفاتِه - هو: تغييرٌ في نَقْطِ الحُروف أو حركاتِها مع بقاء صورةِ الخطّ مثل نَمَتْ ونبَتْ، و: لعلّةٌ ولِعِلّةٍ، والعَذْل والعَدل.

والتّحريف هو العُدول بالشيء عن جِهته، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]. وقال: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥].

والتّحريف: قد يكون بالزّيادة في الكلام، أو النّقص منه، وقد يكون بتبديلِ بعض كلماته، وقد يكونُ بحَمْلِه على غير المُرادِ منه، "فهو بكلّ هذه التعريفات أعمُّ من التّصحيف"، وفي العُلَماء قديمًا من لا يفرّقُ بين المُصطلحين: (التصحيف والتحريف).

وأصل مصطلح "التصحيف" من الأَخْذِ عن الصُّحُف دون التّلقّي عن أفواه العلماء. والصُّحفي - في تعريفِ لأبي أحمد العسكري: "هو الذي يروي الخطأ عن قراءة الصحف بأشباهِ الحُروف". وينتج عن هذا أحيانًا وقوع شيء من التّغيير، فيقال: قد صَحّفوا أي رَدّدوه عن الصحف، وهم مُصَحِّفُون، والمصدر التّصحيف.

وقد استجدّ في عصر الطّباعة جديدٌ كثيرٌ ممّا يدخل تحت عنوان: **التّصحيف والتّحريف**؛ يعودُ شيءٌ منه إلى عمل الطّباعةِ نَفْسِه في مراحلِه المتعدّدة.

وقيل في الأخطاء النّاتجة عن عمل المطبعة إنها تطبيعات، الواحد: تَطْبِيع.

(٢)

ويجتمعُ لتحقيق النصّ التّراثي ثقافتان:

١ ـ **ثقافةٌ عامّة:** وينبغي أن تكون واسعةً، وصار لزامًا التنبيهُ على أساسيّات هذه الثقافة في العصر الحديث، وقد كان أمرًا عاديًّا حاصلًا دون عناء. فالثقافةُ اللّغويةُ (بكل ما فيها من النحو والصّرف واللغة ومعرفة المعاجم واستعمالها... الخ) والثقافة الأدبيّة العريضة (من معرفة الشعر والنثر وحفظ النُّصوص والمذاكرة بها)، وإتقان شيءٍ لازمٍ من السّيرة والتّواريخ، ومعرفة الأسماءِ والبُلْدان (ومَظانّ العودة إليها) وإتقان العروض والقافية، والبلاغة، ومعرفة أساليب العرب في كلامهم.. الخ.

... كل أُولئك وما يلحقُ بذلك كان حاضرًا لدى المُشتغلين بالعلوم العربيّة والإسلامية، والمُشتغلين بسائر العُلوم والفنون كعلوم الأوائل، وسائر مناشط التأليف والتصنيف والعناية بالنُّصوص.

ومع انتقال عملية تحقيق النصوص (والوثائق وما شابه ذلك) من المستشرقين والمُدقّقين والمحققين الأوائل الذين واكَبُوا حركة الطباعة الأُولى، ومَن خَلَفَهُم من الشُّيوخ والعُلماء والباحثين إلى الأجيال التّالية، بدأت تظهرُ "**مشكلات**" أدّت إلى ظهور جديدٍ (طاغٍ أحيانًا) للتصحيفِ والتّحريف والإخلال.

وهناك ثقافةٌ خاصةٌ: يحتاج إليها محقّقُ المخطوطة الجديدة التي يعالجها بإتقان مُتَطَلّباتها من المعلومات والمُصطلحات والمصادر

والمراجع وخصوصيّات المعلومات واللغة... الخ.

ومع اجتماع الثقافتين المذكورتين، وتجديدهما والإضافة إليهما كلما أمكن ذلك يحتاج المحقق إلى الصبر والأناة والمتابعة والإخلاص في العمل...

وشيء آخر ذو أهمية، هو الاستفادة من أهل الخبرة من شيوخ الصّنعة أو أهل العلم بمضمون المخطوط المحقّق. وهذا يحقّق تواصل أجيال المحقّقين حالًا بعد حال وجيلًا بعد جيل.

(٣)

أ- من أطرف ما قرأتُ-في موضوع السّهو والخطأ في النُّصوص المُدَوّنة-بيتان لأحد الأُدباء: (يعقوب النّيسابوري) في ترجمته في فوات الوفيات[٢]، وهما:

كَمْ مِنْ كِتابٍ قد تَصَفّحْتُهُ
وقُلْتُ في ذِهْنِيَ:صَحَّحْتُهُ!
ثم إذا طالَعْتُهُ ثانِيًا
رأيتُ تصحيفًا، فأصْلَحْتُهُ!

والبيتان يشيران إلى: وقوع التصحيف والتحريف في النُّصوص-لأسباب مختلفة سنمرّ بها، منها أن يَفُوْتَ المدقّق والمصحح شيءٌ ممّا يحتاجُ إلى تصحيحٍ في مقابلةٍ ثانيةٍ للنصّ، وإن ظَنَّ أنه فرغَ منه!

وأذكر هنا خبرين يتعلّقان بهذا الأمر: **أحدهما** أنّني في أول لقاء مع د. إحسان عباس، في بيروت (وكنت معيدًا في قسم اللغة العربية بجامعة دمشق) أَستشيره في اختيار بحث لدرجة الماجستير (في جامعة القاهرة)[٣] سمعتُه يقول: في أثناء تجاذبٍ لأَطرافِ الحديث إنّه يأسفُ لإلغاء دار المعارف بالقاهرة وظيفةَ المصحّح أو المدقّق اللغوي، وذكر كتابًا ذا صلة بعلم النّفس، وشكا من كثرةِ أخطائه؛ ونبّه على ضرورة وجود ذلك المدقق الخبير.

والخبر الثاني: أنه كان بيني وبين د. عمر فَرُّوخ صلة، فقد عَلّمنا في جامعة دمشق (١٩٥٧-١٩٥٨)؛ وكنت ممّن ربط صلةَ تلمذةٍ بأستاذٍ فلّق المزايا. مرّة استهديتُه بعض كتبه، وكان معه كتاب ألّفه لطلاب المرحلة الثانوية في لبنان، فأخذته، وقرأتُه، وصححت الأخطاء الطباعية التي ظَهرت لي، وأَشرتُ إشارات تلميذ قارئ إلى بعض القضايا. ولمّا لقيته في الأُسبوع التالي أعطيتُه الكتاب وأَطلعتُه على ما صنعت، فقال: لك مِمّا أُصْدِرُ من الكتب نُسختان واحدة تقرؤها وتردُّها، والثانية لك. واستمرت هذه الحال بيني وبينه مُدَّةً طويلة، على أن علاقتي العلميّة به ظلّت مُستمرة ولو من بعيد في أَحيان كثيرة.

ولمّا صِرْتُ أؤلف وأُحقّق، عرفتُ المطابع، وطُرق العمل فيها، وأَلِفتُ المكوث في جانبٍ منها لتصحيح الملزمة التي انتهى الطّبّاع من تنضيدها، أيّامَ صفّ الحروف اليدويّ، وما وراء ذلك أَيضًا، وكان لا بدّ من زمنٍ يُحكم التجربةَ ويقود إلى تعميق الخبرة.

ب- ويُسْهِم النّاسخُ في إيهام المحقّق حين يُصَحِّفُ هو أو يحرّف، ويكثرُ ذلك حينَ تكونُ متابعةُ النّاسخ على ما كتبَ مؤديةً معنًى من المعاني، ولكنّه ليس هو الّذي يدلُّ عليه السّياق، وتَصِحُّ به القراءة.

وقد يكونُ الوَهْمُ من سُوء المخطوطة أو سُوء التصوير لسوء الأَصل (غالبًا) فيذهبُ إعجام بعض الحروف، أو يُزادُ بأثرٍ طارئٍ ليس من الأصل كتداخل الحُروف المتقاربة في الرسم، كالباء والتاء والثاء، والطاء والظاء، والقاف والفاء.... وقد يكون الحرفان متباعدين ثم يُسهم النّسخ أو التصوير بالإبهام كالتاء والقاف، والعين والغين.

وقد يكون السّهو من عدم الانتباه لقاعدة النّاسخ الخطّية كالنُّصوص الأندلسيةِ الخُطوط. ومن ذلك اقترابُ الباء من الفاء (نقطة الفاء في الخط الأندلسي المغربي من تحت الحرف، والقاف بنقطةٍ واحدةٍ من فوق). ومن لم يَتَمَرَّس بالخُطوط الأندلسية خلطَ بين حرف وآخر كالكاف والطاء والظاء.

ج- وممّا يورد المحقّقَ موارِدَ الخطأ رُكونُه إلى نسخة مطبوعة من مخطوطته، طبعةٌ سابقة: يضعُ النصّ المطبوع بين يديه، ويُجيلُ قلمهُ فيه على نيّةِ التحقيق. ثم يقعُ في أخطاء من استهواء الطابع السّابق. ويتّضح هذا في الأخطاءِ الناتجة عن الوَهم إضافةً إلى الاستهواء الذي نذكره.

ويدخلُ في ذلك أن يُسَلِّم المحقّقُ مخطوطته (أو مخطوطات الكتاب المراد تحقيقه) إلى مَنْ يَنسخُه نسخًا جديدًا على قواعد الإملاء السّائدة الآن، وإغفال مراجعة ما صنعه الناسخ، ولو كان من طلاب الدراسات العُليا، أو من النُّسّاخ المحترفين.

ومن طريفِ ما نذكرُه في هذا الجانب قطعةٌ وردت في ترجمة النّاشئ الأَصغر[4] من كتاب وفيات الأعيان (٣: ٣٦٩)، وفيه:

"قال أبو بكر الخوارزمي: أنشدني أبو الحسن النّاشئ لنفسه، وهو مليحٌ جدًّا:

إذا أنا عاتبتُ المُلوكَ فإنّما
أَخُطُّ بأقلامي على الماءِ أحْرُفا
وهَبْهُ ارْعَوى بعد العتابِ أَلم تكنْ
مَودَّتُهُ طبعًا فصارت تكلُّفا؟!

كذا ورد النصّ "إذا أنا عاتبتُ المُلوكَ..." و"الملوك" على هذه القراءة جمع "مَلِك" ويكون المعنى: إنه إذا عاتب الملوكَ لم يُجْدِه ذلك شيئًا، وكان كالذي يكتبُ على الماء!

قلتُ: صواب القراءة: "إذا أنا عاتَبْتُ المَلُوْلَ" وهذا من: مَلَّ يَمَلُّ، الواحد مَلُول. (كثير المَلل، أو سريع الملل) وهو ذو مَلّةٍ، كما قال الآخر[5]:

إنكَ واللهِ لذو مَلَّةٍ
يطرِفُكَ الأَدْنى عن الأَبْعَدِ!

والشّاعر يتحدّثُ في البيتين المذكورين عن شخصية (صديق/ ويصلح أن تقال في الحبيبة). ومن صفات هذه الشخصية أنها يُسرع إليها المَلل. والكلامُ على واحد، كما يدلُّ البيت الثاني:

وهَبْهُ ارْعَوى....

وهذا ليس كلامًا دالًّا على جمع كما تُوهم قراءة: "عاتبتُ المُلوكَ". وكلمة "الملوك" **مُحَرَّفة عن "المَلُول"** وقد يقع الوهم من القارئ، ومن الناسخ بين الكاف واللّام إن طرأ السهو أو الغفلة، أو ساق إلى ذلك الاستهواء.

وقد أُعْجِبَ د.عمر فرُّوخ بالبيتين المذكورين فاختارهما في ترجمة النّاشئ الأصغر من كتابه[6]، ورواهما كما وردا في طبعة الوفيات

دون تعليق.

- وقد يكون الخطأ ممّا يعرض من التّطبيع، ثم لا ينتبه المحقق إلى ذلك، ومفتاح ردّ الأخطاء الطّباعية: مقابلةُ النصّ. والذي أعرفه من متابعاتي، أن أكثر من يمارسون "التحقيق" من طلبة الدراسات العُليا، والشُّداة، وأمثالهم لا يقابلون النُّصوص مع مَنْ يُتابع معهم، أو لا يُحسنون ذلك. وأضربُ مثالًا شاملًا من الجزء الثالث من كتاب "حماسة الظرفاء" فإن التطبيع هو السمة الأولى فيه، وكأنّ المحقّق الفاضل لم يشهد طباعته (نقله من مخطوط يده إلى المطبوع).

ومن طريف التّطبيع والوقوع في التّحريف والتصحيف كتابة هذا البيت على هذه الصُّورة:

ولا تُـزْجِ فعْل الصّالحاتِ إلى غدٍ
لعــلّ غــدًا يأتي وأنــت فقيدُ!

وقد ورد في الحاشية: "لا تُزْجِ: لا تؤخر، والفعل مجزوم بلا الناهية".

وظاهر أنّ الأصل كان صحيحًا: ولا تُرْجِ[٧] (بالراء المُهملة) من أرْجأ يُرْجِئُ بمعنى: أجّل وأخّر؛ ثم ظهر النصّ-مع التطبيع-"ولا تُزْجِ" بالزاي المُعجمة. ولا معنى له في هذا النصّ؛ وهو خطأ محض. ويكثر هذا التطبيع وتفسد النصوص المحققة، وإن كان المحقق متقنًا، حين يتولّى أمر الطّباعة والمراجعة والتدقيق مَنْ قلّت خبرته، وقلّ صَبْرُه.

د- من طريف الكلام على ضبط النصّ المحقق على وَجْهه (تدقيقًا في الخطّ والرسم، وتعزيزًا بالمعنى المراد) كلمة لابن خفاجة في ديوانه[٨]، فقد أنشد قصيدة ذكر فيها الطّيف، استطرد فيها إلى وصف طُولِ اللّيل، وتشبيه الجَوْزاء، والصّباح والظلام والفجر والسّحاب... وآخر بيتين فيها هما:

والفَجْرُ يَنْظُر من وَراءِ غمامةٍ
عن مُقلةٍ كُحلت بها وَرْقاءِ
فرغبتُ نو نَـوْرِ الصَّباح لِزَوْرَةٍ
أُغْرى لها بِبَنفسج الظلماءِ

وقال ابن خفاجة بعد هذا[٩]:

("نَوْرُ الصباح" في البيت الأخير من القطعة المهموزة ثبت فيها **مفتوح النون؛ وسَيُغَيَّرُ، فيُنشَدُ لا مَحالةَ مضموم النون، فينقصُ رونقُ** البيت).!!

وخاف ابنُ خفاجة من أن يغيّر القارئ أو ناسخ الديوان ضبطَ كلمة "نَوْر" وقد أرادها هكذا بفتح النون (وهو زهر النَّبات) فتقلب بالتّغيير إلى نُور! الكلمة بالضم (نُور) لها معنى، لكنّ الشاعر بنى مقصده على التشبيه؛ والصّنعة الفنية. وابنُ خفاجة من مذهب "التصنُّع" (بحسب تعبير د.شوقي ضيف)[١٠]، أو "المُرَصّع" كما سمّى ذلك محمد بن عبد الغفور الكلاعي في كتاب: إحكام صنعة الكلام[١١].

وقول ابن خفاجة إنه سيغيّر، مبني على أنّ القارئ أو الناسخ سيجري في القراءة والكتابة على العبارة الشائعة "نُور الصباح" وفي عبارة ابن خفاجة نَوْر الصباح صُورةٌ مبتكرة، وهو اللّفظ الذي قصدَ إليه، والمعنى الذي طلب، والصُّورة التي أرادها لفكرته.

(٤)

في هذا البحث ملتقطات من بعض كتب التُّراث العربيّ كنتُ سجلتها على أطراف تلك الكتب مما يدخل في عنوان البحث من الشهو والخطأ والإخلال، وهي كتب مختلفة من أدبية ولغوية ونقدية وتاريخية وجغرافية، ومن كتب التراجم والرِّجال، والمعارف العامّة وغيرها.

وهي كتبٌ محدودةٌ من كتب كثيرة من المكتبة التي تطيف مجلّداتها بي في مكان العمل: كان المقصود اختيار نماذج مختلفة من قضايا مُتعددة تدخل في إطار البحث. ومحققو هذه الكتب من العلماء والباحثين والدّارسين، وخرّيجي الدّراسات العليا (في كتب كانت جزءاً من رسائلهم الجامعية لنيل درجة الدكتوراه).

والغرض العامّ هو التّنبيهُ على نماذج وَقع فيها الشهو والخطأ والإخلال، على سبيل الإسهام في إغناء حركة تحقيق المخطوطات، واستدراك ما يُشبه هذا الذي ننبه عليه وفي أعمال المنخرطين في هذه المهمّة العلميّة. وقد رتّبتُ النّماذج المختارة، وعالجتها بإيجاز، يحقّق الغرض المقصود (في هذا الإطار المحدود).

ثم أقول:

شيءٌ من نتائج الشهو وشيء آخر من الخطأ ومن الإخلال يُستدرك بالمُراجعة الجادّة، واستحضار ما يمكنُ أَن يكونَ المحقّق قد نقصَ منه أو أَخلّ به.

هـ وقد تُوكَلُ المُراجعة إلى محقّقٍ (أو قارئ) آخر، يُفترضُ أنه أكثر خبرةً، وأَطولُ باعًا في الفنّ. وهذا حَسَنٌ حين يكون المُراجِعُ جادًّا في ما أُوكِل إليه، قادرًا على أداء ذلك بإتقان.

ويخفف (ويقلّل) من أخطاء الشهو وغيره عودة المحقّق إلى المصادر الثانوية (بعد النسخة أو النسخ المخطوطة المعتمدة). مثلًا ورد بيت لمحمد بن أبي عيينة في الجليس الصالح الكافي على هذه الصُّورة[١٢]:

زارتك منّي همةٌ منازعةٌ

إلى العُلا من مراتب الهممِ

وقوله: (منّي) يكسر البيت ويفسد وزنه، وهو من بحر المنسرح، وصوابه في الأغاني[١٣]، وصورته:

زارتك بي همةٌ منازعةٌ

.... البيت. وتقطيعه:

زارتك بي/ همّةٌ مُـ/ نازعةٌ...

مستفعلن/ مفعلاتُ/ مستعلن

وبيت آخر للشاعر نفسه، وصورته في الجليس الصالح[١٤]:

أنا الذي إذا كفرتُ نعمته

أذبت ما في جنبيك من عُكَنِ

وهو مكسور الوزن أيضًا، وصوابه في الأغاني[١٥]:

أنا الذي إذا كفرتُ نعمته

....

- والبيت من بحر المنسرح أَيضًا.

والإحساس بالوزن الشعري، وإتقان العروض والقافية يحمي المحقّق من الخطأ، ولو كان في النصّ الذي بين يديه اضطرابٌ من هذه الناحية.

إنه بوصلةٌ تفيد المُحقّق، وتصحّح جانبًا من عمله.

ومن الخطأ الذي يجمع فيه شيء من قراءة النصّ وضبطه، وشيء من اللغة، ومن فهم النّص، ومن الإخلال بعلم القافية ما ثبت في الوافي بالوفيات[١٦] من شعرٍ لشرف الدين بن جبارة السخاوي، قال فيه (والضبط من المطبوع):

يا قلبُ وَيْحَكَ خُنْتَنِي وفَعَلْتَها
وحَلَلْتَ عقدةَ توبتي ونكثْتَها
يا عينُ أنتِ بَلِيَّتي، يا خُبثَها
لِمْ لا عن الوجهِ المليح سَتَرْتِها

والمعنى ظاهر فقد خاطب قلبه في البيت الأَول، واستزله إلى الهوى ولام عينَهُ فهي مفتاح القلب، ثم التفت من العين إلى جزء من العين وهو الجفن الذي تقاعس فلم يغمض، ولم يمنع العين عن النظر إلى الوجه فيحجب عنها وعن القلب العودة إلى الحبّ الذي كان منسيًا.

قلتُ:

١- اختار رواية "يا خبثها" وعنده رواية "يا جَفْنَها".

٢- العين مؤنثة فلمّا وصل بقراءته للنص إلى آخر البيت قال: "وسَتَرْتِها" وهذا يخلّ بالمعنى والقافية.

٣- وجه قراءة البيت هو:

يا عينُ أنتِ بليّتي، يا جَفْنَها
لم لا - عن الوجه المليح - سَتَرْتَها

والجفنُ مذكر. ولا يلائم البيت إلا قراءة الفتح (سَتَرْتَها).

٤- التاء هي حرف الرويّ (الذي تُبنى عليه القصيدة في الشعر العربي) وحركته لازمةٌ في أبيات القصيدة جميعًا.

- أمّا الهاء في "سَتَرْتَها" فهي الوَصْل.

- وأما الألف الأخيرة في "سَتَرْتَها". فهي: الخُروج، والقصيدة: تائية.

و- وفي مناهج التحقيق أن يستوفي المحقّقُ العناية بالنص الذي بين يديه، فإن صادفه أمر يحتاج إلى تعليق أو إيضاح لم يجد له إفادة أو إضافة نبّه على ذلك، بعد أن حاول، وقدّم جهده واستوفى معرفته -.

- ويدخلُ في هذا الإشارةُ إلى الأَعلام والبلدان، وإلى الأقوال المشهورة والأمثال، وإلى الأشعار، والأَخبار، وإلى المأثور من تراث العرب، ممّا شاع واشتهر.

ومن التصحيف والتحريف ما يشير إلى المستوى اللغوي.

- وفي مطلع قصيدة للسان الدين هذان البيتان، أُورِدُهما كما وردا في الدّيوان[١٧]:

قَسَمًا بالليل وما وَسَقا
وآياتِ البَدْرِ إذا اتَّسَقا
والنجم الثاقب حين هوى
راجمًا والصُّبح إذا انفلقا

والقصيدة: مقدمةٌ في إقبالِ النّيروز (بدء فصل الربيع) والتفاتٌ وشيكٌ إلى المدح.

قلت:

١) الشعر من بحر الخَبَب (فَعِلُن) أربع مرات في كل شطر.

٢) الشطر الثاني من البيت مضطرب الوزن. ويصح الوزن، والمعنى بالقراءة الصحيحة:

قسمًا بالليل وما وَسَقا

وإيَاةِ البَدْرِ إذا اتَّسَقا

وإيا (الشّمس) ضوؤها، و: شعاعُها، و: حُسنُها، والجمع إياء.

٣) وقوله: "راجمًا" في البيت الثاني يكسر الوزن. وصوابُ القراءة: "رَجْمًا".

- و: رَجَمه: رماه بالحجر. والإشارةُ في البيت من الاقتباس القرآني.

- في ديوان لسان الدين بن الخطيب ثناءٌ شعريٌّ على قصيدة لصديقه الشريف الغرناطي (صاحب شرح مقصورة حازم) قال فيها:

زرْتَ بابن الحُسين فما

لهُ في الحُسْنِ مُنتَسَبُ

ونادت بالرَّضيّ: لقد

"حكيتَ وفاتكَ الشَّنَبُ"!

وظاهر أنه يشير إلى المتنبي والشريف الرضي، ويشير (ويقتبس) في البيت الثاني إلى قصيدة لابن الخيمي، فيها قوله[١٨]:

يا بارقًا بأعالي الرَّقْمَتَيْنِ بدا

لقد حكيتَ ولكن فاتكَ الشَّنَبُ

وقد عاد لسان الدين إلى هذه القصيدة مرة أخرى في ديوانه، وقال[١٩]:

ناديتُ دمعيَ إذْ جَدَّ الرحيلُ بهم

والقلبُ مِنْ فَرَقِ التّوديعِ قد وَجبا

سقطتَ يا دَمْعُ من عيني غداةَ نأى

عنّي الحبيبُ "ولم تَقْضِ الذي وَجَبا"

وفي البيت الثاني إشارة (واقتباس) إلى قول ابن الخيمي في القصيدة المذكورة:

باللهِ إن جُزْتَ كثبانًا بذي سَلَمٍ

قف بي عليها، وقل لي: هذه الكُثُبُ

ليقضيَ الخَدُّ من أجراعها وَطَرًا

في تُرْبِها، ويؤدي بعض ما يَجِبُ!

ونلاحظ التّورية في قطعة لسان الدين، وجناس القوافي أيضًا.

- وقصيدة ابن الخيمي المختمسة شرّقت وغرّبت، وممّن عارضها ابن خاتمة الأنصاري[٢٠]، واتكأ على بعض عبارات الشاعر فيها. وابن خاتمة معاصر للسان الدين ومن أصدقائه.

ز- ومن أخطاء النّحو، ما ورد في وفيات الأعيان[٢١] في ذكر عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: "ثم رفع يديه وقال: اللّهُمَّ إنك أَمرْتَ فعصينا، ونهيتَ فارتكبنا، فلا بريء فأعتذر، ولا قويّ فانتصر، ولكنْ لا إله إلا أنت...".

- وظاهر أنَّ صوابَ العبارة فلا بريءٌ فأعتذر، ولا قويٌّ فانتصر... و(لا) هنا النافية، أي: لا أنا بريءٌ... ولا أنا قويٌّ...

- وهو يتحدث عن نفسه، لكنّ عبارة "لا بريء" على هذه الصُّورة مختلفة فـ"لا" هنا هي النّافية للجنس. وللكلام تفصيل في كتب النحو.

ومن أخطاء اللغة ما ورد في كتاب لطائف الأخبار[٢٢]: قال: "دخلت بكّارةُ الهلالية على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وقد اشتدّ ضعف بصرها تُهدِي بين جاريتين فردّ عليها السلام...".

ضبط المحقق الكلمة هذا على وزن تُنادي، والصّواب تَهادى على وزن تسامى. في تاج العروس (هـ د ى): "تهادت المرأةُ: تمايلت في مشيتها من غير أن يماشيها أحد، قال الأعشى:

إذا ما تأتّى تريد القيام

تَهادَى كما قد رأيت البصيرا

قال: وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه... قال: ومنه: تَهادَى بين رجلين إذا مشى بينهما معتمدًا عليهما من ضعفٍ...".

ج- ومن الخطأ في معرفة البُلدان، والجغرافية عامّةً:

في طبعة دمشق من "البديع في وصف الربيع" قطعة فيها قول الشاعر:

وَرْدٌ كمثل دَمِ الوريدِ وسَوْسَنٌ

غضٌّ بَسُوسِيُّ الغلائل مكتسي

كذا فيه[٢٣]، وقال المحقق في الحاشية: "بَسُوسي" من الإبساس بمعنى الانسياب. انتهى منه.

وقد وردت الكلمة مرّةً أُخرى في قول الشاعر[٢٤]:

شَخَتُ المآزِرِ لاذِيُّ الظّهائر قد

أتاك يَرْفُلُ في ثوبٍ له سُوسِي

- ولم يشرح المحقق هنا، ولم يعلّق.

قلت: وَجْهُ الكلام أنّ الباء في "بسوسي" في البيت الأول من القطعة الأُولى هي أداة (حرف جر) و"سوس" مدينة في أقصى بلاد المغرب يُصْنَعُ بها من الخَزّ العتيق (النفيس) كلُّ جليل، وتُعْمَلُ بالسُّوس من الأكْسِيَةِ الرِّقاق، ومن الثّياب ما لا يَقْدِرُ أحدٌ على مثله...". والياء في "سوسيّ" هي ياء النسبة[٢٥].

- ومن السّهو عن ذكر **المكان أو الموقع الجغرافي**، وهو من منهج المحقق ما كان في قصيدة لأحمد شوقي، في رثاء صديقٍ له، قال فيها[٢٦]:

سلامٌ عليك سلام الرُّبَا

إذا نَفَحَتْ والغوادي الهُتُنْ

سلامٌ على جيرةٍ بالإمامِ

ورهطٍ بصحرائه مُرْتَهَنْ

سلامٌ على حُفَرٍ كالقبابِ

وأُخرى كمندرساتِ الدِّمَنْ

ولم يَجْرِ المعتني بالديوان د. أحمد الحُوفي على ما دَرَج عليه في إخراج الدّيوان من التّنبيه والتعقيب، وأغفل التّعريف، والتّعليق على البيت الثاني (في الأبيات الثلاثة المختارة) "سلامٌ على جيرةٍ بالإمامِ...".

والمراد بكلمة (الإمام) هنا مدافن الإمام الشافعي رضي الله عنه[٢٧]. ولهذا أدرج الشاعِرُ الكلمة مع أخواتٍ لها في الأبيات التالية.

والمكان مشهور في مصر، معروف في الدنيا، وقُبّة ضريحِهِ من أكبر القباب المماثلة.

- وقد يكون السّهو (والاستهواء) من عدم

انتباه المحقق لبعض القضايا التاريخيّة التي تفيد معرفتها في حُسن قراءة النص.

وقد سها محقق ديوان أبي تمام (طبعة دار المعارف بمصر) حين قرأ من قصيدةٍ في مدح محمد بن عبد الملك الزيات، وكان وزير الدولة الأول، الممسك بزمام الأمور (بين يدي الخليفة) قوله:

وزيرُ حقٍّ ووالي شرطةٍ ورحَا

ديوانِ ملك، وشيعيٌّ، ومُحتسِبُ[28]

فالشاعر يُحلّي ابن الزيات بهذه الأوصاف الوزاريّة والإداريّة والأمنيّة... الخ. وصواب قراءة البيت:

وزيرِ حقٍّ ووالي شرطةٍ ورحَا

ديوان ملكٍ، وسيفيٌّ، ومحتسبُ

وكان أبو تمام قد أثنى على قلم الزيّات (أي على كتابته الفنيّة وسطوة قلمه) في قصيدة أُخرى[29]:

لكَ القلمُ الأعلى الذي بِشَباتِهِ

تصابُ من الأمر الكلى والمفاصلُ[30]

وأراد أبو تمام في البيت الأوّل أن يضمّ إلى الممدوح السّيف إلى القلم.

ومعلوم أن الدولة العباسية كانت قبل سنوات قليلة من تاريخ هذه القصيدة (أي أيام المأمون) قد فرغت من توكيد عبّاسية الدّولة، واستقرّ الأمرُ على ذلك.

ط- ومن التّصحيفات الخاصّة بالأعلام ما ورد في كتاب "مفحمات الأقران في مبهمات القرآن" للسيوطي في النشرة التي أخرجها د. مصطفى ديب البغا[31] فقد أورد اسم (ابن عساكر) في صفحات الكتاب حيث ورد في موضع صاحب الاسم الصحيح-وهو (ابن عسكر) نبّه على ذلك أ. إياد طباع في تحقيقه للكتاب المذكور[32].

وهذا غريب فالعَلَمانِ مُتباعدان في الزمان والمكان، فابن عساكر هو أبو القاسم محمد بن الحسن الدمشقي، المشهور صاحب تاريخ دمشق وغيره من المؤلفات (٤٩٩-٥٧١هـ).

وابن عسكر هو أبو عبد الله محمد بن علي الغسّاني المعروف بابن عسكر، أديب عالم بالتاريخ والحديث من أهل مالقة بالأندلس. توفي سنة ٦٣٦هـ.

- ومن الغريب في تحريف الأسماء وتصحيفها ما ورد في كتاب "ربيع الأبرار" للزمخشري في طبعة مؤسسة الأعظمي، وفيه[33]:

سمّت العربُ سنة المئة من التاريخ سنة الحمار، من حديث: حمار عزيز.

- وفي الحاشية:

- العزيز: من أنبياء إسرائيل، قيل إنه كان له حمار فمات. وبعد مرور سنة من موته أحياه الله من جديد.

- وواضح أنّ المراد هو العَلَمُ الذي ورد في القرآن الكريم: عُزَيْر.

- ومن الخطأ في قراءة الأسماء على وجهها، المؤدي إلى الاختلال، والتداخل، ما ورد في ترجمة الجرْمازي (أبي علي الحسن بن علي) في الوافي بالوفيات[34]، قال:

"قال المبرّد كان الـثّوريّ والجِرمازي والجرمي يأخذون عن أبي عبيدة، وأبي زيد

الأنصاري، والأصمعي، وكان هؤلاء الثلاثة أكبر أصحابهم...".

وقد رُسِمَ الاسمُ على هذه الصورة "الثَّوْرِيّ"، ولو كان هو لكان: سفيان بن سعيد الثوري (٩٧-١٦١هـ). والصّواب أن المقصود هو التَّوَّزي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون المتوفى سنة ٥٣٨هـ.

ثم قلت: ولمثل هذه الهفوات - ولو صدرت عن أحد العلماء - وُضعت كتب المتشابه، والمؤتلف والمختلف، والتصحيف والتحريف... الخ.

ومن السّهو، أو الخطأ في ضبط أسماء الأعلام ما صنعه كارل بروكلمان في ترجمة شمس الدّين، أبي علي محمد بن علي الكناني الدمشقي المشهور بابن عراق.

وكان بروكلمان قد ضبطه بفتح العين وتشديد الراء المفتوحة (ابن عَرّاق). وتابعه على ذلك أحد العلماء الأجلّاء: عبد الفتاح أبو غدّة مؤلف كتاب "تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة". وقد اطّرد هذا الضبط في كتب هذا العالم القدير.

وكان الزّركلي قد ضبطه على وجهه: ابن عِرَاق (بكسر العين وفتح الراء المخففة) على صيغة اسم القطر المعروف.

وقد تتبع الأستاذ المحقق إياد الطباع هذه المسألة وانتهى إلى الأخذ بما قاله الزركلي مدقِّقًا في ضبط الاسم، ومخطِّئًا كارل بروكلمان في قراءته وضبطه(٣٥).

ي- هناك علاقة متبادلة بين صحة قراءة النص، وصحة إيراد الشعر على وزنه الصحيح.

ومن الخطأ العروضي الناشئ عن خطأ القراءة ما ورد في ديوان حافظ إبراهيم؛ في مطلع قصيدة له، وهو(٣٦):

مـا لـي أَرى الأَكـمـامَ لا تُـفَـتَّـحُ

والـــرَّوضَ لا يَـزْهـو ولا يُـنَـفُّـحُ

وبهذه القراءة يكون الشعر من بحر الرجز، ولكن الأبيات الآتية في هذا الشعر تجيء على وزنٍ آخر، وفيها:

والـطَّـيـرُ لا تَـلْـهُــو بتدويمها

فـي ملكها الـواسـع أو تَـصْـدَحُ!

وهذا من بحر السّريع. ولكي ينتظم البيت الأول مع سائر النص ينبغي قراءته على هذا الوجه(٣٧):

مـا لـي أرى الأكـمـام لا تـفـتَـحُ

والـــرَّوضَ لا يـزهـو ولا يَـنْـفَـحُ

ويعود إلى بحر السّريع.

- ومن الطريف ما ورد في حاشية الصفحة عند كلمة (يُنَفِّحُ) كما قرأتها لجنة ديوان حافظ(٣٨): "... ينفح: يفوحُ عليه. ويلاحظ أننا لم نجد في كتب اللغة: "نفّح" بتشديد الفاء؛ فلعل حافظًا رأى هذه الصيغة في كلام بعض المولدين".

وظاهر بعد ما أسلفتُ من صواب القراءة أن حافظًا قال (يَنْفَحُ) على الصّواب.

- ويظهر من متابعة تسمية بحور الشعر في الكتب المحققة أن أكثر ما يقع الخطأ في التّسمية في البحور القِصار (يتألف كل شطر من تفعيلتين)، وفي البحور المجزوءة.

ويزيد ذلك الخطأ، وقد يكون سهوًا حين يقع

من محقق متمكّن؛ بسبب الضعف في علمي العروض والقافية، وقلّة التمرّس بقراءة الشعر، وقلة المحفوظ منه، والإسراع إلى أوّل خاطر يخطر في تسمية البَحْر.

وتُنَبِّه كتبُ العروض-عادةً- على تقارُب وزنٍ مع وزنٍ آخر، مع اختلاف البَحْرَين كتنبيههم على تقارب بحر الهزج مع مجزوء البحر الوافر، والرجز والكامل.

- ومن الخطأ في تسمية البحر ما ورد في تحقيق الجزء التاسع عشر من الوافي بالوفيات، فقد عدّ المحقّق قطعة للجلياني الأندلسي **من بحر المنسرح** والصواب أنها **من مخلّع البسيط** وأوّلها[٣٩]:

بذلتُ وقتًا للطبُ كي لا

ألْقى بني المُلكِ بالسُّؤالِ

فكان وجهُ الصَّوابِ في أنْ

أصونَ نفسي بلا ابتذالِ!

ـ **ومن أخطاء الضبط:** ضبط كلمة "ذَكاء" بالفتح في قول الشاعر:

قد تحلّى بزهرِهِ وتَبَدّى

ماثلًا في غِلالةٍ خَضراء

فأرتنا الرّياضُ منها نجومًا

وأرانا سَنا العُقارِ ذَكاءَ

كذا في كتاب التشبيهات[٤٠]، والصواب ذُكاء بضم الذالّ. وهي اسم علم على الشمس. وهي المقصودة في البيت.

- ومن ضبطُ كلمة "وَرَق" بفتح الرّاء بمعنى وَرَق الكتابة في قول ابن عبد ربه[٤١]:

أَبيتُ تحت سماءِ اللّهو معتنقًا

شمسَ الظّهيرة في ثوب من الغَسَقِ

بيضاء يحمرّ خدُّاها إذا خجلت

كما جرى ذَهَبٌ في صفحتي وَرَقِ

كذا فيه. والصواب: في صفحتي وَرِق.. والوَرِق الفضّة، وهي المرادة في الشعر.

- ومن الشّهو الغفلة عن حُروف القافية وحركاتها، ومن ذلك ما ورد في نصٍّ في كتاب **المجتنى** لابن دريد[٤٢] وفيه:

دخل عمرو بن العاص على معاوية، وقد ورَدَ كتابٌ من بعض وُلاتِه فيه نعي رجل من السّلف، فاسترجع معاوية فقال عمرو:

يموتُ الصالحون وأنت حَيٌّ

تخطّاك المنايا لا تموتُ

فقال له معاوية:

أترجو أن أموت وأنت حيٌّ

ولستُ بميّتٍ حتى تُموتَ

كذا ضبط المحقق البيتين. وهما يدخلان في المناقضة (ردّ شاعر على شاعر). وهذا الضبط يغيّر ما يُعرف بالمجرى في علم القافية وهو حركة حرف الرويّ (وهو هنا التاء).

والشعر من بحر الوافر. والقافية مقيّدة (ليتمّ أُسلوب المناقضة). وقد أثبتَ الشيخ الحنفي[٤٣] لبحر الوافر ضربًا ثانيًا: للوافر التامّ، وهو (فعولْ)، وضبط الشعر إذن مع إضافة الضبط وعلامات الترقيم:

١ـ يموتُ الصالحونَ وأنت حَيٌّ

تَخطّاكَ المنايا لا تموتُ؟!

أترجو أن أموتَ وأنت حَيٌّ؟

ولستُ بميتٍ حتّى تموتُ!

- وفي ديوان حازم القرطاجنّي قصيدة أولها[٤٤]:

مُنى النَّفس تُدْني منكمُ والنوى تُقْصي

فكم ذا يطيعُ الدهر فيكم ولا يَعْصِي

وقيل فيه إنه من بحر البسيط والصواب أنه من الطويل.

ل- ومن الخطأ سكوت المحقق عن كلمات تمرّ به، أو عبارات لم يُحْسِن قراءتها، أو لم يفهم معناها وإرسال النص إرسالًا من دون تحقيقٍ أو تعليق: وفي ديوان محمد البزم[٤٥] قصيدة نظمها في صديقه الشّاعر حليم دموس[٤٦]، فيها قوله: (والضبط من عمل صانعي الدّيوان: عدنان مردم وسليم الزركلي):

زجّ المثاني وأحكم من مِثالتِها

ما سَوف يبقى لباقي الشّعر ناموسا

قلت:

١) صواب قراءة الشطر الأول:

زجّ المثاني وأحكم من مَثالِثِها...

وفي الشعر إشارة من الشّاعر محمد البزم إلى كتابٍ لحليم دَموس اسمه: "المثالث والمثاني" فصواب قراءة الكلمة: مَثالِثِها. ولا معنى لـ: "مِثالَتِها".

٢) وصوابُ قراءة الشطر الثاني:

ما سوف يبقى لِباغِي الشّعر ناموسًا.

أي يبقى لمن يطلبُ الشعر، ويمارس نظمه.

وكتاب (المثالث والمثاني) كتاب أورد فيه حليم دموس قطعةً كبيرةً من شعره (وهذا الكتاب غيرُ ديوانه)، وسجّل فيه رسائل طلبها، ووصلت إليه من مجموعة كبيرة من رجال عصره: من شعرٍ ونثرٍ، مع صور توثيقيّة.

- ومن الأخطاء الناتجة على عدم الانتباه للقافية، وعدم متابعة سائر أبيات القطعة أو القصيدة ما ورد في ديوان ابن خفاجة[٤٧]. في قطعة أوّلُها (والضبط من الديوان المحقّق):

يا شفقًا ساطعًا على فَلَقْ

يا ذهبًا سائلًا على وَرِقْ

وقد كتب المحقق عند الأبيات (بسيط مجزوء) وتقطيعُه على هذا:

يا شفقًا / ساطعًا / على فَلَقْ/

يا ذهبًا / سائلًا / على وَرِق/

مستعلن / فاعلن / مُتَفْعِلن

مستعلن / فاعلن / متفعلن

وتسلمُ القراءة، ويصح البحر لو كانت أبيات القصيدة التالية تؤيد ذلك، فقد قال الشاعر بعده:

ما الحُسْنُ إلّا مُعَصْفَرٌ شَرِقٌ

فاض على جسم أبيضٍ يقَقْ

وتقطيعه على هذه القراءة بجعل القافية مقيّدة (ساكنة حرف الروي، وهو القاف):

ما الحُسْنُ إلـ/لا مُعَصْفَ/ رٌ شرِقٌ/

فاضَ على / جِسْمِ أبْيَ/ ضٍ يَقَقْ/

مستفعلن / مَفْعُلاتُ / مستعلن/

مستعلن / مفعولاتُ / مستعلن/

وليس في تفعيلات البسيط: مفعولات أو مفعلات، فهذه من تفعيلات المنسرح والمقتضب. وليس في أعاريض مجزوء البسيط وأضربه وزن "فاعلن" وما يتفرع عنه.

ويَسْلَمُ النصّ من الخطأ بقراءة القافية مطلقةً (بكسر حرف القاف) ويكون التقطيع:

يا شفقًا / ساطعًا عَـ/ لى فَلَقٍ/

يا ذهبًا / سائلًا عَـ / لى وَرِقٍ/

مستعلن/ مفعلات/ مستعلن

مستعلن / مفعلات/ مستعلن

وتكون القطعة من بحر المنسرح!

- والخطأ في ضبط القافية قد يؤدي إلى خطأ في الوزن الشعري، ومنه خبر نقله الثعالبي عن الجاحظ للرَّقاشيّ[٤٨] في ذِكر مُعَلّم [من السريع]:

مختلفُ الخبزِ خفيفُ الرغيفِ

مُنتشِرُ الزادِ لئيمُ الوصيفِ

كذا فيه. وصورة البيت هذه ليست من بحر السريع وتقطيعه (على هذه الحال).

مختلفُ الـ/ خبز خفيـ/فُ الرغيفِ/

مستعلن مستعلن فاعلاتن

وكذا قوله في ضرب البيت (مُ الوصيفِ) فاعلاتن. وليس في أعاريضِ السريع وأضربه "فاعلاتن".

- وصوابُ قراءة البيت، وحركة حرف الروي: "فُ الرّغيفْ" و"مُ الوصيفْ" على وزن "فاعلان".

- فقافية البيت مُقيّدة (ساكنة) والضربُ مطويٌّ موقوف. والبيت من العروض الأولى والضرب الأول من أعاريض "السريع" ولكن طابقت العروض الضرب لأن البيت مُصَرّع.

- في شعر شوقي بيتان في الحكمة[٤٩] وهما قوله:

إنْ كنتَ ذا فضل فكنْـ

ـهُ على ذكيٍّ أو كريمُ

فالفضلُ ينساه الغبيّ

وليس يحفظه اللئيمُ

- الضبط والتقطيع (بين الشطرين) من عمل صانع الديوان.

- قلت: أوّلًا: الشعر من مجزوء الكامل. وضبط المحقق (صانع الديوان) يجعله من مجزوء الكامل المُرَفّل؛ وضَرْبُه (متفاعلاتن). ولكنه على هذه القراءة مضطرب السّياق النحوي: فقد عطف مرفوعًا على مجرور (على ذكيٍّ أو كريمُ) وهذا خطأ ظاهر.

ثانيًا: البيت الثاني مُدَوّر، وضبط رسمه هكذا:

فالفضل يَنْسَاهُ الغبيْـ

ـي وليسَ يحفظُهُ اللئيم

فالياء المشدّدة من "الغبي" مشتركة بين الشطرين.

ثالثًا: صوابُ القراءة، وصوابُ الضّبط العروضي، وضبط القافية:

إنْ كنتَ ذا فضل فكنْـ

ـهُ على ذكيٍّ أو كريمْ

القافية مقيّدة (ساكنة) والوزن: مجزوء الكامل المُرَفّل (متفاعلان) ويلحق به البيت الثاني بقافية مقيّدة كما هو معلوم.

- وقد بنى شوقي القطعة على القافية المُقيّدة حتى لا يقع في الإقواء، وهو اختلاف حركة الروي بين بيتين (أو أكثر) في القصيدة الواحدة.

م- ضبط البيت المُدوّر ورَسْمُه:

البيت المدوّر في مصطلح العروض، هو الذي يتصّل فيه الشطر الأول بالشطر الثاني بكلمة تقسم قسمين ضماناً لضبط الوزن، وكانوا قديمًا يضعون حرف (م) هكذا بين قوسين بين حروف الكلمة التي يشترك في حروفها الشطران، هكذا مثلًا، في قصيدة المتنبي الشهيرة:

صَحِبَ الـنَّـاسُ قبلنا ذا الزّمـانا

وعـنـاهُـــم مـن أمْــرِهِ مـا عَنانا

وتـولّـوا بغصّةٍ كلُّهم مِنْـ (م)

ـــهُ وإنْ سَـرّ بعضهم أحيـانـا!

ثم درجَ المحققون على قسمة الكلمة على وفق الوزن: ووضع خطٍّ ممدود أو خط منقّطٍ ينقطعُ قليلًا عند منتصف البيت كقول المعرّي:

وشـبـيـهٌ صـوتُ الـنَّـعِيِّ إذا قِيْـ

سَ بـصـوتِ الـبـشيرِ فـي كـلّ نـادِ

ولكنّ كثيرًا من الكتب المحققة **تُغفل هذا**، وتضطرب الكتابةُ، ولا يُقْسَمُ البيت قسمين كما يقتضي الوزن.

وأ**شدُّ من هذا** أن يقسم المحقّق البيت في غير موضعِ قسمته، فيضطربَ الوزن.

وأضربُ مثلًا من قصيدة لأحمد شوقي في ديوانه(٥٠) من أوّلها على التسلسل الوارد فيها، وعلى الهيئة رسمًا وضبطًا قال:

مضى الـدَّهْـرُ بـابْـنِ إمـامِ الـيَـمَـنْ

وأودى بِـزَيْـنِ شَـبـابِ الـزّمَـنْ

قلت: إذا تركنا المطلع، فالأبياتُ الخمسةُ مضطربةُ القسمة، مضطربةُ الوزن. وحَقُّ كلمات "السّيوف" و"الحجاز" و"الخيام" و"للعزاء" و"الإله" أن تكونَ جميعًا دون قسمة ثابتةً حروفها في الشطر الأول.

والقصيدة من بحر المتقارب، وتقطيعه:

وبانت / بصنعا/ءَ تبكي السْـ/سيوفُ

فعولن/ فعولن / فعولن / فعولُ

عليهِ/ وتبكي الـ/ قنا في /غـدَنْ

فـعـولُ/ فعولن /فـعـولُ/ فعو=فعَلْ

وإذا قرأ الشطر الثاني عليه (ي): صار وزن التفعيلة: فعولن. وكلاهما صحيح.

- وشيء آخر: فصِحّةُ رسم البيت الثالث... "فَعزّى الحَسَنْ" فهي من العزاء، وليست من العِزّ.

- **ويكثُرُ التّدويرُ في بعض البحور** كالخفيف، والمتقارب، ومجزوء الكامل.

- ولكنّ الأبيات المذكورة لا يصح فيها التدوير، وهو هنا خطأ ظاهر.

ن- ومن غرائب التصحيف والتحريف، وسرد أسماء الأعلام، والإرباك الذي نتج عن ذلك ما ورد في كتاب "منهاج البُلغاء وسِراج الأدباء" لحازم القَرْطاجَنّي(٥١) من ذكْرِ اسم: "شُعبة بن برسام". وقد وردت العبارة في "المنهاج"

من موارِد السَّهو والخطأ والإخلال في تحقيق النصوص التراثية

على الصفحة: ٢٤٣، في دَرْجِ كلام على بَحْر المُضارع من بُحور الشعر العربيّ، وفيه:

"فأمّا الوزنُ الذي سَمَّوه المُضارِع، فما أرى أنّ شيئًا من الاختلاق على العرب أحقُّ بالتّكذيب والردّ منه؛ لأنّ طباع العرب كانت أفضل من أنْ يكونَ هذا الوزنُ من نتاجها، وما أراه أنتجه إلا **شعبة بن برسام خَطرت** على فكرِ مَنْ وضعه قياسًا. فيا ليته لم يضعه، ولم يُدَنّس أوزان العرب بذكره معها، فإنه أسخفُ وزن سُمِعَ، فلا سبيلَ إلى قَبُوله، ولا العمل عليه أصلًا".

وعَلّق محقّق منهاج البلغاء عند (خَطَرت) في الحاشية بقوله: "كذا بالأصل، والتّقدير: صورته: أي صورة الوزن" يعني: "خطرت صورته".

- واحتاج أ. محمد العلمي في كتابه "العروض والقافية"[٥٢] إلى كلام حازم في موضوع بحر المضارع، في فقرة: الأوزان الثابتة والمشكوك فيها، والموضوعة. فأوْرَدَ ما كتبَه "حازم"، وما عَلّق به المحقق عند عبارة: "خطرت"، وقال:

"ولم أسْتَسِغْ هذا التّأويل لسببين: أوّلهما: **أنّني لم أهْتَدِ إلى معرفة (شُعبة بن برسام)** الذي ورد في ما سَبق أنّه واضعُ "**المضارع**" كما لم ينصّ على أيّ شيءٍ عنه مُحقّق كتاب "حازم"، وفوق كلّ ذي علم عليم. وثانيهما: أنّه لم يَرِدْ قبل حازم أدْنى إشارةٍ إلى أنه وضعه شخصٌ ما. فكلّ ما ورَدَ: أنّ الخليل واضعه، كما سبق".

وأضاف أ. محمد العلمي بعد هذا:

"وعندي أنّ **في كلام حازم السّابق تصحيفًا، لعلّ صوابه أن يكون هكذا**: "وما أراه أنتجه إلا عِلّة بِرْسامٍ خطرت على فكر مَنْ وضعه قياسًا".

قال أ. العلمي بعد هذا موضحًا: "وفي اللّسان: البِرسام: المُوم الجدريّ الكثير المتراكب. وقال الليث: قيل المومُ أشدّ الجدري... والموم بالفارسية: الجُدَري الذي يكونُ كلّه قُرْحَةً واحدة وقيل هو بالعربية". وقال: فكأنّ حازمًا، وهو يجعل طباع العرب أفضل من أن يكون هذا الوزنُ من نتاجها؛ لأنه أسخفُ وزنٍ سُمِعَ: يجعل علّة الجدري تصيبُ فكر مَنْ وضعه، وتكون نتيجةُ ذلك هذا الوزن السّخيف عنده. أمّا إذا كان **شعبة بن برسام حيًا رُزِق في ما غبرَ، فإن الاهتداء إلى شخصه وأخباره سيُلغي هذا التأويل منّي إلى غير رَجْعة...**". انتهى[٥٣].

قلت: أطال الأُستاذ العلمي الكلام، لتوكيد شكّه في قراءة محقق "منهاج البلغاء" للعبارة المتعلقة ببحر المضارع.

والّذي تنبّه إليه أ. العلمي من الخطأ المحتمل في العبارة دقيق. واقتراحُه الذي قدّمه يحلّ إشكال المَعْنى والموضوع، ولكنّه لا يطابق النصّ المخطوط ويخرجُ عن أَصْله الذي كتبه حازم.

وأصْل القضيّة جميعًا تصحيفٌ وقع فيه المحقّق الفاضل فقرأ: "شعبة بن برسام" وحوّل نظر القارئ إلى أن العبارة اسمٌ لرجلٍ معيّنٍ. وسكت المحقّق عنه، ولم يبحث فيه. وبحث أ. العلمي عنه فلم يصل إلى نتيجة.

وصواب قراءة العبارة: "... وما أَراه أَنْتَجَهُ إلا شُعْبَةٌ مِنْ بِرْسامٍ خَطَرَتْ على فِكْرِ مَنْ وَضعه قياسًا، فيا ليته لم يَضَعْه!...".

- والشُّعبَة في اللغة الفِرْقةُ من الشّيء. والجَمع: شُعب و: شِعاب.

- والبِرْسام استُعملت لمعنى الهذيان. وللكلام تفصيل في تكملة المعاجم العربية لدوزي[٥٤] وفيه: لمّا كان هذا المرضُ يصحبُه الهذيان عادة فقد أُطلقت كلمة "برسام" على الهذيان. وفي عبارة للمقّري: وقفتُ من الكتاب المنسوب لصاحبنا أبي زكريا البرغواطي على برسام محموم، واختلاط مذموم، وانتساب زَنْجٍ في روم...".

وكان "حازم" قد عاد إلى بحر المُضارع (في سياق كلامٍ على بعض خصائص البُحور، وقال - وهو يوضّح المراد من عبارته السابقة -:

"... فأمّا **المُضارع** ففيه كلُّ قبيحةٍ، ولا ينبغي أن يُعَدُّ من أوزان العرب، وإنما وُضِعَ قياسًا، وهو قياسٌ فاسدٌ؛ لأنّهُ من الوَضْع المُتنافي على ما تقدّم"[٥٥].

س- ومن الخَطأ في قراءة النصّ المضاف إليه سبق الوهم والاستسلام له ما ورد في قطعة لابن بطّال الأندلسي في وصف الدّواة: دواة الحبر:

مطرقةٌ في الخطوب كالحَبَش
كأنّما أطرقَتْ على نَهَشِ

تمزج أرْيًا بسُمّتها فمتى
تُحِطْ أَسير الرّدى به يَعِشِ

تُرضع أبناءها مُجاجَتها
في رِيّها لا تدرّ في العطشِ

مكرمة لم تَهُنْ على أحدٍ
تنزل عند الملوك في الفُرُشِ

زنجيّةٌ فُضّضت كواكبها
فهي تُباري كواكبَ الغَبَشِ!

قلتُ: في النصّ وشرحه أكثر من خطأ وسهو وسبق وهم.

- وقد وصف الشاعر في القطعة الدّواة وصفًا ظاهريًا، ووصفًا معنويًا على نهج أَبي تمام في وصفه القلم.

- وقوله الشاعر في وصف الدّواة (وهي من مادّة سوداء أو مسوّدة مطّعمة بالفضّة (مكفّتة) إنها زنجية أوهم المحقق (أو ناسخ المخطوطة أو أوهمهما معًا) فقرأ آخر كلمة في الشطر الأوّل من البيت الأول: "الحَبَش" وهم جنس من الناس، وهذا خطأ ظاهر.

وصواب القراءة:

مطرقة في الخطوبِ كالحَنَشِ
كأنّما أَطرقَتْ على نَهَشِ

- والحنش حية عظيمة سوداء، و"نهش" من: نهشت الحية أحدهم أي لسعته.

ولاحظ المحقّق عدم استواء المعنى على قراءة "كالحَبَش" وحاول معالجة ذلك، فلم يأت بطائل.

- وفي البيت الثاني وهمٌ آخر أدّى إلى خطأ في القراءة، فقوله: "فمتى تُحِطْ أسير الردى به يعش" خطأ ظاهر، وفيه تناقض، فإصابة أحدهم بسمّ الدّواة (بما تكتبه في حقّه) لا يمكن أن يعيش. والمراد خلاف ذلك. ووجه القراءة[٥٦]:

تمزجُ أرْيًا بِسُمّتها فمتى
تُخْطِ أَسيرَ الرّدى بهِ يَعِشِ!

و"تُخْطِ" أصلُها: تُخطئ. إذن: إن أخطأ سُمُّ الدواة ذلك الأسير، ولم يكتبْ مدادُها بقتله يعش.

من موارد السهو والخطأ والإخلال في تحقيق النصوص التراثية

وبهاتين القراءتين يَسْلَمُ النصّ، وتتّضح مقاصد الشّاعر فيه.

- وقد قال أبو تمّام في وصف القلم، وهو المثال الذي ترسّمه الشاعر هنا:

لعابُ الأفاعي القاتلات لعابُه

وأرْيُ الجَنى اشتارَتْهُ أيدٍ عواسِلُ

- والأري: العَسل.

ومن خطأ القراءة الذي جَرّه سبق الوهم، أو التصحيف في الأصل المخطوط ما ورد في شعر حازم القرطاجنّي[٥٧]:

يا موقد النّارِ بالهنديّ والقارِ

كم أوقَدَتْ في الحَشا ذكراك من نارِ!

كذا فيه. والهندي هو نوعٌ من الشجر يقال له: الألَنْجُوج، والقار هو الزّفت.

وصواب قراءة البيت:

يا موقد النّار بالهنديّ والغار....

والغار (بالغين المعجمة) شجر ينبت برّيًا في سواحل الشّام، والغَوْر، والجبال الساحلية: دائم الخضرة، يصلح للتزيين، وهو الرّنْد...

- وفي شعر عديّ بن زيد[٥٨]:

رُبَّ نارٍ بِتُّ أُوقدها

تقضِمُ الهنديَّ والغارا

والبيتُ من شواهد العروض، مشهور.

وفي قطعة لابن سعيد في كتابه الغصون اليانعة[٥٩] مَدَح بها مدينة دمشق وأثنى عليها:

أمّا دمشقُ فَجَنّةٌ

يُنْبي بها الوَطنَ الغريبُ

لله أيّامُ السُّرو

رِ بها ومنظرها العجيبُ

قلت: ظاهرٌ تصحيفُ الكلمة، وصوابُها: "يُنْسى":

أما دمشقُ فجنّةٌ

يَنْسى بها الوطنَ الغريبُ

أي ينسى وطنه لجمالها وكثرةِ محاسِنها، ومحاسن أهلها.

- ومن التحريف المُخِلّ بالوزن الشّعري ما في بيتٍ لأحمد شوقي[٦٠] من قصيدة رثى فيها صديقًا اسمه حسن بك أنور، قال:

ولا يذكرُ المعهدُ الشرقيُّ

لأنْورَ إلّا جليل المِنَنْ![٦١]

وكان حسن أنور أحد مؤسّسي نادي الموسيقي الشرقي. فحرّف صانع ديوان شوقي والمعتني به د. أحمد الحوفي، وبَدّل (المَشْرِقيّ) في البيت إلى: (الشرقي).

والشعر من بحر المُتقارب، وينكسرُ الوزنُ بكلمة (الشرقي) وهو يخالِفُ أصل القصيدة.

ومن التحريف ما ورد في ديوان شوقي (د. الحوفي)[٦٢]:

المُلك أن تعملوا ما استطعتمْ عملًا

وأنْ يبينَ على الأعمالِ إتقانُ

والبيت من قصيدة من بحر البسيط و"استطعتم" تفسدُ الوزن، وصوابُ القراءة: "ما اسْطَعْتُم" ووزنها مستفعلن.

ومنه في ديوان شوقي من عمل الدكتور

الحوفي أيضًا من قصيدة في خليل مطران، منها[٦٣]:

فمن البشير لبعلبكَّ وبينَها
نَسبٌ تضيءُ بنورهِ الأيَّامُ
يبكي المكينُ الفخمُ من آثارها
يومًا، وآثارُ الخليلِ قيامُ

يقول: إن آثار بعلبك يأتي عليها يومٌ - مع مرور الزمن - وتَبلى، لكن آثار (أشعار) خليل مطران باقية، والصواب:

يَبْلى المكينُ الفخم... (البيت) ولا معنى للبكاء هنا.

ع- ومن التصحيف والتحريف ما يُفسد سياق المعنى، ومثله قول خطيب الموصل[٦٤]:

ما لاح بارقُ مُقلتَيْـ
ـهِ لناظرٍ إلّا وشامَهْ
للصُّبح يُشبه والظَّلا
مِ إذا بَدا خدًا وشامَهْ
فاقت محاسِنُه الحِسَا
نَ عراقة فيه وشامَهْ
يا ليته مثلي يقو
لُ لمن إليه بي وَشى: مَهْ!

- وصوابُ الكلمة: "عِراقةً" في مقابلة: "وشامةً" ولا معنى للعَراقة.

وفي القطعة جناسُ القوافي: شامه الأولى. يقال: شام البَرْق: نظر أين يُمطر سحابُه. وشامه الثانية كالخال في الخدّ، وشامه الثالثة من قُطر الشام. والعبارة الرابعة مؤلفة من فعل وشى (من الوشاية) ومَهْ اسم فعل أمر معناه: اكْفُفْ.

- من الشعر الدائر على الألسنة وفي الاختيارات قصيدة للمتنبي لاميّة في مدح سيف الدولة، يكثر الاستشهاد بها، وبأبيات منها.

وفي ترجمة ابن عبدون الأندلسي أبدى صلاح الدين الصفدي إعجابه ببعض شعره، وقال: "وددْتُ أنّ هذه الأبيات لم تفرغ (لم تنته) فإنّها أطربت سمعي، وأذهلت عقلي، هكذا هكذا وإلا فلا لا...".

قلت: وآخر عبارةٍ في النّقل السّابق هي عَجُزُ بيتٍ لأبي الطيب من القصيدة المشار إليها من المطلع[٦٥]:

ذي المعالي فَلْيَعْلُوَنْ مَنْ تعالى
هكذا هكذا وإلّا فلا لا!

- وهذه القصيدة ذائعة.

- وكتب المؤتمنُ بن هود إلى المعتمد بن عبّاد يَرْغبُ إليه في إرسال أهل ابن عمّار[٦٦]، وهم عنده بإشبيلية، ليلحقوا بابن عمّار، ففعل، ولكنّه كتب إليه في أثناء جوابه على ابن هود يحذّره من ابن عمّار:

والشّيخ لا يتركُ أخلاقَهُ
حتّى يوارى في ثرى رَمْسِهِ
إذا ارعوى عاد إلى جهلِهِ
كذي الضّنى عاد إلى نكسِهِ![٦٧]

وهذا الخبر من "الحُلّة السيراء" لابن الأبار[٦٨]. ولم يرد في حواشي النص شيءٌ يخصّه.

- وسياق الخبرِ يوهم أنّ الشعر من نظم ابن هود أو نظم الكاتب؛ والصّواب أن البيتين من شعر عبد الصّمد بن المُعذّل.

- ومن الإخلال عدم الإشارة إلى مثل مشهور، وفي منهج المحقق استيفاء الكلام على الأمثال الواردة في الكتاب (وهو ثمار القلوب...)(٦٩).

في خبر موقعة صفّين، وإشارة عمرو بن العاص رضي الله عنه برفع قميص عثمان رضي الله عنه؛ لبعث الهمة في المقاتلين. قال الخبر: فتمّ ذلك ونهض النّاسُ بقوّة، فقال عمرو حينئذ: "حَرّك لها حوارها تَحِنّ".

وهذه العبارةُ مثل: وهو في مجمع الأمثال للميداني(٧٠)، قال: الحُوارُ، ولد الناقة، ولا يزال حُـوارًا حتى يُفْصَل، فإذا فُصِلَ عن أُمّـه فهو فصيل. ومعنى المثل: "ذَكّرْهُ بَعْضَ أشجانِهِ يَهِجّ له".

- ومن قراءة النصّ الخاطئة المؤدّية إلى خطأ آخر ما في شرح مقامات الحريري(٧١) للشريشي من قول الشاعر (والضبط عنه):

نـزوركُـمْ لا نـكـافِئُـكـمْ بجفوتكم

إن الـكـريـم إذا مـا لـم يُـزَرْ زارا

وضبطُ فعل (فنكافئكم) بتحقيق الهمزة يفسد الوزن. فالبيت من بحر البسيط؛ وتحقيق الهمزة (متحركةً مضمومةً) ينقل (مستفعلن) إلى (متفاعلن) وليس من تفعيلات البسيط (متفاعلن).

وصواب قراءة البيت:

نـزوركم لا نـكـافِيْـكُـمْ بِـجَـفْـوَتِـكُـمْ

إِنَّ الـكـريـمَ إذا مـا لـم يُـزَرْ زارا

بتسهيل الهمزة:

نــزوركــم/لا نكا/فيكم بجف/وتكم

متفعلن فاعلن مُستفعلن فَعِلُن

ف- ومن خطأ القراءة الناتج عن عدم **الانتباه للحروف المعجمة والحروف المهملة**، وفيه سهو عن المقصد اللغوي ما ورد في مادة (ابن ضلّ) في ثمار القلوب(٧٢) قال:

"يقولون للمُفْلِسِ صَلْمَعة بن قَلْمَعة. قال أبو سعيد هو كقولك: الأحد بن الأحد" كذا فيه: الأَحد بالدال المُهملة في الموضعين. ولم يعلق المحقق بشيء.

قلت: هذا كلام مُحرّف، وصوابُ القراءة: "الأَحَذُّ بنُ الأَحَذّ" بالذال المعجمة. ومن معاني الأحَذّ: الفقير، رقيق الحال، والجمع حُذّ. وهذا هو المعنى المراد في النصّ، وهو صواب القراءة.

- ومن خطأ قراءة النص المؤدي إلى التعسف في شرحه ما ورد في مادة (ابن ذُكاء) في ثمار القلوب(٧٣):

ابن ذكاء: هو الصُّبح، وأبوه ذُكاء هو الشمس قال الرّاجز:

فـــوَرَدَتْ قـبـلَ انـبـلاجِ الـفَـجْـرِ

وابــن ذكـــاءٍ كـــامِــنٌ فـــي كُــفْــرِ

- هكذا بضم الكاف من كلمة "كفر".

- قال في الحاشية: الكُفْرُ: الظُّلمة، وكل ما سَتَر شيئًا فقد كفره.

قلت: صوابُ الضبط فتح الكاف: كَفْر.

وفي كتب اللغة: "الكَفْر (فتح الكاف): ظُلْمَةُ اللَّيل واسوداده". وللكُفر معانيه.

ويشفّ الخطأ في ضبط النصّ (لغويًّا) عن سَهْوٍ في اللغة، وإخلال بالعودة إلى المعجم كلّما آنس المحقّق أنه يضبط ما لم يمرّ به مثله، أو كلما شكّ في أمر من الأُمور.

وقد ضبط مُوثق ديوان شوقي (وقد اجتهد في ضبطه وشرحه) هذين البيتين على هذه الصورة[٧٤]:

قِفي يا أُخت يوشعَ خبّرينا
أَحاديثَ القرونِ الغابرينا
وقُصّي من مصارعهم علينا
ومن دُوَلاتهم ما تعلمينا

فقال: دُوَلاتهم "بفتح الواو" وهذا خطأ في الضبط، والصواب دُوْلاتهم. والدَّوْلة-بفتح الدّال - تُجمع على دُوَل. ولكنّ الشاعر جاء بـ(دُوْلات) جمع دُوْلة (بضم الدال) ومعناها الغَلَبةُ. وجمعُها ساكن الواو: دُوْلات.

- وضبط النصّ يحتاج إلى الاحتكام إلى المعجم كلّما تردّد المحقق في ضبط الكلمة.

نقرأ في ترجمة أم العلاء بنت يوسف الحجاريّة[٧٥]:

كل ما يصدرُ عنكم حسنٌ
وبعُلياكم يُحَلّى الزّمَنُ
تعكفُ العينُ على منظركم
وبذكراكم تلذُّ الأعيُنُ

ضُبطت الكلمة بضم العين "بعُلْياكم".

قلت: عُليا مؤنث الأعلى. وليس هذا هو المعنى المراد في الشعر. وصوابُ القراءة: "وبعلّياكم" بفتح العين، وهي مُسَهّلة عن علّياء: والعلياء: وكل شيء مرتفع كرأس الجبل والمكان المرتفع، والسّماء، والشرف" وهذا هو المعنى المراد.

- ومثل هذا ضبط "ذُراكم" بضم الذال في نص آخر في المُغرب، والصواب ذَراكم بفتح الذال. فالذُّرى جمع الذروة: (بضم الذال وكسرها) والذَّرا: ما استُتِر به. ويقال: أنا في ذَرَا فلان أي في كنفه؛ وهو المعنى المراد في قول الشاعر[٧٦]:

إذا لم يكن لي جانب في ذراكمُ
فما العُذرُ لي أَلّا يكونَ التّجَنُّبُ

- ونقرأ في الوافي بالوفيات في ترجمة أبي سهل محمد بن الحسن العميد، قوله مادحًا[٧٧]:

عجبتُ من الأقلام لم تُنْدِ خُضْرَةً
وباشَرْنَ منهُ كفَّهُ والأَناملا
لَوَ انَّ الورى كانوا كلامًا وأحرفًا
لكان "نعم" منها وكان الأنامُ "لا"!

- كذا فيه، وصواب القراءة: لم تَنْدَ خُضْرَةً. والفعل: نَدِيَ يَنْدى.

يعجبُ الشّاعر من الأقلام وهي عيدان جافة يابسة وقد حملها الممدوح بين كفّه وأنامله كيف لم تَنْدَ: (لم تصبح نَدِيّة رطبة) ولم تخضرّ اقتباسًا من جُوده (نداه) وكرمه.

فهذا خطأ في قراءة النصّ وضبطه أدى إلى ضياع المعنى المراد، وإلى فساد الكلام.

ص- وهذا نَمطٌ من التغيير أدّى إلى ذهاب المعنى المراد، في قطعة لأحمد بن فرج الجيّاني[٧٨]:

يا غيـــمُ أكْبَرُ حاجتي

سَقْيُ الحِمى إن كُنْتَ تُسْعِف

رَشْـــف صـــــداه فطالما

روّى الصّدى فيه التَّرَشُّف

واخْــلَعْ عليه من الرَّبيـــ

ـعِ ووشْيِـهِ ثوبًا مُصَنَّفْ

حـتى تـــرى أَنْـهــاءَهُ

وكأنـها أعشــارُ مُصْحَفْ

وتخـــالُ مُـرْفَـضَ النّدى

في روضـهِ شكلًا وأَحْرُفْ

وكتب المحقق عند (أَنهاءه) في الحاشية أَنّ الأصل هو (أَزهاره) وأَعْرى المحقق أن النسخة أوردت شرح الأنهاء، وهي جمع النّهي: الغدير.

قلت: الصّواب: أَزهاره والتّبديل خطأ ظاهر. فالشاعر يصف أَلوان الزهر والورد وغير ذلك فشبّهها بأعشار المُصحف التي تستخدم لها الألوان، وليس للأَنهاء مدخل في سياق الكلام.

وأما شرح النسخة المخطوطة للأَنهاء بعد القطعة السابقة فتفسيره أن في الصفحة قطعةً أُخرى في السّحاب والمطر ليوسف بن هارون الرّمادي يقول فيها واصفًا سقوط قطرات المطر على الغُدران:

هوتْ مثلما تهوي العُقابُ كأنُّها

تخاف فواتَ المحل فهي تبادِرُ

كأن انتثار القطر فيه ضوابطٌ

تُدار على الغُدران منه دوائر

قلت: أظن أن أصل الشعر: "تُدار على الأنهاء منهُ دوائر" ثم شرح المؤلف الأنهاء بالغُدران. وتبدّلت الأنهاء وصارت إلى الغُدران بقلم ناسخٍ مثلًا....

.... وإلّا فإن الغُدران (وهي بمعنى الأنهاء) ليست في أَصل الشعر.

- ومن التغيير المُخِلّ المُفسد للمعنى المراد، ما ورد في نصّ من كتاب (التبيان)[٧٩] من صفحاته الأُولى، وهو يتحدّث عن جوانب من عمل المؤلّف أو الكاتب وبعض مهامّ التأليف.

"... فإن ذلك من آكَدِ ما يجبُ له السعي فيه وإعمالُ ذهنه وحواشيه في تلخيصه إن أعانه على ذلك اغتباط بجميل الثناء، وأنفة لسوء المقال، ونشاط على ترفيع الذكر مع فتور الهمّة، وصَبوة القريحة، وإلّا فالأمر ناقصٌ منه، واللسان عَيِيٌّ عنه".

وكلمة فتور مما غيّره معيد نشر كتاب التبيان: د. علي عمر، قال في الحاشية: في المطبوع "فتوّ".

قلت: والصواب هو فُتُوّ، ولاحظْ بعدها صَبْوة. فهو يقول مع الهمّة الفتيّة والقريحة الصبية، أو همة الفتى (الفتيان) وقريحة اليافع، والذي في مقتبل الشباب.

وقول معدّل الأصل ومغيره "فتور الهمة" يعكس المعنى المُراد، ويُفسده أصلًا!

- ومن تغيير النصّ، المؤدّي إلى الخطأ الواضح ما ورد في خبر في "الحلّة السّيراء" في ترجمة محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن النّاصر، قال:

"وهو والد الخليفتين في الفتنة: أَبي المطرّف

عبد الرحمن الملقّب بالمُرْتضى، وأبي بكر هشام الملقّب بالمعتدّ، آخر خلفاءِ بني أمية بالأندلس **على رحيله** انقرضوا فلم يَعُدْ مُلكهم إلى اليوم"(٨٠).

قال محقق الحلّة في الحاشية عند عبارة "**على رحيله**" ما نصه: "في الأصل على رِجْلِه، ومعناها على إثره أو بعده"(٨١).

قلت: الصّوابُ هو ما في الأصل. وفي كتب اللغة أن العرب تقول: "كان ذلك على رِجْلِ فلان أي: في عهده، وفي زمانه. وفي الحديث: لا أعلم نبيًّا هَلك على رِجله من الجبابرة ما هلك على رِجْلِ موسى عليه السّلام".

وقد وردت العبارة صحيحة على أصلها في موضع آخر من كتاب الحلّة السيراء، قال: "وشؤم عبد الرّحمن [بن محمد بن أبي عامر] الملقب شنجول، هو الذي جرّ افتراق الأمّة، وجرّأ على خُلْعانِ الطّاعة، **وعلى رجله** كان الفسادُ العامّ لمّا استشرفَ إلى الخلافة..." الخ(٨٢)

- ومن دواعي الإسراع إلى تغيير النصّ خطأ القراءة والركون إلى رواية وردت في مرجع ثانوي.

في الوافي بالوفيات قطعةٌ من الشعر فيها قول الشاعر الإسنائي الصّوفي:

على جَنباتِ الغُذرِ زهرٌ تفتّقت

لها في شعاع الشمس لونٌ مُنَوّعُ

وقد استشكل المحقق كلمة (الغُذْر) فتركها وأثبت من كتاب: الطالع السّعيد رواية (النّهر)، وصار البيت:

على جنبات النّهر زهر تفتّقت.... إلخ.

قلت: لما صحّف المحقق الكلمة وقرأها "الغُذْر" لم يعد للكلام معنى، واحتاج إلى رواية "النهر".

والصواب أن الكلمة هي "الغُدْر" جمع الغدير، وهو النّهرُ الصّغير، والقطعة من الماء يغادرها السيل، والجمع غُدْر وغُدُر وغُدران.

- وفي ترجمة إسماعيل بن إبراهيم بن شاكر التنوخي قطع من شعره فيها قوله:

خاب رجاء امرئٍ له [أملُهُ]

بغير رب السماء قد وَصَلَهْ

يفعل بالمرء كل مكرمةٍ

ثم يثيب الفتى بما فَعَلَهْ

أيبتغي غيره أخو ثقةٍ

وهو ببطن الأحشاء قد كفله؟

كذا ورد النص في الشطر الأول [أمله] بين معكوفتين. قال المحققان في الحاشية:

"في الأصل "أمل" والتصحيح من ذيل المرآة ٣: ٣٩، والبداية والنهاية ١٣: ٢٦٧". انتهى.

قلت: الصواب ما كان في الأصل، هكذا

خاب رجاءُ امرئٍ له أملٌ

بغير رب السماء قد وَصَلَهْ

يقول خاب رجاء هذا الرجل الذي عقد أملًا له بغير الله سبحانه وتعالى.

وأوقع المحققين، وناسخي ذيل المرآة والبداية والنهاية ظنهم أنّ البيت مُصَرّع: وهذا غير صحيح فالقافية في العجز هو اللام المفتوحة، وهي في صدر البيت لام مضمومة. هذا أمرٌ،

من موارد السهو والخطأ والإخلال في تحقيق النصوص التراثية

والثاني أنّ سياق الكلام يقتضي كلمة (أمل) لا عبارة (أَمَلْهُ).

ومعلوم أن حركة حرف الروي: تلتزمُ في أبيات القصيدة جميعًا. وفي عروض البيت المصرّع أيضًا.

- ومن الإخلال بالنصّ المحقّق حذف كلمة أو أكثر، وأضربُ مثلًا لذلك، ومن تدخل المحقّقين في النص حذف كلمة (هذه) من عنوان كتاب ابن بسّام الشنتريني الأندلسي: "الذخيرة". فالعنوان الذي وضعه المؤلف: الذخيرة في محاسن أهل هذه الجزيرة، فلما صدر الجزء الأول من الكتاب عن لجنة يشرف عليها د. طه حسين حذفت كلمة (هذه). وتابع د. لطفي عبد البديع هذا النقص في إصداره بعض أجزاء الذخيرة، وثبت هذا القطع في الطبعة الكاملة منه التي أصدرها د. إحسان عبّاس[٨٣].

وهو تصرّف غريب ممّن بدأ، وممّن تابع؛ لأن ابن بسّام قصد إلى إيراد كلمة (هذه) مشيرًا إشارة "أندلسية" واضحة.

وكان كتاب الذخيرة، في جانب من جوانبه مضاهاة لكتاب الثعالبي: "يتيمة الدهر" فكلمة (هذه) مرادةٌ، وأساسيّة في العنوان.

- ومن النّقص ما يسقط من الكلام (من أهل المخطوط ولا ينتبه إليه المحقق) أو هو من سهو المحقّق، وعدم مراجعة النص ومقابلته، ما ورد في صفة الدّواة من شعر لابن بطّال الأندلسي[٨٤]. قال:

حـامـلـةٌ لـم تـضـع عـلـى أَلَـمِ
تُـرْضِـع أبـنـاءهـا فـمًـا لِـفَـمِ
تـحـمـل سـرّ الـجـلـيـس ويُـفْـ
ـشيـهِ بـنـوهـا صـمـتًـا بـلا كـلـمِ

والشعر من بحر المنسرح، وقد نقص البيت الثاني كلمة في الشطر الأوّل بعد كلمة الجليس. ويستقيم الوزن والمعنى بمثل كلمة "صمتًا" مثلًا، ويكون تقطيعه.

تحمل سِرْ/ ر الجليسِ/ صمتًا ويفـ/

مستعلن مفعلات مستفعلن

شيه بنو/ها صمتًا بـ/ لا ألـم(ي)

مستعلن مـفـعـولات مستعلن

والسّجل طويل. والله المستعان.

الحواشي

(١) استفدت في ملخّصات التّعريفات، وسياقها من محاضرة د.محمود الطّناحي رحمه الله في كتابه: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي مع محاضرة التصحيف والتحريف، نشرته مكتبة الخانجي ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م: (٢٨٦-٢٨٧).

(٢) ٤: ٤٣٤.

(٣) وكان د. عباس وقتها قد ذاع اسمه في الدّراسات الأندلسية (كان هذا سنة ١٩٦٢).

(٤) أبو الحسن: علي بن عبيد الله المعروف بالناشئ الأصغر (٢٧١-٣٦٥هـ) أديب، كاتب، شاعر، وكان متكلمًا على طريقة المعتزلة.

(٥) قال في اللسان (م ل ى) قال ابن بريّ الشعر لعمر ابن أبي ربيعة ، وصواب إنشاده (عن الأقدم)

(٦) تاريخ الأدب العربي ٢: ٥١٥.

(٧) سهّل همزه أرجأ-يُرجئ، فقال يُرْجي، ثم جزم بـ لا الناهية.

(٨) ديوان ابن خفاجة: ١٥٣، ١٥٤.

(٩) المرجع السابق نفسه.

(١٠) في كتابه: الفن ومذاهبُه في الشعر... والفن

ومذاهبه في النثر.

(١١) نشر أول مرة في دار الثقافة ببيروت، ثم طُبع بعد ذلك (من تحقيقي).

(١٢) الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، للمعافى بن زكريّا، تحقيق د. إحسان عباس، عالم الكتب، بيروت (١: ٢٦٧).

(١٣) الأغاني، تحقيق إبراهيم السعافين وبكر عباس وإحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٢٣-٢٠٠٢م (٢٠: ٤٢).

(١٤) الجليس الصالح (١: ٢٦٨).

(١٥) الأغاني ٢٠: ٤٤.

(١٦) وتتداخل في النص عناصر مختلفة.

(١٧) الأغاني ٢٠: ٤٤.

(١٨) الضّبّ والجهام والماضي والكَهام: ٢٧٥.

(١٩) فوات الوفيات ٣: ٤١٤-٤٢٠.

وللبيت، مع القصيدة، قصّة طريفة.

(٢٠) انظر-مثلًا- ديوان ابن خاتمة الأنصاري (ط٢) وزارة الثقافة، دمشق ١٩٧٢م=١٣٩٢هـ، ص٣٠-٤٢.

ومقدمة ديوان مهذب الدّين بن الخيمي، مجمع اللغة العربية، دمشق ٢٠١٥م، ص٥-٧.

(٢١) وفيات الأعيان (بتحقيق د. إحسان عباس) ٧: ٢١٥.

(٢٢) لطائف الأخبار وتذكرة أُولي الأبصار للقاضي أبي محمد القاسم بن الحسن التنوخي، تحقيق: د. علي حسين البواب، دار عالم الكتب، ١٤١٣-١٩٩٣م. ص: ٤٧.

(٢٣) البديع في فصل الربيع، ت.د. علي الكردي، دار سعد الدين، دمشق، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م، ص٤٣.

(٢٤) المصدر السابق: ١٤٤.

(٢٥) يراجع ياقوت في معجمه ٣: ٢٨٢، والرّوض المعطار في خبر الأقطار: ٣٠٩.

(٢٦) ديوان شوقي ٢: ٥٥٤.

(٢٧) مقابر الإمام الشافعي الآن تُطلق على المنطقة المحصورة بين القبة المبنية على ضريح الشافعي. وهي من أكبر قباب المقابر، وبين سفح المقطّم.

(٢٨) ديوان أبي تمام (دار المعارف) ١: ٢٣٩.

- وانظر تعليقي على النصّ في الحماسة المغربية ١: ٣٢٦.

(٢٩) مقابر الإمام الشافعي الآن تُطلق على المنطقة المحصورة بين القبة المبنية على ضريح الشافعي. وهي من أكبر قباب المقابر، وبين سفح المقطّم.

(٣٠) ديوان أبي تمام ٣: ١١٢.

(٣١) نشر مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ١٤٠٣هـ=١٩٨٢م.

(٣٢) نشرته مؤسسة الرسالة (دمشق)، ١٤٠٧هـ=١٩٨٦م.

(٣٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، الزمخشري، تحقيق: عبد الأمير مهنا، منشورات مؤسسة الأعظمي، بيروت، ١٤١٢هـ=١٩٩٢م، الطبعة الأولى.

(٣٤) الوافي بالوفيات للصفدي باعتناء د. رمضان عبد التواب، ١٤١١هـ=١٩٩١م. (ج١٢ ص١٤٢).

(٣٥) بحث كتبه، وعنونه بعبارة: "الجمع بعد الفراق في إحكام ضبط: ابن عِراق"، خصّني حفظه الله بنسخةٍ منه.

(٣٦) ديوان حافظ إبراهيم ٢: ٩٤.

(٣٧) نبّه على هذا الخطأ عز الدين التنوخي في (إحياء العروض): ٥.

(٣٨) ديوان حافظ ٢: ٩٤.

(٣٩) الوافي بالوفيات، تحقيق: الدكتور رضوان السيد ١٩: ٢٢٦.

- ومخلّع البسيط نوع من مجزوئه، ووزنه: مستفعلن فاعلن فعولن.

(٤٠) الشعر لمروان بن عبد الرحمن، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: ٤٨.

(٤١) كتاب التشبيهات: ١٢٣، وانظر النص في ديوان ابن عبد ربه (من صنعة محمد رضوان الداية، الطبعة الثالثة، دار الفكر ص١٨٦).

(٤٢) المجتنى، ابن دريد، تحقيق: محمد الدّالي، نشر الجفان والجابي، دمشق، ١٤١٨هـ=١٩٩٧م. ص٦٨-٦٩.

(٤٣) العروض تهذيبه وإعادة تدوينه، الشيخ جلال الحنفي، بغداد، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م، ص٤٣٦.
ويُنظر ما نقله المحرّي في "الصاهل والشاحج"

من موارد السّهو والخطأ والإخلال في تحقيق النصوص التراثية

ومذاكراته تمّة.

(٤٤) قصائد ومقطعات: حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م. ص١٤٦.

(٤٥) محمد البزم أحد شعراء دمشق في القرن العشرين، له ديوان مطبوع في جزأين، ولادته ووفاته في دمشق. وقد نشرتُ مقدّمةً له صنعَها لتكون طليعة ديوانه. وأعكف على صناعة ديوانه وشرحه. أعان الله على ذلك.

(٤٦) طليم دموس كاتب شاعر اشتغل بالصّحافة لبناني عاش معظم حياته في دمشق، طبع كتابه (المثالث والمثاني) في جزأين: ١٩٢٦م و١٩٣٠م.

- وأقول - بالمناسبة - إن الزركلي رحمه الله أفاد من كتاب دمّوس وأخذ من وثائقه وصوره، ونبّه على ذلك.

(٤٧) ديوان ابن خفاجة، تحقيق: د. السيّد مصطفى غازي، منشأة الاسكندرية – ١٩٦٠م ص٣٥٩.

(٤٨) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (دمشق) ١: ٣٨٨.

(٤٩) ديوان شوقي (صنعة د. أحمد الحوفي) ٢: ٢٢١.

(٥٠) ديوان شوقي: توثيق وتبويب وشرح وتعقيب ٢: ٥٥٥.

(٥١) تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلاميّ، ١٩٦٦م.

(٥٢) العروض والقافية: دراسة في التأسيس والاستدراك، محمد العلمي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٤٠٤هـ=١٩٨٣م، ص٢٨١-٢٨٢.

(٥٣) العروض والقافية: ٢٨٢-٢٨٣.

(٥٤) تكملة المعاجم لدوزي (الترجمة) ١: ٢٨٨-٢٨٩.

(٥٥) منهاج البلغاء: ٢٦٨.

(٥٦) كتاب التشبيهات: ٢٣٧-٢٣٨.

(٥٧) قصائد ومقطّعات: ١٢٥.

(٥٨) ديوان عدي بن زيد: ١٠٠.

(٥٩) الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة، لابن سعيد، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، بالقاهرة.

(٦٠) ديوان شوقي (توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د.أحمد الحوفي) ٢: ٥٥٣.

(٦١) تقطيعه:

ولا يذْ/ كر المعـ/ هد المَشْ/رقيُّ

فعولن فعولن فعولن فعولُ

- وهو من بحر المتقارب.

(٦٢) ديوان شوقي ١: ١٦٢.

(٦٣) ديوان شوقي ١: ٥٤٤.

(٦٤) الوافي بالوفيات ١٨: ١٧٥.

(٦٥) المؤتمن، والمعتمد من ملوك الطوائف بالأندلس في القرن الخامس الهجري. وابن عمار شاعر، له مغامرات سياسيّة، قضى - أخيرًا - صريعًا على يد صديقه القديم المعتمد.

(٦٦) الشعر في وفيات الأعيان ٢: ٤٩٢، وهو مشهور في كتب الأدب، ويكثر الاستشهاد به.

(٦٧) أي كالمربض.

(٦٨) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق الأستاذ إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق.

(٦٩) مجمع الأمثال للميداني ١: ٣٤١.

- وقد صنع محقق ثمار القلوب فهرسًا للأمثال.

(٧٠) شرح مقامات الحريري للشريشي (الأندلسي)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (صيدا-بيروت) ١٤١٨هـ=١٩٨٨م، والشاهد الجزء ٢ الصفحة ١٩٩.

- والشعر للعباس بن الأحنف.

(٧١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (دمشق) ١: ٤٢٤.

(٧٢) ثمار القلوب (دمشق) ١: ٤١٨.

(٧٣) ديوان شوقي: توثيق وتبويب وشرح وتعقيب، د. أحمد الحوفي، ٢: ٢٥٦.

(٧٤) المغرب في حُلى المغرب ٢: ٣٨.

(٧٥) المغرب ٢: ١٤-١٥.

(٧٦) الوافي بالوفيات (تحقيق ديدرنغ) ٢: ٣٤٨.

(٧٧) التشبيهات: ٣٨-٣٩.

(٧٨) كتاب التبيان عن الحادثة الكائنة بدولة بني زيري في غرناطة للأمير عبدالله بن باديس بن حبوس. طبع أول مرة بعنوان إضافي (مذكرات الأمير عبد الله) بتحقيق ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م، ثم نشره نقلًا د. علي عمر في

مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٤٢٧هـ=٢٠٠٦م.

(٧٩) الحلة السيراء ١: ٢٠٨-٢١٠.

(٨٠) الحلة السيراء ١: ٢٧٠.

(٨١) إشارة إلى الأثر السيّئ الذي خلفه استبداد محمد بن أبي عامر الحاجب الذي تشوّف إلى ملك الدولة، وابنه عبد الرحمن الملقب شنجول الذي اتخذ لقب وليّ العهد للخليفة الأموي. وكان هذا بداية عصر الفتنة في الأندلس من نحو ٤٠٠ إلى ٤٢٢ نهاية الدولة المروانية بالأندلس.

(٨٢) صدر من الذخيرة ثلاثة أجزاء عن جامعة القاهرة (بإشراف د. طه حسين، وأصدر د. لطفي عبد البديع جزءًا، ثم صدر تامًّا في بيروت.

- وانظر متابعة د. عباس لما في الطبعات السابقة، وتسويغه في مقدمة طبعته.

(٨٣) كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس: ٢٣٨.

المصـــادر والمراجع

- إحكام صنعة الكلام - محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأندلسي - تحقيق محمد رضوان الداية - دار الثقافة بيروت – ١٩٦٥م.
- إحياء العروض - عز الدين التنوخي - المطبعة الهاشمية بدمشق - ١٣٦٦هـ - ١٩٤٦م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني - تحقيق: إبراهيم السعافين وبكر عباس وإحسان عباس - دار صادر - بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- البديع في وصف الربيع - تح.د. علي الكردي - دار سعد الدين - دمشق - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.
- تاج العروس (شرح القاموس المحيط) - الزبيدي - طبعة الكويت (مجموعة من المحققين).
- تاريخ الأدب العربي - د. عمر فرّوخ - دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى – ١٩٦٨م.
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - محمد رضوان الداية - مؤسسة الرسالة - دمشق - الطبعة الثانية.
- التشبيهات (كتاب التشبيهات) من أشعار أهل الأندلس - محمد بن الكتاني الأندلسي - تحقيق د. إحسان عباس - دار الثقافة - بيروت - ط١.
- تكملة المعاجم لدوزي - النسخة المترجمة - ط - بغداد.
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي - تحقيق: أ. إبراهيم صالح - دار البشائر - دمشق - ١٣١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي للمعافى بن زكريّا - تحقيق د. إحسان عباس - عالم الكتب - بيروت - ط١.
- الحلة السّيراء لابن الأبار - تحقيق د. حسين مؤنس - دار المعارف بالقاهرة – ١٩٨٥م - الطبعة الثانية.
- حماسة الظرفاء - الجزء الثالث – دار الكتب العلمية- بيروت - ط١ - (د.ت).
- ديوان ابن الرومي - تحقيق: د. حسين نصار - دار الكتب المصرية - القاهرة - ط١
- ديوان ابن خاتمة الأنصاري - تحقيق: محمد رضوان الداية - وزارة الثقافة دمشق – ١٩٧٢م.
- ديوان ابن خفاجة - تحقيق: د. السيد مصطفى غازي - منشأ المعارف - الإسكندرية –

١٩٦٠م.

- ديوان أحمد شوقي (ديوان شوقي): توثيق وتبويب وشرح وتعقيب د. أحمد الحوفي - دار نهضة مصر - القاهرة، ط١.
- ديوان حافظ إبراهيم - جمعه وحققه مجموعة من الباحثين - وزارة التربية بمصر - ط١
- ديوان عدي بن زيد العبادي - تحقيق محمّد جبار المعيبد، ط وزارة الثقافة العراقية - بغداد – ١٩٦٥م.
- ديوان لسان الدين بن الخطيب = الصيّب والجهام.
- ديوان المتنبي = الموضح.
- ديوان محمد البزم - عدنان مردم وسليم الزركلي - المجلس الأعلى للفنون والآداب - دمشق - ١٩٦٠.
- ديوان مهذب الدين بن الخيمي - تحقيق ميسم الصواف تقديم محمد رضوان الداية - مجمع اللغة العربية - دمشق – ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ط جامعة القاهرة) و(ط: الهيئة العامة بتحقيق د. لطفي عبد البديع) والنسخة التامة بتحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار - الزمخشري - ت. عبد الأمير مهنّا - منشورات مؤسسة الأعظمي - بيروت - ١٤١٢ هـ- ١٩٩٢م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار - الحميري - تحقيق: د. إحسان عباس - مكتبة لبنان - بيروت – ١٩٧٥م.
- سير أعلام النبلاء - الذهبي - تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط - مؤسسة الرسالة - دمشق - ط١.
- شرح مقامات الحريري للشريشي الأندلسي - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.
- الصيّب والجهام والماضي والكهام (ديوان لسان الدين بن الخطيب) - تحقيق محمد الشريف قاهر - الجزائر – ١٩٧٣م.
- الغرّوض تهذيبه وإعادة تدوينه - الشيخ جلال الدين الحنفي - بغداد - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- العروض والقافية - د. محمد العلمي - دار الثقافة - الدار البيضاء - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
- عيون التواريخ: محمد بن شاكر الكتبي - الجزء الحادي والعشرون، تحقيق: نبيلة عبد المنعم، ود. فيصل السامرائي - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - كتب التراث: ١٢٢ - بغداد – ١٩٨٤م.
- الغصون اليانعة في محاسن المئة السابعة - ابن سعيد - تحقيق إبراهيم الإبياري - دار المعارف - القاهرة.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي - د. شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة - ط١.
- الفن ومذاهبه في النثر العربي - د. شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة - ط١.
- فوات الوفيات والذيل عليها - محمد بن شاكر الكتبي - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر بيروت - (لا تاريخ).

- قصائد ومقطعات: حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار التونسية للنشر، ١٩٧٢م.
- كتاب التبيان - الأمير عبد الله بن باديس بن حبوس - د. علي عمر - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة - ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- لطائف الأخبار وتذكرة أولي الأبصار للقاضي أبي محمد القاسم بن الحسن التنوخي - تحقيق: د. علي حسين البواب - دار عالم الكتب - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- المثالث والمثاني - حليم دمّوس - المطبعة العصرية – ١٩٢٦م و١٩٣٠م (جزآن).
- المُجتنى - ابن دريد - تحقيق: د. محمد الدالي - نشر الجفّان والجابي - دمشق – ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
- مجمع الأمثال للميداني - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية - القاهرة – ١٩٥٥م.
- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي - مع محاضرة التصحيف والتحريف - د.محمود الطناحي - مكتبة الخانجي بالقاهرة - ١٤٠٥ هـ= ١٩٨٤م.
- معجم الأدباء - ياقوت الحموي - دار المأمون بالقاهرة (٢٠ جزءًا).
- المعيار في أوزان الأشعار - ابن عبد الملك (ابن السرّاج) الشنتريني - الطبعة الثانية في المكتب الإسلامي - دمشق – ١٩٧٢م.
- المُغرب في حلى المغرب - ابن سعيد تحقيق د. شوقي ضيف - دار المعارف بالقاهرة - ط٢.
- مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي - ت.د. مصطفى ديب البغا - مؤسسة علوم القرآن - دمشق ١٤٠٣هـ= ١٩٨٢م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء - حازم القرطاجني - تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة - دار الغرب الإسلامي - ط - تونس – ١٩٦٦م.
- الموضح (شرح التّبريزي على ديوان المتنبي) - حققه د. خلف رشيد نعمان - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.
- نثير الجمان في شعر مَنْ نظمني وإياه الزمان - ابن الأحمر - تحقيق محمد رضوان الداية - مؤسسة الرسالة بيروت – ١٩٧٦م.
- نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان - ابن الأحمر - تحقيق محمد رضوان الداية - دار الثقافة بيروت – ١٩٦٦م.
- الوافي بالوفيات - صلاح الدين الصفدي - أجزاء متعدّدة منه، بتحقيق عدد من الأدباء والمحققين - بيروت.
- وفيات الأعيان - ابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر - بيروت – ١٩٧٠م.

آراء العَزَفي
في وحدات الكيل الإسلامية

د. مقتدر حمدان عبد المجيد الكبيسي
العراق

المبحث الأول: الإمارة العَزَفية وسيرة العَزَفي:

قيام الإمارة:

شكلت حالة الضعف والوهن التي دبت في أوصال جسم دولة الوحدين وبوجه خاص بعد موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م [١] دافعًا قويًا لتحول بعض مدن المغرب العربي ومنها سبتة عن طاعتها وتقديم ولائها لقوة جديدة تمثلت في الدولة الحفصية التي قامت في إفريقية سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م، إذ تقدم أهالي سبتة إلى حاكمها المعروف بابن خلاص البلنسي سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م، وأرسلوا وفدًا برئاسة ابنه في أسطول يحمل هدية إلى الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي، ولكن الأسطول غرق بما فيه، وكان رد الأمير الحفصي إرسال ابن أبي خالد البلنسي، وابن الشهيد الهنتاني، لحكم سبتة، وذلك في سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م[٢]. ولكن ابن أبي خالد تمادى في ظلمه وطغيانه لأهل سبتة؛ وهذا ما أثار الحقد والضغينة بينه وبين قائد الأسطول أبي العباس أحمد الرنداحي[٣].

ولما توفي الأمير أبو زكريا الحفصي وبويع ابنه الملقب بالمستنصر وجد السبتيون الفرصة للتخلص من تبعيتهم للحفصيين بعد أن ضاقوا ذرعًا من ظلم وجور ابن أبي خالد، فاجتمع القائد الرنداحي مع الفقيه أبي القاسم العزفي[٤] الذي ترجع إليه أصول الأسرة العزفية، وحرضه على التخلص من ابن خالد وجعل رئاسة سبتة بيده، ووعده بأخذ الأمر على عاتقه وتحقيق هذه المهمة بنفسه ووافقه أبو القاسم العزفي. وقام الرنداحي بوضع خطة تم بموجبها القبض على ابن أبي خالد وقتله[٥]. وأعلن أبو القاسم العزفي إمارته على سبتة واستقلاله بها وذلك في سنة ٦٤٧هـ/١٢٤٨م أيام الخليفة عمر المرتضى الموحدي (٦٤٧-٦٦٥هـ/١٢٤٩-١٢٦٦م)[٦]. ثم قام بضم طنجة؛ حيث تقدم أهلها بطاعتهم إليه عندما رأوا ضعف وتدهور سلطة الموحدين وظهور قوة المرينيين، فقام بإرسال قوة من الرجال والرماة على رأسهم القائد أبو الفضل العباسي، وكان من كبار أعيان سبتة وبصحبته يوسف بن محمد بن الأمين. وبعد توطيد الوضع في طنجة، عاد القائد أبو الفضل إلى سبتة وترك ابن الأمين واليًا عليها[٧].

وبعد مرور سنة، استقل ابن الأمين بطنجة وانشق عن العزفي ودعا للحفصيين أصحاب أفريقية ثم للخليفة العباسي في بغداد وأخيرًا لنفسه[8]. ولكن سرعان ما عادت طنجة إلى طاعة العزفيين، وذلك في سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٦م إذ بعد أن ملك بنو مرين المغرب العربي داخل طنجة ثلاثمائة فارس منهم، واستوطنوا فيها وضيقوا على أهلها وأمعنوا في إيذائهم، فطلب ابن الأمين منهم أن يكفوا أذاهم عن الأهالي مقابل دفع مبلغ من المال لهم، ولكنهم أضمروا الغدر لابن الأمين، وقتلوه فثار عليهم عامة طنجة وقتلوهم واجتمعوا حول ابن الأمين، ولكنهم خافوا من عقاب وقصاص بني مرين لهم، فخاطبوا أبا القاسم العزفي وطلبوا نجدته، فأرسل إليهم قواته برًا وبحرًا وأعاد طنجة إلى ملكه، وعين واليًا عليها عرف بابن حمدان يشاركه في حكمها وإدارتها الملأ من أشرافها[9].

السيرة الذاتية للعَزَفي

اسمه ونسبه:

أورد المقري[10]: نسب العَزَفي بالصورة الآتية: أبو العباس[11] أحمد بن محمد بن الحسين ابن الفقيه الإمام علي[12] بن محمد بن سليمان ابن محمد الشهير بابن أبي عزفة[13] اللخمي[14]، السبتي[15]، المالكي[16]، أولاده أصحاب سبتة[17]، ينتهي نسبهم إلى قابوس بن النعمان بن المنذر[18].

ولادته: أجمعت المصادر على أن الفقيه أحمد العَزَفي ولد في ١٧ رمضان سنة ٥٥٧هـ[19].

لكن بعد الرجوع إلى مصادر قريبة من العَزَفي نفسه، يبدو لنا أن هذا النسب ربما شابه تحريف، ذلك أن الرعيني[20]، التقى بأحمد العَزَفي، وحضر له أكثر من مجلس، من مجالس التدريس التي كان العَزَفي يقيمها في جامع سبتة[21]، وقرأ عليه كثير من المصادر، وعلى الرغم من طول المدة التي مكث فيها الرعيني مع العَزَفي إلا أنه لم يشر أو يورد ذكر اسم الحسين، أو علي أو سليمان في شجرة نسب شيخه.

وقد أورد نسب العَزَفي كالآتي: (أبو العباس أحمد بن القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد اللخمي، عُرف بابن أبي عَزَفة)[22]. وأكد الرعيني هذا النسب بالقول: (هكذا كتب لي اسمه بخطه)[23]. وأكد هذا النسب ابن أبي الربيع في برنامجه[24]. وأضاف البعض إلى هذا النسب: ابن الخطيب[25].

أصل العَزَفيين:

تتضارب الآراء حول أصول العَزَفيين، فهناك من يرى بأنهم ينحدرون من أصول أفريقية، مستندين في ذلك، إلى أن الفقيه الإمام علي، جد العَزَفي كان معاصرًا لابن أبي زيد القيرواني (٣١٠ - ٣٨٦هـ / ٩٢٢ - ٩٩٦م)، وهو أحد أعلام المذهب المالكي في القيروان، لا بل حتى المغرب في عصره[26].

وهناك فريق آخر يرى أن العَزَفيين من أصول أندلسية، معتمدين على أن الكثير من الأندلسيين استقروا في مدينة سبتة، وذلك لقربها من الأندلس، وأن العَزَفيين ينحدرون من قبيلة لخم العربية التي لها انتشار واسع في الأندلس[27]. ولكن هذا النسب الأندلسي يبدو غير دقيق، وذلك لخلو شجرة نسب العَزَفيين من أية إشارات نسب إلى الأندلس أو إلى مدينة أندلسية.

وقد ذكر مؤرخ مغربي أنهم من أهل

آراء العَزَفي في وحدات الكيل الإسلامية

مراكش[٢٨]. وهذا هو الرأي الراجح أنهم من أهل المغرب، واستوطنت هذه العائلة مدينة سبتة منذ سنين عدة، فنُسب العزَفي إليها[٢٩].

ويرى فريق ثالث أن العزَفيين من أصول بربرية، وهذا لا يتوائم مع الواقع؛ لأنه يُشكك في الأصل العربي لهذه الأسرة. ونقل لنا ابن الخطيب بعض آراء من قال بهذا الرأي فقال: (يزعم بعض أهل سبتة أن أصلهم من مجسكة البربر)[٣٠]. وبالمراجعة التاريخية لحقبة حكم العزَفيين، ظهر لنا أن الرأي القائل بأن العزَفيين من أصول بربرية ظهر في القرن الثامن الهجري، وهذا يبدو له ارتباط وثيق بالخلاف السياسي بين العزَفيين والشرفاء الحسنيين على الزعامة السياسية في سبتة، ويبرز هذا الأمر أكثر مع بداية أفول نجم العزَفيين السياسي، وظهور قوة سياسية أخرى على مسرح الأحداث السياسية تمثل في الشرفاء الحسنيين[٣١].

فالأصل العربي والنسب الشريف كانا من أهم ما واجه به الشرفاء الحسنيون خصومهم العزَفيين، لإبعادهم عن إدارة مدينة سبتة.

أسرته ومناصبه

أسرته:

تناولت المصادر أبا عبد الله محمد بن أحمد اللخمي العزَفي السبتي، والد العزَفي، ووصفته بـ(الشيخ الإمام الفقيه الصالح القاضي العالم المحدث)[٣٢]. وأعطتنا تلك المصادر معلومات قيمة عنه، وسلطت الضوء على سيرته بين الناس، حتى قيل لابنه:

أبـوه الـذي قـد سـد يـوم قضائه
من الحق صدعًا جل عن كل شاغبِ
تـواضـع فـــازدادت مـهـابـةُ عدله
على كل خصمٍ مبطل الحق شاغبِ[٣٣]

وهذا ما يشير إلى أن الزعامة الروحية لأسرة العزَفيين في سبتة كانت سابقة لزعامتهم السياسية، التي بدأ عندما تمكن أبو القاسم العزَفي من تولي مقاليد الأمور في مدينة زقاق[٣٤] في شهر رمضان سنة ٦٤٧هـ[٣٥]؛ أي بعد وفاة والده بأربع عشرة سنة.

ينتمي الشيخ احمد العزَفي إلى أحد أكبر بيوتات سبتة، التي جمعت بين العلم والسياسة[٣٦]. فقد لعبت الأسرة العزَفية دورًا مميزًا وكبيرًا في تاريخ المغرب العربي، وكذلك في علاقة المغرب بالأندلس، في النصف الثاني من القرن السابع الهجري وحتى بداية القرن الثامن الهجري[٣٧]، وذلك بعد أن استقلوا بحكم مدينة سبتة، وتوالى على حكم تلك المدينة أبناء تلك العائلة، وتحديدًا أبناء الإمام العزَفي[٣٨].

مناصبه:

تولى أبو العباس أحمد العزَفي قضاء مدينة سبتة بعد وفاة والده، كما لزم التدريس في جامعها طوال حياته[٣٩]. وفي هذا الجامع ومن خلال حلقاته الدراسية فيه، تتلمذ عليه جم غفير من علماء المغرب، ويشهد على ذلك ما ذكره مترجموه[٤٠]، من سعة ثقافته، ومكانته في علم الفقه وأصوله، والحديث وعلومه. إذ قصده الدارسون يفيدون منه ويُقيدون عنه[٤١]، وكان له نظم حسن[٤٢].

مكانته العلمية

كان الشيخ أحمد العزَفي رحمه الله فقيهًا،

محدثًا، زاهدًا، إمامًا، مفتيًا، متقنًا، فصيحًا لَسِنًا وعلى الرواية مؤتمنًا[43].

أقوال العلماء فيه: قال تلميذه الرعيني: (كان الشيخ أحمد العزفي خاتمة أهل العلم بالسنة والانتصار لها، نفعه الله، برز علمًا وعملاً ودراية ورواية، جمع خصالاً من الفضل جمة، ورحل الناس إليه، كان على طريقة شريفة من التسنن واقتفاء السلف)[44].

وقال في حقه ابن أبي الربيع: (الشيخ الفقيه العالم العامل العلم الأوحد الورع الفاضل الضابط الناقد المسند بقية المحدثين)[45]. وقال ابن الآبار[46]: (شيخنا). وقال التجيبي[47]: (الإمام الفاضل الحسيب). وقال الذهبي[48]: (الفقيه الملك). وقال الصفدي[49]: (الفقيه المحدث الرئيس).

وقال ابن الخطيب: (الإمام المحدث)[50]. وقال ابن ناصر الدين[51]: (رئيس سبتة الأمير المحدث القاضي الأنيب كان). وقال ابن حجر[52]: (كان زاهدًا، إمامًا، متقنًا، مفتيًا). وقال المراكشي[53]: (أبو الصبر الشهيد). وقال التنبكتي: (كان فقيهًا عالمًا عاملاً ورعًا ضابطًا ناقدًا مسندًا من بقية المحدثين)[54].

وقال السبتي: (الشيخ الصالح المحدث الراوية)[55]. وفي موضع آخر قال: (الشيخ الإمام العالم المحدث الصالح الأتقى)[56]. وقال السلامي: (كان عبدًا صالحًا صابرًا على شدة الفقر مُعرضًا عن الدنيا وأهلها)[57]. وأورد التادلي[58] رواية تُشير إلى أن العزفي كان من المتصوفين، حتى أنه مات ولم يكن عنده ثمن كفن، وتبرع له به أحد الخيرين. وقال الكتاني[59]: (المحدث الجليل). قال الفاسي[60]: (كان يحرص على حضور ختمة القرآن في شهر رمضان). اقتبس منه غير واحد من المحدثين[61]، وكتاب السيرة[62]، والفقهاء[63].

تراثه ووفاته

مؤلفاته:

ترك لنا أبو العباس أحمد العزفي مؤلفات متعددة في مختلف مجالات العلوم، وهذا التنوع في تراثه يعكس الثقافة الواسعة التي كان يتمتع بها، ولكن لم يصل لنا كامل تراثه فقد أصابت بعضه يد الزمن، وأضاعته. وعلى الرغم من ذلك وصلنا من مؤلفاته:

١. منهاج الرسوخ إلى علم الناسخ والمنسوخ[64].

٢. دعامة اليقين في زعامة المتقين[65].

٣. الدر المنظم في مولد النبي المعظم[66].

٤. إثبات ما ليس منه بُد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد[67].

٥. برنامج أبو العباس العزفي[68].

وفاته:

توفي الشيخ أحمد العزفي في شهر رمضان سنة ٦٣٣هـ وله ست وسبعون سنة[69]، ودُفن في مقبرة زكلو إحدى مقابر مدينة سبتة[70]. وهناك رأي غير دقيق في ذكر تاريخ وفاته، إذ يرى البعض أنه توفى في شهر ذي الحجة سنة ٦٠٣هـ[71]. وكما قلت هذا رأي غير دقيق؛ لأنه خلاف ما أجمعت عليه المصادر.

المبحث الثاني: مرويات أبو العباس العَزَفي في وحدات الكيل

مقدمة:

استهل شيخنا أبو العباس أحمد بن محمد العَزَفي تناوله لوحدات الكيل الشرعية بقوله: بأنها إثبات شاهده في الأصول والأمهات، وفي كتب الفقه والحديث الموثقة، وما نقل عن العلماء بها، والرواة من أسماء وحدات الكيل المستعملة في الأسواق الإسلامية بأسمائها وألفاظها ومقاديرها. وجعل هذه الوحدات خاتمة لكتابه: "أثبات ما ليس منه بُد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمُد".

وتُعد وحدات الكيل من المقتنيات الأساسية لدى الباعة في الأسواق الإسلامية لتكال فيها أنواعًا من مواد الطعام الضرورية لمعيشة الإنسان، فضلاً عن حاجة المسلم اليها في أداء الحقوق الشرعية، كالزكاة، وصدقة إنتاج الأرضين، وزكاة الفطر، وفدية المناسك، وغسل الجنابة، وغيرها[٧٢].

ومما يؤخذ على شيخنا الفقيه أبي العباس أحمد العَزَفي أنه لم يتناول وحدات الكيل في كتابه الذي أشرنا إليه توًا وفق ترتيب حروف الهجاء، وهذا هو رأيه الذي قد يكون لديه مبررات مقنعة، لجعلها بهذا الترتيب، فنحن آثرنا أن لا نزوغ عن رأيه هذا رغم قناعتنا بأفضلية ترتيبها على وفق حروف الهجاء. إذ في هذه الحال يسهل على القارئ استيعاب المادة والأخذ بها.

وحدات الكيل عند العَزَفي:

استعرض العَزَفي وحدات[٧٣] الكيل وبدأ بُمد[٧٤] النبي صلى الله عليه وسلم وصاعه[٧٥]، والقسط[٧٦]، والكليجة[٧٧]، والمختوم[٧٨]، والصواع[٧٩]، والمكوك[٨٠]، والحجاجي[٨١]، والفرق[٨٢]، والوَيْبة[٨٣]، والقفيز[٨٤]، والعَرْق[٨٥]، والمكتل[٨٦]، والإردب[٨٧]، والجريب[٨٨]، والوَسْق[٨٩]، والكُر[٩٠]، والقنقُل[٩١]، والجِلاب[٩٢]، والعُس[٩٣]، والشندرة[٩٤]، والفالج[٩٥]، والرطل[٩٦]، والقبي[٩٧]، والملْحم[٩٨]، والمن[٩٩]، والزيادي والخالدي[١٠٠]، والهشامي[١٠١]، والنَصيف[١٠٢].

وهذه الوحدات على كثرتها يحتاج بعضها إلى تفصيل وإبانة. وهذا التنوع حالة واقعية وملموسة ومُتعارف عليها. وفي ضوء ذلك يستوجب من الباحث إلقاء الضوء على هذه الوحدات لإظهارها على حقيقتها، أو ما يقارب حقيقتها.

ولكي يعطي العَزَفي الأهمية لموضوعه هذا استعرض مضمون مفردة (الكيل) فقال: الكيل والمكيال: اسم يعم جميع ما تُعار به المكيلات. والكيل أصله مصدر كال الطعام وغيره؛ أي يكيله كيلاً. فسمي بالمصدر أو وُصف به[١٠٣].

واستشهد العَزَفي بما روي عن أبي زيد[١٠٤]: أنه قال: كال للرجل الطعام، وكاله الطعام، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝ ﴾[١٠٥]. ويل هلاك وعذاب ودمار لأولئك الذين ينقصون المكيال والميزان؛ أي اذا أخذو الكيل من الناس أخذوه وافيًا كاملاً؛ لأنفسهم، وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم ينقصون

الكيل والوزن[١٠٦]. وكال الطعام كيلاً؛ أي حدد كميته[١٠٧]. وأثناء وحدات الكيل التي أوردها الغزفي.

المُد والمُدي:

المُد مذكر وجمعه أمداد، وقال بعضهم: مِداداً[١٠٨]، وتأول على ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "سُبْحَانَ اللَّهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ" [١٠٩]. ويرى الغزفي أن المُد سُمي مُدًا؛ لأنه قدر ما تمتد به اليدان من العطاء. وقيل؛ لأنه ملء كفي الإنسان إذا ملأها ومد يديه بهما لعطاء أو غيره[١١٠]. والمُد ربع الصاع[١١١]. واستشهد الغزفي بما قاله ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)[١١٢]: إن أهل الحجاز لا خلاف بينهم فيما اعلمه أن المُد رطل وثلث. ونقل عن مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) أنه قال: نقل إن أهل المدينة المنورة خلفهم عن سلفهم، ورونه أبناؤهم عن آبائهم إن هذا المُد هو مُد النبي صلى الله عليه وسلم، وأن لا مُد يُنسب إليه غيره، وأنه هو الذي كانوا يُخرجون به زكاة الفطر زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرج هو صلى الله عليه وسلم به. وبهذا احتج مالك على أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ) بحضرة الخليفة هارون الرشيد واستدعى أبناء المهاجرين والأنصار، فكل أتى بمُد ادعى أنه أخذه عن أبيه أو عمه أو جاره. وعندئذ اقتنع أبو يوسف بصواب رأي مالك، وعدل عن موافقة أبي حنيفة بغلبة الظن إلى مواقف وآراء مالك بن أنس[١١٣].

وأورد أبو عبيد[١١٤]: حديثًا للرسول صلى الله عليه وسلم عن جابر بن عبد الله أنه صلى الله عليه وسلم "كان يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ وَيَتَطَهَّرُ بِالْمُدِّ".

وفي رواية أخرى: "كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَغْسِلُ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"[١١٥]. وأن الصاع أربعة أمداد[١١٦]، والمُد يتسع لرطلين بغداديين على حد قول أبي حنيفة الذي نقله لنا هنتس[١١٧].

واستشهد أبو العباس أحمد الغزفي بما قاله أبو عبيد بشأن (المُدي) فقال: أنه عاير الأمداد والصيعان، ثم جمع بينهما فوجد المُدين تساوي ثلاثة وثمانين رطلاً. وفي ضوء ذلك تكون زنة المُدي إحدى وأربعين رطلاً ونصف رطل. وان المُدي هو مكيال أهل بلاد الشام، في حين يكون المُد مكيال أهل العراق[١١٨].

ونقل لنا أبو العباس أحمد الغزفي رأي الخطابي[١١٩] الذي مؤداه: أن المُد مقدر بأن يمد الرجل المعتدل يديه، فيملأ كفيه طعامًا. ولذلك سُمي مُـدًا[١٢٠]. وقيل في قوله صلى الله عليه وسلم: " ما بلغ مُد أحدهم ولا نصفيه"[١٢١]. أي مِلء يديه طعام في الصدقة وغيرها[١٢٢].

القسط:

حدد الغزفي سعة القسط بنصف صاع، ويكون بذلك قد اتفق مع الخوارزمي[١٢٣]، وأبي عبيد[١٢٤]. ويرى الغزفي أنه سُمي: نصف الصاع قسطًا كما سُمي الميزان به[١٢٥]. والقسط العدل؛ لأن العدل يتهيء بهما[١٢٦].

ونقل لنا الغزفي رأي ابن قتيبة الذي مؤداه أن القسط رطلان وثلثا رطل، في قول جميع الناس[١٢٧]. والقسط المستعمل في أسواق العراق في العصور الإسلامية حجمان: القسط الصغير

يعادل ثلاثة أرطال من السوائل، والقسط الكبير ضعف الصغير تمامًا[١٢٨].

الكيلجة:

حدد أبو العباس أحمد العَزَفي سعة الكيلجة بنصف صاع، ومُد النبي صلى الله عليه وسلم ربع الصاع، والصاع مقدار كيلجة بغدادية، يزيد الصاع عليها شيئًا يسيرًا[١٢٩]. قال الخوارزمي[١٣٠]: الكيلجة وزن ستمائة درهم ببغداد. وبواسط والبصرة مائة وعشرين قفيزًا. وورد ذكر الكيلجة كوحدة كيل في العصر الأموي سعتها خمسة أرطال[١٣١].

الصاع:

الصاع هو الوحدة الأساسية للكيل، والصاع الشرعي يساوي أربعة أمداد عند أهل المدينة المنورة، أو يساوي ثمانية أرطال بغدادية[١٣٢].

والصاع يُذكر ويُؤنث. فمن ذكره قال: أصواع، مثل: أثواب. ومن أنثه قال: أصوع، مثل: أدور[١٣٣]. وللصواع يقال: صيعان. مثل: غراب وغربان. ويجمع الصواع: صيعانًا. ويرى الفقيه أبو العباس أحمد العَزَفي أن العرب تقول: صُعت الشيء، مزقته، وربما يكون اسم الصاع مشتقًا من هذا الرأي؛ لأن الكيل بطبيعته تفريق للمكيل[١٣٤].

ومما يعزز ما ذهب إليه العَزَفي ويؤكده أن تسمية بعض المكاييل فَرقًا. قال الخوارزمي: الصاع أربعة أمداد عند أهل المدينة، وثمانية أرطال عند أهل الكوفة[١٣٥]. والصاع خمسة أرطال وثلثا رطل على رأي فقهاء الحجاز، وهو ثمانية أرطال على رأي فقهاء العراق. وكان صاع النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أرطال، ومُده: رطلين. والصاع النبوي أربعة أمداد بمُده عليه الصلاة والسلام[١٣٦].

قال أبو عبيد[١٣٧]: الصاع عند أهل الحجاز خمسة أرطال وثلث، يعرفه عالمهم وجاهلهم، ويُباع به في أسواقهم، ويُحمل علمه قرن عن قرن. وهذا هو الذي عليه العمل عندي؛ لأني مع اجتماع قول أهل الحجاز عليه.

وذكر العَزَفي: لما قدم قاضي القضاة أبو يوسف حاجًا مر بالمدينة المنورة، وأراد أن يتأكد من سعة صاع الرسول صلى الله عليه وسلم. دعا نحوًا من خمسين شيخًا من أبناء المهاجرين والأنصار، ومع كل واحد منهم الصاع تحت ردائه، وكل منهم يؤكد أن الصاع الذي يحمله بمقدار صاع النبي صلى الله عليه وسلم. فقدرها أبو يوسف فوجدها مستوية. فلما اتضح له الأمر ترك ما كان يدعيه شيخه أبو حنيفة، وانحاز إلى رأي مالك بن أنس لوضوح البينة أمامه. وهذه ليست بالمهمة السهلة أن يتخلى التلميذ عن رأي شيخه، لكن الحقيقة يصعب حجبها عن ذوي الأبصار النافذة، وأبو يوسف منهم[١٣٨].

المختوم:

يرى العَزَفي أن المختوم هو الصاع، وسُمي بذلك؛ لأن الأمراء والولاة كانوا يجعلون عليه خواتمهم لئلا يُزاد فيه أو ينقص[١٣٩]. ومما يعزز ما ذهب إليه العَزَفي أن أبا عبيد أورد حديثًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سعيد الخدري[١٤٠] قال الرسول: " ليس في أقل من

خمسة أوسق صدقة "[141] وأضاف أبو عبيد: والوسق ستون مختومًا، والمختوم هنا هو الصاع بعينه، وإنما سُمي مختومًا؛ لأن الأمراء جعلت في أعلاه خاتمًا مطبوعًا لا يزاد فيه، ولا تنقص منه[142].

قال هنتس[143]: كان المختوم الحجاجي يساوي صاعًا واحدًا على غرار ما كان عليه الصاع في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

المكوك:

لفظ المكوك مأخوذة من تملك الفصيل لبن أمه، استنفذه. والكيل يستنفذ المكيل. وتجمع لفظة مكوك: مكاكيك ومكاكي. ويرى الغزّفي أن المكوك وحدة كيل تتسع صاعًا ونصف صاع[144]. ويرى أبو عبيد أن كفارة اليمين كانت تؤدى بمكوك واحد (من البر أي الحنطة) توزع بين عشرة مساكين؛ لأنه عشرة أمداد، فيكون لكل مسكين مُد[145].

ويرى الخطابي الذي نقل قوله الغزّفي: أن سعة المكوك نصف رطل إلى ثمانية أواقي[146]. في حين قدر الخوارزمي سعة المكوك: خمسة عشر رطلاً[147]. ويرى الماوردي (ت ٤٥٠هـ) أن سعة المكوك تتسع لثلاث كيلجات؛ أي حوالي ٤٥ كيلو غرام[148]، والمكوك نصف الويبة[149] التي سيأتي تناولها فيما بعد.

الحجاجي:

أورد شيخنا أحمد الغزّفي رأي أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) في مكيال الحجاجي، فقال: هو بحجم القفيز اتخذه الحجاج ابن يوسف الثقفي حين كان واليًا على العراق (٧٥ - ٩٥هـ) قياسًا على صاع الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (١٣- ٢٣هـ)[150]. وهو الصاع على رأي أهل العراق إذ زنته ثمانية أرطال أو أرجح قليلاً. وهو على رأي أهل الحجاز نحو صاع وثلاثة أخماس صاع، ونُسب إلى الحجاج ابن يوسف الثقفي.

ويبدو أنه زاد به قليلاً استرضاءً للناس، ونقل لنا الغزّفي قول الخطابي الذي مؤداه أن والي العراق الحجاج بن يوسف الثقفي سعر به على أهل العراق، وكانت الولاة يتحمدون بالزيادة في الصيعان، ويرمون من وراء ذلك التوسعة على الناس، ونيل رضاهم. ولذلك عاب بعض الناس على أحد الولاة الذين أعقبوا ولاية الحجاج وقالوا عنهم: (ينقص في الصاع ولا يزيد)[151].

وأورد الغزّفي رأي عمرو بن بحر الجاحظ[152] الذي مؤداه: " أن الأمراء كانت تتحبب إلى الرعية بالزيادة في المكاييل، ولو زادوا في الأوزان ما قصروا، ولذلك اختلفت أسماء المكاييل كالزيادي[153]، والفالج[154]، والخالدي[155]، وغيرها[156]. فطبق التسعير والكيل في أسواق العراق بمكيال (الحجاجي) وقدرت به الكفارات، وأخرجت به مقادير الزكاة. ولما ولي خالد بن عبد الله القسري أضعف الصاع ستة عشر رطلاً[157].

الفَرَقُ:

استشهد أبو العباس أحمد الغزّفي برأي اللغوي ابن دريد[158] الذي قال: الفَرَق مكيال يتسع ستة أقساط، وهو مكيال من خشب كان الفقيه محمد

ابن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ) يقول: يتسع الفرق خمسة أقساط من أقساط بني أمية[١٥٩].

والخمسة أقساط اثنتا عشر مُدًا بمُد النبي صلى الله عليه وسلم[١٦٠]. بينما ورد الفرق عند أبي عبيد: هو إناء سعته ستة أقساط أو ثلاثة آصوع، لا اختلاف بين الناس أعلمه في هذا المكيال[١٦١].

الويبة:

ذكر العَزَفي أن الويبة وحدة كيل تتسع لاثنين وعشرين مُدًا بمُد النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية إنها تتسع لأربعة وعشرين مُدًا[١٦٢]. وهي مكيال مصري يستعمل في الأعم الأغلب في كيل الحبوب، يسع أكثر بقليل من ١٢ كيلو غرام[١٦٣]، أو أربعة وعشرين مُدًا بمُد النبي صلى الله عليه وسلم، أو ثلاث كيلجات[١٦٤].

الهشامي:

انفرد أبو العباس أحمد العَزَفي بذكر (الهشامي) كوحدة كيل، وإن مقدارها أربعة آصع على رأي أهل العراق. ووزن الهشامي اثنان وثلاثون رطلاً على حد قول العَزَفي[١٦٥].

القفيز:

في الوقت الذي رفدنا العَزَفي بشذرات مقتضبة عن الهشامي، أسهب كثيرًا عندما تناول (القفيز). واستقى جل معلوماته من الخطابي الذي سبق أن عرفناه ومن أبي عبيد. فقال العَزَفي: القفيز وحدة كيل تتسع لثمانية مكاكيك[١٦٦]. كل مكوك ثلاث كيلجات، وكل كيلجة تزن حوالي ٤٥ كيلو غرام[١٦٧].

وورد ذكر القفيز عند أبي عبيد القاسم بن سلام بأنه وحدة كيل، وفي العراق عُرف بـ (قفيز الحجاجي) الذي اتخذه الحجاج بن يوسف الثقفي، على وفق صاع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان أبو عبيد قد سمع من يقول بأن قفيز الحجاج يتسع لثمانية أرطال[١٦٨]. وقال أبو عبيد[١٦٩]: كان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " قد عدل أربعين درهمًا بأربعة دنانير؛ لأن أصل الدينار كان يصرف في بداية خلافة عمر بعشرة دراهم[١٧٠]، ووجد أبو عبيد عدل مديين من طعام بخمسة عشر صاعًا فجعلها موازية لهما، فعاير الأمداد والصيعان وجمع بينهما، ثم اعتبرهما بالوزن فوجد المدين نيفًا وثمانين رطلاً، ووجد خمسة عشر صاعًا ثمانين رطلاً. وهذا على قول أهل المدينة[١٧١]. وفسر أبو عبيد هذه الزيادة بأنها يسيرة، وأن الوزنين متقاربين، وإنما زاد ذلك النيف على الثمانين - حسب ظن أبي عبيد - بقدر ما يكون بين الطعامين من الرزانة والخفة[١٧٢]؛ أي اختلاف الوزن النوعي لكليهما.

وذكر هنتس: أن في العراق كان قفيزان: أحدهما يكال به في أسواق بغداد والكوفة يتسع لثمانية مكاكيك، والآخر في البصرة وواسط يتسع لأربعة مكاكيك. وهو بهذا يكون بقدر نصف قفيز بغداد والكوفة[١٧٣]. وذكر الشرباصي أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسع حجم القفيز الذي تكال به أرزاق الجند[١٧٤].

العَرَق:

قال أحمد العَزَفي أن العَرَقُ وحدة كيل

تتسع خمسة عشر صاعًا. واستشهد برواية عن سعيد بن المسيب[١٧٥] مؤداها أن مالك بن أنس (ت١٧٩هـ) قال في الموطأ: العَرَقُ بفتح الراء وسكونها، والأشهر بالفتح، جمع عَرَقَة. وهي الظَّفيرة التي تخاط القفة منها. وسُمي بذلك؛ لأنه يعمل عَرَقة[١٧٦]، ثم يضم بعضها إلى بعض[١٧٧].

المِكْتَل:

يرى العَزَفي أن (المِكْتَل) هو وحدة تشبه القفة أو الزنبيل. وهو نحو العَرَق في مقداره[١٧٨]. قال الشرباصي: المِكْتَل: الزنبيل الكبير، قيل: أنه يسع خمسة عشر صاعًا. وقد يطلق على المِكْتَل القفة[١٧٩].

الإِرْدَب:

يصف أبو العباس أحمد العَزَفي الإردب بأنه مكيال ضخم يستعمل في مصر على نطاق واسع، ومنذ عهد بعيد. يتسع لست ويبات، وقيل الإردب: يأخذ أربعة وعشرين صاعًا، وهو ستون منًا[١٨٠].

واللافت للنظر أن شيخنا أبا العباس العَزَفي لم يعزز رأيه بأردب مصر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أورده أبو عبيد عن أبي هريرة أنه قال: " مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ "[١٨١].

واستشهد هنتس[١٨٢] بقول القلقشندي[١٨٣] الذي قال: إن الإردب الواحد يساوي ست ويبات، وفي ضوء ذلك يمكن أن يستوعب الإردب ٦,٦٩ كيلو غرام من القمح[١٨٤].

الجَرِيب:

مفردة (الجريب) قد تأتي وحدة كيل، وقد تأتي وحدة قياس المساحة. والذي يعنينا هنا هي وحدة الكيل. قال العَزَفي: الجَرِيبُ مكيال يأخذ أربعة أقفزة. وهو اسم لمقدار مساحة من الأرض معلومة عند أهل المساحة[١٨٥]. قدره هنتس ألف وخمسمائة واثنين وتسعين مترًا مربعًا[١٨٦].

في حين ذكر الشرباصي أن الجريب وحدة كيل تساوي أربعة أقفزة. وهذه المفردة قد تأتي ضمن وحدات قياس مساحة الأراضي الزراعية وتساوي ثلاثة آلاف وستمائة ذراع[١٨٧].

وورد الجريب عند أبي عبيد مكيل قدره أربعة أقفزة، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك مكيال يسع صاعًا ونصف صاع، أو نحو ذلك[١٨٨]. وقال هنتس: الجريب كوحدة كيل في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه (١٣ - ٢٣هـ) تحدد عياره كمكيال يتسع ٧,٢٢ كيلو غرام في صدر الإسلام[١٨٩].

الوَسقْ:

قال أبو العباس العزفي: الوَسقُ ستون صاعًا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم. وقيل له (وَسقٌ)؛ لأنه حمل بعير[١٩٠]. تقول العرب أوسقت البعير اذا أوقرته. والوَسقُ: العدل. قيل هو مشتق من قولهم: وسقت الشيء وسقًا، ضممت بعضه إلى بعض[١٩١].

وقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧

﴾[١٩٢]، ضمّ وجمع؛ أي وبالليل وما جمع وضم إليه، وما لفّ في ظلمته من الناس والدواب والهوام. وهذا يشير إلى أن الليل يسكن في كل الخلق[١٩٣]. قال ابن دريد[١٩٤]: وسقت البعير مخففًا، حملت عليه وسقًا.

والوسق أحد وحدات الكيل، مقداره ستون صاعًا بصاع النبي صلى الله عليه وسلم[١٩٥] وبه تدفع فريضة الزكاة في الإنتاج الزراعي، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: " ليس فيما دون خمسة أوسق من الحنطة والشعير والتمر والزبيب صدقة تؤخذ "[١٩٦]. وقد ورد هذا الحديث في كتب الحديث والسنن والأموال، ومنها كتاب الأموال لأبي عبيد (ت٢٢٤هـ) الذي قال: " ليس في أقل من خمسة أوسق صدقة، والوسق ستين مختومًا "[١٩٧]. قال هنتس: في صدر الإسلام الوسق حمل بعير، ويساوي ستين صاعًا؛ أي حوالي ٣،١٩٤ كيلو غرام من القمح[١٩٨].

الكُرّ:

الكُرُّ مكيال عراقي قديم يسع اثنا عشر وسقًا. وفي حديث عبد الله بن مسعود أنه كانت له حبَلة تحمل كُرًا، وكان يسميها أم العيال. والكُر ستة أوقار حمار؛ أي حمل حمار، وهو عند أهل العراق ستون قفيز[١٩٩]. وبالمصري أربعين إردبًا[٢٠٠].

قال الخوارزمي: " الكُر بالعراق (أي في بغداد والكوفة) ستون قفيزًا، كل قفيز ثمانية مكاكيك، وكل مكوك ثلاث كيالج "[٢٠١]. وقال هنتس: الكر مكيال بابلي كان يساوي في العراق ثلاثين كارة. والكارة يتعامل بها أهل العراق تساوي قفيزين[٢٠٢]. ونقل لنا الشرباصي قول الأزهري الذي مؤداه: أن الكر ستون قفيزًا، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف[٢٠٣].

القنقل:

قال العَزَفي: القنقل مكيال عظيم، جاء ذكره في سيرة محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ)، وجاء ذكر القنقل في كتاب الغريبين[٢٠٤]. والقنقل عند شيخنا أحمد العَزَفي ثلاثون منًا[٢٠٥]. والجمع أمنان، وهو رطلان عند الشرباصي[٢٠٦]. ويبدو أن هناك تداخل بين القنقل كوحدة كيل وبين القباع الذي هو مكيال ذي قعر ولم يقف العَزَفي على مقداره[٢٠٧]. ولم يرد في المصادر الأخرى المماثلة.

الجلاب:

ويرد عند العَزَفي (الجلاب)، وهو إناء يسع حلبةً ناقة، ويدعي أنه ورد ذكره عند البخاري[٢٠٨] الذي قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل دعا بشيء من نحو الجلاب الذي هو ضرب من الطيب، كطيب حبة المحلب[٢٠٩].

وترد أيضًا مفردة (الجلاب)، وتعني ماء الورد، وشكك العَزَفي بهما ولم يرجح أحدهما. إلا أن أبا عبيد الهروي يرى إن الجلاب ضرب من الطيب مستندًا إلى قول من قال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اغتسل دعا بشيء من الجلاب وتطيب به[٢١٠].

الغَسّ:

وهذه مفردة أخرى ينفرد العزفي بتناولها فيقول: إناء ومكيال يسع ثمانية أرطال، مستندًا

إلى روايـة عن مجاهد مؤداها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بهذا الإناء الذي تراوحت سعته بين ثمانية أرطال وعشرة أرطال[٢١١].

النّصيف:

والغريب في أمر شيخنا أحمد العزَفي أنه أحيانًا يأتي بوحدة كيل من غير أن يعرف سعتها. وهذا ما ذكره حول (النّصيف) فقال: مكيال لا أقف على مقداره. وجاء بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه "[٢١٢]. فقال: فالضمير على القول الأول يعود إلى أحدهم، وعلى القول الثاني على المُد[٢١٣]. وهو المرجح عندنا.

السّنْدَرة:

مرة أخرى ترد عند العزَفي وحدة كيل يجهل سعتها هي (السَنْدَرة) التي قال عنها مكيال واسع لا أقف على مقداره. ثم جاء برواية عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال فيها: " أكيلهم بالصاع كيل السندرة "[٢١٤].

فالسندرة: مكيال واسع يحتمل أن يكون قد تم صنعه من خشب شجرة السندرة التي يعمل من أغصانها أيضًا النبل والقسي[٢١٥].

الفَالِجْ:

وكذا حال شيخنا العزَفي حين تناول (الفالِجْ) قال: مكيل ضخم، ولم أقف على مقداره[٢١٦]. وشاركه في رأيه هذا الشرباصي الذي قال: أن من المحتمل أن يكون الفالج هو القفيز[٢١٧].

الرطل:

وحتى الرطل لم يقف العزَفي على مقداره[٢١٨]. وما فطن أن الرطل يرد في وحدات الوزن وفي وحدات الكيل. وإذا جاء في الكيل يتسع الرطل البغدادي إلى مئة وثلاثين درهمًا، بدراهم الإسلام، وإذا جاء مع وحدات الوزن فالرطل يزن مئة وثمانية وعشرين درهمًا[٢١٩]، أو اثني عشر أوقية؛ أي ٥,١ كيلو غرام[٢٢٠].

المَلْحَم:

الملجم هو الآخر لم يقف العزَفي على مقداره. ومحتمل أن يكون اشتقاقه التحم الجرح إذا التزق. فبعض المكاييل ألواح من خشب ملتزقة[٢٢١]. قال أبو عبيد: الملحم صاعان ونصف، أو عشرة أمداد إذا مسحت أعلاه[٢٢٢].

المَنّ:

المَن وحدة كيل، هو الآخر لم يقف العزَفي على مقداره[٢٢٣]. والمن عادة يأتي مع وحدات الوزن ويساوي شرعًا رطلين[٢٢٤]. قال الشرباصي: كيل أو وزن، والجمع أمنان، والمن رطلان[٢٢٥].

الزّيادي والخَالدي:

الزيادي والخالدي ذكرهما عمرو بن بحر الجاحظ عند ذكره زيادة الأمراء في المكاييل للتحمد والثناء. فالزيادي يُنسب إلى زياد بن أبيه، والخالدي إلى خالد بن عبد الله القسري[٢٢٦]، وكلاهما من ولاة العراق في العصر الأموي.

ومما يعنينا في هذا المقام أن أبا العباس العزَفي لم يقف على مقداريهما[٢٢٧]. ويبدو أنه معذور في هذه المسألة؛ لأن هذين المكيالين استُحدثا من قبل

هذين الأميرين، وأن استعمالاتهما في الأسواق ومعاملات البيع والشراء كانت محدودة مكانًا وزمانًا.

القَبّ:

وأخيرًا أورد شيخنا العَزَفي مكيالاً سماه (القَبّ) بفتح القاف. وقال: تكال به الغلات، ولم يقف العَزَفي على مقداره، ثم أورد مكيالاً آخر سماه (القَبي) بفتح القاف ونسبه إلى أيوب بن يحيى بن أيوب الحراني، وهو رجل تقي من الآمرين بالمعروف (ت٢٨٢هـ). وذكر المكيال الأمير أبو نصر بن ماكولا في كتابه الإكمال[٢٢٨].

وخلاصة القول نستشهد بما قاله أبو العباس أحمد العَزَفي: هذا إثبات ما وقع بين يديه وألفه في الأصول والدواوين، وما انتهى إليه عن العلماء والفقهاء العظام، والراوين من أسماء وحدات الكيل الشرعية وأجزائها المستعملة في أسواق الدولة الإسلامية في عمليات البيع والشراء والمتفقة مع مقاصد الشريعة. وحسبنا أن يكون مسك هذه الخاتمة من البيان وختك بردة تمامها بالإحسان.

الخاتمة

في نهاية بحثنا هذا توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

١. حثّ الشّارع الحكيم على إيفاء الميزان المكيال.
٢. أورد القرآن الكريم آيات تحث على الاهتمام بالموازين والمكاييل، فدعى الناس إلى حُسن التعامل بها، والنهي عن الغش فيها.
٣. من هذا المنطلق جاءت أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في توضيح أهمية الموازين والمكاييل، وذلك لكي يعرف المسلم المقادير الشرعية وتحديد مقاديرها، لأداء عبادته بشكل صحيح.
٤. لذا وجدنا العَزَفي أولى هذا الموضوع أهمية من خلال تأليف هذا الكتاب.
٥. حرص العَزَفي على تخريج أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حول المكاييل.
٦. بين أهمية المكاييل من خلال تعلق الحقوق الشرعية بها.
٧. وذكر العَزَفي إلى المكاييل الشرعية، والآراء في مقاديرها، ووازن بينها.
٨. حرص العَزَفي على استقصاء جميع المكاييل وإن كان لا يعرف معلومات كافية عن بعضها.

الحواشي

(١) معركة وقعت بين الموحدين والممالك النصرانية في إسبانيا جنوب الشارات. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٦.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص ٣٧٩.

(٣) أحمد الرنداحي. ويذكر باسم جعفون الرنداحي، تولى مهمة قيادة الأسطول منذ عهد عمر المرتضى الموحدي، واستمرت هذه الخطة بيد أسرة الرنداحي إلى نحو سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م. ينظر: المنوني، ورقات عن الحضارة المغربية، ص ٧٩.

(٤) هو أبو القاسم محمد بن القاضي المحدث أبي العباس أحمد بن محمد بن الفقيه العَزَفي اللخمي، ينتهي نسبهم إلى قابوس بن النعمان بن المنذر. ينظر:

المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص٢٧٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص ٤٠٠ - ٤٠١.

(٦) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٣٠.

(٧) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٣، ص ٤١٥.

(٨) ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ١٨٦. الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ٣٤.

(٩) الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ٣٤.

(١٠) أزهار الرياض، ج ٢، ص ٣٧٤. وردت نسبة عَزَفَة فيها تصحيف في بعض المصادر التي ترجمت له، إلى عرفة. على سبيل المثال ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٦٣.

(١١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣١. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.

(١٢) عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي زيد القيرواني أبو محمد، فقيه ومفسر مالكي، ولد في القيروان سنة ٣١٠هـ، توفي في شعبان سنة ٣٨٦هـ. ينظر: كحالة، معجم المؤلفين، ج ٦، ص ٧٣.

(١٣) عَزَفَة: بفتح العين والزاي وبعدها فاء. ينظر: ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣١. السيوطي، لب اللباب، ص ١٧٩. قال التنبكتي: ابن أبي عرفة، نيل الابتهاج، ص ٧٧. ووافقه نويهض، معجم المفسرين، ج ١، ص ٦٦.

(١٤) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.

(١٥) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.

(١٦) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.

(١٧) ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣٢. وقال الذهبي والصفدي: صاحب سبتة، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. وحقيقة الأمر أن ابناءه هم من تولوا الحكم في سبتة بعد وفاته.

(١٨) تنظر ترجمته في: ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢. ابن الشاط، برنامج ابن أبي الربيع، ص ٦٢. التجيبي، برنامج التجيبي، ص ٧٦. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. وتاريخ الإسلام، ج ٤٦، ص ١٤١. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨. ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٢٨٦. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣١. المقري، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٤. ابن القاضي، درة الحجال، ج ١، ص ١١. التنبكتي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨. نويهض، معجم المفسرين، ج ١، ص ٦٦.

(١٩) التنبكتي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.

(٢٠) علي بن محمد بن علي أبو الحسن الرعيني، ولد سنة ٥٩٢هـ، فقيه أديب أندلسي، توفي سنة ٦٦٦هـ. ينظر: السيوطي، بغية الوعاة، ص ٣٤٩.

(٢١) سبتة: مدينة مشهورة من مدن المغرب العربي. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٧.

(٢٢) الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢. ينظر: التنبكتي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.

(٢٣) الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢.

(٢٤) برنامج ابن أبي الربيع، جمعه ابن الشاط، ص ٦٢.

(٢٥) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨.

(٢٦) المقري، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٤.

(٢٧) المقري، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٤.

(٢٨) السلامي، الإعلام بمن حل مراكش، ج ٢، ص١١١.

(٢٩) ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.

(٣٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣. ينظر: المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٣١) المقري، نفح الطيب، ج ٥، ص ٤٦٩.

(٣٢) ينظر: المقري، نفح الطيب، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٣٣) المقري، أزهار الرياض، ج ١، ص ٣٧٥.

(٣٤) عن مدينة زفاق. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٨.

(٣٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص ٤٠٠. ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ١١. السبتي، اختصار الأخبار، ص ٣٠.

(٣٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣. ابن خلدون، العبر، ج ٧، ص ١٨٦.

(٣٧) الناصري، الاستقصا، ج ٣، ص ١١٥.

(٣٨) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣.

(٣٩) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص ٧٧. الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.

(٤٠) الرعيني، برنامج الرعيني، ص ٤٢ وما بعدها.

(٤١) ابن حجر، تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.

(٤٢) العراقي، المستخرج على المستدرك، ص ١٣. الزركلي، الأعلام ج ١، ص ٢١٨. نويهض، معجم المفسرين، ج ١، ص ٦٦.

(٤٣) الرعيني، برنامج، ص ٤٢.

(٤٤) الرعيني، برنامج، ص ٤٢.

(٤٥) ابن الشاط، برنامج ابن أبي الربيع، ص ٦٢.

(٤٦) التكملة، ج ٢، ص ٥٢.

(٤٧) برنامج التجيبي، ص ٧٦.

(٤٨) تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. أطلق عليه الملك، لأنه والد أسرة العزفيين التي تولت إمارة مدينة سبتة، استمرت الإمارة العزفية من سنة ٦٤٧ _ ٧٢٨هـ.

(٤٩) الوافي بالوفيات، ج ٧، ص ٢٢٨.

(٥٠) ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٣٢٢.

(٥١) توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣٢.

(٥٢) تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥.

(٥٣) الذيل والتكملة، ج ٢، ص ٥٦٠.

(٥٤) التنبكتي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.

(٥٥) السبتي، اختصار الأخبار، ص ١٣.

(٥٦) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٢٠.

(٥٧) السلامي، الإعلام بمن حل مراكش، ج ٢، ص ١١١.

(٥٨) التشوف إلى رجال التصوف، ص ٣٨٣.

(٥٩) فهرس الفهارس، ج ٢، ص ٨٢٦.

(٦٠) البحر المديد، ج ٧، ص ١٦٦.

(٦١) السيوطي، قوت المغتذي، ج ١، ص ١٦٨. الزرقاني، شرح الموطأ، ج ٤، ص ٦٩٠.

(٦٢) الخزاعي، تخريج الدلالات، ص ٥٩٧. المقريزي، إمتاع الأسماع، ج ١، ص ٣٩١.

(٦٣) المكناسي، شفاء الغليل، ج ٧، ص ٢٩٦.

(٦٤) الزركلي، الأعلام، ج ١، ص ٢١٨.

(٦٥) الكتاب مطبوع حققه الأستاذ أحمد توفيق، وطُبع في الرباط سنة ١٩٨٩م. وهو في مناقب الشيخ أبي يعزى.

(٦٦) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج ١٠، ص ٣٢٣. ابن حجر، المجمع المؤسس، ص ٣٩٨. السبتي، اختصار الأخبار، ص ٢٠. الروداني، صلة الخلف، ص ٢٣٥. البغدادي، إيضاح المكنون، ج ٣، ص ٤٥١. الكتاني، فهرس الفهارس، ج ١، ص ١٥٦. الزركلي، الأعلام، ج٥، ص ٣٢٣. كحالة، معجم المؤلفين، ج ٥، ص ٦١.

(٦٧) الكتاب تحقيق محمد الشريف وطُبع في أبو ظبي سنة ١٩٩٠م.

(٦٨) حققه الدكتور عبد العزيز الأهواني ونشر في المجلد الأول من مجلة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة، ص ٢٥٢ _ ٢٧٠.

(٦٩) ابن نقطة، إكمال الكمال، ج ٤، ص ٢٩٦. الرعيني، برنامج، ص ٤٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٢٢. ابن ناصر الدين، توضيح المشتبه، ج ٦، ص ٢٣٢. ابن حجر، تبصير المنتبه، ج ٣، ص ١٠٠٥. التنبكتي، كفاية المحتاج، ج ١، ص ٧٦.

(٧٠) السبتي، اختصار الأخبار، ص ٢٠.

(٧١) السلامي، الإعلام بمن حل مراكش، ج ٢، ص ١١١. التادلي، التشوف، ص ٣٨٣.

(٧٢) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠.

(٧٣) العزفي، إثبات، ص ١٢٥.

(٧٤) المد: وحدة كيل تستخدم في المدينة مختلف في مقداره بين رطل وثلث إلى رطلين. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٥.

(٧٥) الصاع: مكيال وهو من مضاعفات المد، إذ يسع أربعة أمداد. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٥.

(٧٦) القسط: مكيال يسع نصف صاع. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٣٧٨.

(٧٧) الكليجة: مكيال. ينظر: الجوهري، الصحاح، ج ١، ص ٣٢٧.

(٧٨) المختوم: هو الصاع الذي عليه ختم الأمراء. ينظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج ٢، ص ٤٨.

(٧٩) الصواع: إناء يكال به. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ١٩٩.

(٨٠) المكوك: مكيال عراقي سعته صاع ونصف. ينظر: ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٢٦٥.

(٨١) الحجاجي: هو صاع عمر بن الخطاب وكان الحجاج يمن به على أهل العراق. ينظر: السرخسي، المبسوط، ج ٣، ص ٩٠.

(٨٢) الفرق: مكيال ضخم لأهل العراق. ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٥، ص ١٤٨.

(٨٣) الويبة: مكيال قدره خمسة ونصف صاع. ينظر: قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص ٥١١.

(٨٤) القفيز: مكيال يسع ثمانية مكاكيك. ينظر: المقريزي، الأوزان والأكيال، ص ٨٠.

(٨٥) العرق: من الأكيال المشهورة في صدر الإسلام وهو مكيال مدني يسع ١٥ صاعاً. ينظر: ابن الرفعة، الإيضاح، ص ٦٢.

(٨٦) المكتل: وعاء كبير يُكال به. ينظر: النووي، المجموع، ج ٦، ص ٣٣٣.

(٨٧) الاردب: مكيال ضخم لأهل مصر. ينظر: ابن الرفعة، الإيضاح والتبيان، ص ٧٣.

(٨٨) الجريب: مكيال يسع أربعة أقفزة. ينظر: عبد المنعم، معجم المصطلحات، ج ٣، ص ٣٤٢.

(٨٩) الوسق: مكيال يسع ستين صاعاً. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ٢١٠.

(٩٠) الكر: مكيال لأهل العراق. ينظر: ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ١٦٢.

(٩١) القفل: مكيال ضخم يسع ٣٣ مداً. ينظر: السهيلي، الروض الأنف، ج ١، ص ٨٢.

(٩٢) الحلاب: مكيال يسع حلبة ناقة. ينظر: الهروي، الغريبين، ج ١، ص ٣٥٠.

(٩٣) الحس: مكيال يسع ثمانية أرطال. ينظر: الطحاوي، شرح معاني الأثار، ج ٢، ص ٤٨.

(٩٤) السندرة: مكيال كبير. ينظر: الزمخشري، الفائق، ج ١، ص ٢٣٢.

(٩٥) الفالج: مكيال ضخم أصله سرياني. ينظر: أبو عبيد، غريب الحديث، ج ٣، ص ٢٣٨.

(٩٦) الرطل: يكال به. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٢٨٥.

(٩٧) مكيال تُكال به الغلات. ينظر: ابن ماكولا، إكمال الكمال، ج ٧، ص ١٣٧.

(٩٨) الملحم: مكيال يسع صاعين ونصف. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠.

(٩٩) المن: مكيال. ينظر: ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٢٦٤.

(١٠٠) ذكرهما الجاحظ. ينظر: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٠١) الهشامي: مُد أحدثه الخليفة هشام بن عبد الملك يزيد على مُد النبي ثلثي مد. ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٧٤.

(١٠٢) النصيف: مكيال يسع نصف مد. ينظر: قلعجي، معجم لغة الفقهاء، ص ٤٨١.

(١٠٣) العَزَفي، إثبات، ص ١٢٥.

(١٠٤) العَزَفي، إثبات، ص ١٢٥.

(١٠٥) سورة المطففين، آية ٣.

(١٠٦) الطبري، جامع البيان، ج ٣٠، ص ١١٣.

(١٠٧) العزفي، إثبات، ص ١٢٥.

(١٠٨) المقريزي، الأوزان، ص ٧٧.

(١٠٩) مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٠٩٠.

(١١٠) العزفي، إثبات، ص ١٢٦.

آراء العزفي في وحدات الكيل الإسلامية

(١١١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩. الجزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ١٨٨. ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٠٢.

(١١٢) عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينَوَريّ، أبو محمد، من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد سنة ٢١٣هـ، وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. له مصنفات كثيرة، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هــ. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٥١.

(١١٣) الجزفي، إثبات، ص ٤١ _ ٤٢. القاضي عياض، مشارق الأنوار، ج ١، ص ٣٧٥.

(١١٤) الأموال، ص ٥١٢. ينظر: مسلم، صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٥٨.

(١١٥) م، ن، ص ٥١٣. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ١، ص ٨٤.

(١١٦) م، ن، ص ٥١٥.

(١١٧) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٧٤.

(١١٨) الجزفي، إثبات، ص ١٢٦.

(١١٩) الإمام الحافظ اللغوي حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي أبو سليمان، له مصنفات عدة، توفي سنة ٣٨٨هـ. ينظر: الذهبي، سير، ج ١٧، ص ٢٣.

(١٢٠) الجزفي، إثبات، ص ١٢٦.

(١٢١) الجزفي، إثبات، ص ١٢٦. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٤، ص ١٩٥.

(١٢٢) الجزفي، إثبات، ص ١٢٠.

(١٢٣) الجزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩. المقريزي، الأوزان، ص ٧٠. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٥٨.

(١٢٤) الأموال، ص ٥١٣.

(١٢٥) الجزفي، إثبات، ص ١٢٧.

(١٢٦) الجزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٥٨.

(١٢٧) الجزفي، إثبات، ص ١٢٧.

(١٢٨) الجزفي، إثبات، ص ١٢٧.

(١٢٩) الجزفي، إثبات، ص ١٢٧. ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٦.

(١٣٠) مفاتيح العلوم، ص ٢٠. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٩.

(١٣١) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٧١.

(١٣٢) ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٣١. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٥٩.

(١٣٣) الجزفي، إثبات، ص ١٢٨. المقريزي، الأوزان، ص ٦٩. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٥٩.

(١٣٤) الجزفي، إثبات، ص ١٢٨.

(١٣٥) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ١٩. ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٥.

(١٣٦) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٥٩.

(١٣٧) الأموال، ص ٥١٧. ينظر: المقريزي، الأوزان، ص ٦٩. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٥٦٠.

(١٣٨) الجزفي، إثبات، ص ٤٢ _ ٤٣.

(١٣٩) الجزفي، إثبات، ص ٥٩ و ١٢٨. ينظر: الطحاوي، شرح معاني الآثار، ج ٢، ص ٤٨٧. ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج ١، ص ٣٧١. العيني، عمدة القاري، ج ٣، ص ٩٦. المباركفوري، تحفة الأحوذي، ج ١، ص ١٥٣.

(١٤٠) سعد بن مالك بن سنان الخدريّ الأنصاري الخزرجي، أبو سعيد، صحابي، كان من ملازمي النبي صلى الله عليه وسلّم وروى عنه أحاديث كثيرة. غزا اثنتي عشرة غزوة، توفي في المدينة سنة ٧٤هـ. ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٣، ص ٤٧٩.

(١٤١) أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٦. ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٥٤٠. مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧٣.

(١٤٢) م، ن. الجزفي، إثبات، ص ٥٩.

(١٤٣) المكاييل والأوزان، ص ٧٤.

(١٤٤) الجزفي، إثبات، ص ١٢٨.

(١٤٥) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢١.

(١٤٦) العزفي، إثبات، ص ١٢٨ _ ١٢٩. ينظر رأي الخطابي في معالم السنن، ج ٢، ص ١٤.

(١٤٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠.

(١٤٨) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٩. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٧٨.

(١٤٩) العزفي، إثبات، ص ١٢٨ - ١٢٩.

(١٥٠) ينظر: أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٦. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣. العزفي، إثبات، ص ١٢٩. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٦٧.

(١٥١) العزفي، إثبات، ص ١٢٩.

(١٥٢) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، أبو عثمان، أديب مشهور، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده بالبصرة سنة ١٦٣هـ. توفي سنة ٢٥٥هـ. ينظر: ياقوت، إرشاد الأريب، ج ٦، ص ٥٦.

(١٥٣) مكيال يُنسب إلى والي البصرة زياد بن أبيه. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج ٣، ص ٢١٩.

(١٥٤) الفالج: مكيال معروف. ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ١، ص ٤٨٨.

(١٥٥) مكيال يُنسب إلى والي العراق خالد بن عبد الله القسري. ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٥٦) ينظر: نص الجاحظ في: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥٧.

(١٥٧) العزفي، إثبات، ص ١٢٩ _ ١٣٠.

(١٥٨) جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٧٨٥.

(١٥٩) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٢، ص ٧٨٥. ينظر: المقريزي، الأوزان، ص ٧٠.

(١٦٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٠. المقريزي، الأوزان، ص ٧٠. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٣٨.

(١٦١) أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٨ و ٥١٩. المقريزي، الأوزان، ص ٧٠. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٤ _ ٦٥.

(١٦٢) العزفي، إثبات، ص ١٣٠.

(١٦٣) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٨٠.

(١٦٤) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٤٨٧.

(١٦٥) العزفي، إثبات، ص ١٣١.

(١٦٦) العزفي، إثبات، ص ١٣١. ينظر: المقريزي، الأوزان، ص ٨٠.

(١٦٧) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٤٩. هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٦.

(١٦٨) أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٦. ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣.

(١٦٩) الأموال، ص ٥١٨.

(١٧٠) ينظر: أبو يوسف، الخراج، ص ١٢٢.

(١٧١) أبو عبيد، الأموال، ص ٥١٨.

(١٧٢) المصدر نفسه.

(١٧٣) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٦.

(١٧٤) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٨٦.

(١٧٥) سعيد بن المسيب: فقيه وصفه عبد الله بن عمر بأنه أحد المفتين. ينظر: البسوي، المعرفة والتاريخ، ص ٤٦٨.

(١٧٦) مالك، الموطأ، ص ٢٧٩. ينظر: العزفي، إثبات، ص ١٣١.

(١٧٧) العزفي، إثبات، ص ١٣١. ينظر: المقريزي، الأوزان، ص ٧٩.

(١٧٨) العزفي، إثبات، ص ١٣١.

(١٧٩) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٤٣٦.

(١٨٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٢. المقريزي، الأوزان، ص ٨٠. الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٤.

(١٨١) أبو عبيد، الأموال، ص ٧٧ _ ٧٨.

(١٨٢) المكاييل والأوزان، ص ٥٨.

(١٨٣) صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٤٥.

(١٨٤) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٥٨.

(١٨٥) العزفي، إثبات، ص ١٣٢.

(١٨٦) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٩٦.

(١٨٧) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٩٣.

(١٨٨) أبو عبيد، الأموال، ص ٢٦٠.

(١٨٩) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦١ .

(١٩٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٢ . ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠ . ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٣٢ .

(١٩١) العزفي، إثبات، ص ١٣٢ . ابن سيده، المخصص، ج ٣، ص ٣١٥ .

(١٩٢) سورة الانشقاق، آية ١٧ .

(١٩٣) الطبري، جامع البيان، ج ٣٠، ص ١٤٩ .

(١٩٤) جمهرة اللغة، ج ٣، ص ٤٤ .

(١٩٥) أبو يوسف، الخراج، ص ٥٣ . ابن ادم، الخراج، ص ١١٣ و ١٢٢ . أبو عبيد، الأموال، ص ٤٧٥ . العزفي، إثبات، ص ٥٥ و ٥٦ و١٣٢ و ١٣٣ .

(١٩٦) البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٢٥ . مسلم، صحيح، مسلم، ج ٣، ص ٦٦ .

(١٩٧) أبو عبيد، الأموال، ص ٤١٦ . ينظر: البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٥٤٠ . مسلم، صحيح مسلم، ج ٢، ص ٦٧٣ .

(١٩٨) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٧٩ .

(١٩٩) العزفي، إثبات، ص ١٣٣ . ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠ .

(٢٠٠) العزفي، إثبات، ص ١٣٣ .

(٢٠١) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ج ٢٠ .

(٢٠٢) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٦٩ .

(٢٠٣) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٨٤ .

(٢٠٤) الهروي، الغريبين، ج ٥، ص ١٥٨٩ .

(٢٠٥) العزفي، إثبات، ص ١٣٣ .

(٢٠٦) المعجم الاقتصادي، ص ٤٤٤ .

(٢٠٧) العزفي، إثبات، ص ١٣٧ .

(٢٠٨) صحيح البخاري، ج ١، ص ٦٩ .

(٢٠٩) العزفي، إثبات، ص ١٣٣ _ ١٣٤ .

(٢١٠) الهروي، الغريبين، ج ٢، ص ٤٧٩ . ينظر: العزفي، إثبات، ص ١٣٤ .

(٢١١) العزفي، إثبات، ص ١٣٤ .

(٢١٢) البخاري، صحيح، ج ٤، ص ١٩٥ . ابن حجر، فتح الباري، ج ٧، ص ٢٨ .

(٢١٣) العزفي، إثبات، ص ١٣٥ .

(٢١٤) العزفي، إثبات، ص ١٣٥ .

(٢١٥) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٢٢٨ .

(٢١٦) العزفي، إثبات، ص ١٣٥ .

(٢١٧) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٣٣٥ .

(٢١٨) العزفي، إثبات، ص ١٣٥ .

(٢١٩) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٢٠ .

(٢٢٠) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ١٩٥ .

(٢٢١) العزفي، إثبات، ص ١٣٥ .

(٢٢٢) أبو عبيد، الأموال، ص ٥٢٠ .

(٢٢٣) العزفي، إثبات، ص ١٣٦ . الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٤٤٤ .

(٢٢٤) هنتس، المكاييل والأوزان، ص ٤٥ .

(٢٢٥) الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ٤٤٤ .

(٢٢٦) العزفي، إثبات، ص ١٣٦ _ ١٣٧ .

(٢٢٧) العزفي، إثبات، ص ١٣٦ _ ١٣٧ .

(٢٢٨) ابن ملكولا، الإكمال، ج ٧، ص ١٠٧ .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ . إثبات ما ليس منه بد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تأليف: العزفي، أحمد بن محمد (ت٦٣٣هـ) . تحقيق: محمد الشريف (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٩٩٩م).

٢ . الإحاطة في أخبار غرناطة، تأليف: ابن الخطيب، محمد بن عبد الله (ت٧٧٦هـ) . تحقيق: محمد عبد الله عنان (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٣م).

٣ . الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تأليف: الماوردي، علي بن محمد (ت٤٥٠هـ) . دراسة وتحقيق: د . محمد جاسم الحديثي (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠١م).

٤ . اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تأليف: السبتي، محمد بن القاسم . تحقيق: عبد الوهاب منصور (الرباط، ١٩٨٣).

٥ . إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تأليف: ياقوت،

ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ) . (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د . ت).
٦. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تأليف: المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ). (الرباط، إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧٨م).
٧. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تأليف: السلاوي، أحمد بن خالد (ت١٣١٥هـ). تحقيق: جعفر ومحمد السلاوي (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٥٤م).
٨. الأعلام، تأليف: محمود الزركلي . (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م).
٩. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، تأليف: السلامي، العباس بن إبراهيم. (الرباط، المطبعة الملكية، ١٩٩٣م).
١٠. إكمال الإكمال، تأليف: ابن نقطة، محمد بن عبد الغني (ت٦٢٩هـ) . تحقيق: د . عبد القيوم عبد الرب (مكة المكرمة، ١٤١٠هـ).
١١. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تأليف: ابن ماكولا، علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ). تحقيق: عبد الرحمن ابن يحيى المعلمي (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ١٩٦١م).
١٢. إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تأليف: المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٥٤هـ) . تحقيق: محمد عبد الحميد (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م).
١٣. الأمـــوال، تأليف: أبـو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ). تتحقيق: محمد خليل هراس (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٦م).
١٤. الأوزان والأكيال الشرعية، تأليف: المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٥٤هـ) . تحقيق: سلطان بن هليل (بيروت، دار البشائر، ٢٠٠٧م).
١٥. إيضاح المكنون عن أسامي الكتب والفنون، تأليف: البغدادي، إسماعيل بن محمد . (بيروت، دار إحياء التراث العربي، د . ت).
١٦. الايضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان، تأليف: ابن الرفعة، أحمد بن محمد (ت٧١٠هـ). تحقيق: د . محمد أحمد (دمشق، دار الفكر، ١٩٨٠م).
١٧. برنامج التجيبي، تأليف: التجيبي، القاسم بن يوسف (ت٧٣٠هـ). تحقيق: عبد الحفيظ منصور (تونس، الدار العربية للكتاب، ١٩٨١م).
١٨. برنامج شيوخ ابن أبي الربيع، تأليف: ابن الشاط، قاسم بن عبد الله (ت٧٢٣هـ). (الرباط، ٢٠١١م).
١٩. برنامج شيوخ الرعيني، تأليف: الرعيني، علي ابن محمد (ت٦٦٦هـ) . تحقيق: إبراهيم شبوح (دمشق، ١٩٦٢م).
٢٠. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (صيدا، المكتبة العصرية، د . ت).
٢١. البيان والتبيين، تأليف: الجاحظ، عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ).تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٩٨م).
٢٢. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تأليف: ابن عذاري، أحمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ). تحقيق: ج . س. كولان وليفي بروفنسال (بيروت، دار الثقافة، د . ت).
٢٣. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ).تحقيق: د . بشار عواد معروف (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م).
٢٤. تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).تحقيق: محمد علي (بيروت، المكتبة العلمية، د . ت).
٢٥. تحفة الأحـوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: المباركفوري، محمد عبد الرحمن. (بيروت، دار الكتب العلمية، د . ت).
٢٦. تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تأليف: الخزاعي، علي بن محمد (ت٧٨٩هـ).تحقيق: د . إحسان عباس (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٥هـ).

٢٧. تذكرة الحفاظ، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ).تصحيح: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧هـ).

٢٨. التشوف إلى رجال التصوف، تأليف: التادلي، يوسف بن يحيى (ت١٢٢٠هـ). تحقيق: أحمد التوفيق (الدار البيضاء، ١٩٩٧م).

٢٩. التكملة لكتاب الصلة، تأليف: ابن الآبار، محمد ابن عبد الله (ت٦٥٨هـ). تحقيق: د. عبد السلام الهراس(بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م).

٣٠. تهذيب التهذيب، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).(بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤م).

٣١. توضيح المشتبه، تأليف: ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله (ت٨٤٢هـ).تحقيق: محمد نعيم (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م).

٣٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف: الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ).تصحيح: صدقي جميل العطار (بيروت، دار الفكر، ١٩٨٥م).

٣٣. جمهرة اللغة، تأليف: ابن دريد، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ).تحقيق: عبد السلام محمد هارون (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٥م).

٣٤. الخراج، تأليف: ابن آدم، يحيى بن آدم (ت٢٠٣هـ). تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م).

٣٥. الخراج، تأليف: أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ).تحقيق: أحمد محمد شاكر (بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٩م).

٣٦. درة الحجال في أسماء الرجال، تأليف: المكناسي، أحمد بن محمد (ت١٠٢٥هـ).(القاهرة، مكتبة التراث، د. ت).

٣٧. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تأليف: المراكشي، محمد بن محمد (ت٧٠٣هـ).تحقيق: د.إحسان عباس، د.محمد بن شريفة، د.بشار عواد معروف (تونس، دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢م).

٣٨. الروض الأنف في شرح سيرة النبي ﷺ لابن هشام، تأليف: السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله (ت٥٨١هـ).تحقيق: مجدي منصور (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت).

٣٩. الروض المعطار في خبر الأقطار، تأليف: الحميري، محمد بن محمد (ت٩٠٠هـ).تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، مطابع هيدلبرغ، ١٩٨٤م).

٤٠. سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ).تحقيق: شعيب الارناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م).

٤١. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تأليف: الزرقاني، محمد بن عبد الباقي (ت١١٢٢هـ). (القاهرة، مطبعة الاستقامة، ١٩٥٤م).

٤٢. شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن بطال، علي بن خلف (ت٤٤٩هـ).تحقيق: ياسر إبراهيم (الرياض، مكتبة الرشد، ٢٠٠٣).

٤٣. شرح معاني الآثار، تأليف: الطحاوي، أحمد بن محمد (ت٣٢١هـ).تحقيق: محمد زهري النجار (القاهرة، مطبعة الأنوار المحمدية، د. ت).

٤٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تأليف: القلقشندي، أحمد بن علي (ت٨٢١هـ).(القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٥م).

٤٥. الصحاح، تأليف: الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ).تحقيق: أحمد عبد الغفور (بيروت، دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ).

٤٦. صلة الخلف بموصول السلف، تأليف: الروداني، محمد بن سليمان (ت١٠٩٤هـ).تحقيق: محمد حجي (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٨م).

٤٧. صحيح البخاري، تأليف: البخاري، محمد بن إسماعيل بن (ت٢٥٦هـ).مراجعة: د. مصطفى ديب (بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م).

٤٨. صحيح مسلم، تأليف: مسلم، مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٤م).

٤٩. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تأليف: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ). (بيروت، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م).

٥٠. عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، تأليف: العيني، محمود بن أحمد (ت٨٥٥هـ). (بيروت، دار إحياء التراث، د. ت).
٥١. العين، تأليف: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ).تحقيق: د. إبراهيم السامرائي ود. مهدي المخزومي القاهرة، دار مكتبة الهلال، د. ت).
٥٢. غريب الحديث، تأليف: أبو عبيد، القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ).تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦هـ).
٥٣. الغريبين في القرآن والحديث، تأليف: الهروي، أحمد بن محمد (ت٤٠١هـ).تحقيق: أحمد فريد (الرياض، مكتبة نزار مصطفى، ١٩٩٩م).
٥٤. الفائق في غريب الحديث، تأليف: الزمخشري، محمود بن عمر (ت٥٣٨هـ).تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت، دار المعرفة، د.ت).
٥٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).(بيروت، دار المعرفة، د. ت).
٥٦. فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تأليف: الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير .تحقيق: د. احسان عباس (بيروت، دار الغرب الاسلامي، ١٩٨٢م).
٥٧. قوت المغتذي على جامع الترمذي، تأليف: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). تحقيق: د. ناصر محمد (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٨م).
٥٨. الكامل في التاريخ، تأليف: ابن الأثير، علي بن محمد (ت٦٣٠هـ).تحقيق: عبد الله القاضي(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م).
٥٩. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تأليف: التنبكتي، أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ). تحقيق: محمد مطيع (الرباط، ٢٠٠٠م).
٦٠. لب اللباب في تحرير الأنساب، تأليف:السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ). (بيروت، دار صادر، د. ت).
٦١. لسان العرب، تأليف: ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ).(بيروت، دار صادر، ١٩٥٧م).
٦٢. المبسوط، تأليف: السرخسي، محمد بن أحمد (ت٤٨٣هـ).تصحيح جماعة من العلماء (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ).
٦٣. المجمع المفهرس للمعجم المؤسس، تأليف: ابن حجر، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ).تحقيق: د. يوسف عبد الرحمن (بيروت، دار المعرفة، ١٩٩٢م).
٦٤. المجموع شرح المهذب، تأليف: النووي، يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ).(القاهرة، مطبعة الإمام، د. ت).
٦٥. المخصص، تأليف: ابن سيده، محمد بن الحسن (ت٣٢١هـ).تحقيق: رمزي منير (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م).
٦٦. المستخرج على المستدرك، تأليف: العراقي، عبد الرحيم بن الحسين (ت٨٠٦هـ).تحقيق: محمد عبد المنعم (القاهرة، ١٩٩٠م).
٦٧. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، تأليف: القاضي عياض، عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ). (بيروت، المكتبة العتيقة، د. ت).
٦٨. معالم السنن، تأليف: الخطابي، أحمد بن محمد (ت٣٨٨هـ).(حلب، المطبعة العلمية، ١٩٣٢م).
٦٩. المعجم الاقتصادي الإسلامي، تأليف: الدكتور أحمد الشرباصي .(بيروت، دار الجيل ،١٩٨١م).
٧٠. معجم البلدان، تأليف: ياقوت، ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ).(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٩م).
٧١. معجم لغة الفقهاء، تأليف: الدكتور محمد رواس قلعجي والدكتور حامد صادق . (بيروت، دار النفائس، ١٩٨٨م).
٧٢. معجم المؤلفين، تأليف: الدكتور عمر رضا كحالة .(بيروت، دار إحياء التراث العربي ،١٩٥٧م).
٧٣. معجم المفسرين من صدر الإسلام، تأليف: عادل نويهض .(بيروت، مؤسسة نويهض الثقافية ، ١٩٨٨م).

٧٤. المعرفة والتاريخ، تأليف: البسوي، يعقوب بن سفيان (ت٢٧٧هـ).تحقيق: د. أكرم ضياء العمري (المدينة المنورة، مكتبة الدار، ١٤١٠هـ).

٧٥. مفاتيح العلوم، تأليف: الخوارزمي، محمد بن أحمد (ت٣٨٧هـ).تقديم: د. عبد اللطيف محمد العبد (القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٧م).

٧٦. المكاييل والأوزان الإسلامية، تأليف: تأليف فالتر هنتس. ترجمة: د. كامل العسلي (عمان، ١٩٧٠م).

٧٧. الموطأ، تأليف: مالك، مالك بن انس (ت١٧٩هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥م).

٧٨. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تأليف: المقري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ).تحقيق: د. إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م).

٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: ابن الأثير، المبارك بن محمد (ت٦٠٦هـ).تحقيق: طاهر أحمد ومحمود محمد (القاهرة، المكتبة الإسلامية، ١٩٦٣م).

٨٠. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تأليف: التنبكتي، أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ).(طرابلس، ١٩٨٩م).

٨١. الوافي بالوفيات، تأليف: الصفدي، خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ).تحقيق: أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م).

٨٢. ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين، تأليف: محمد المنوني.(الرباط، ١٩٨٥م).

٨٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تأليف: ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ).تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٤٨م).



رسالة في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف لمؤلف مجهول

دراسة وتحقيق

د. محمد الزاهي (تونس)

مقدمة التحقيق

تحتفظ مكتبة الدولة ببرلين بنسخة من رسالة متوسطة الحجم عنوانها: "كتاب في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف" لمؤلف مجهول.

وتعود هذه الرسالة إلى الفترة المملوكيّة، وهي الفترة التي كانت فيها مصر بيد طائفة المماليك الذين قبضوا على البلاد بيد من حديد.

وقد ارتأينا أن نمهّد لهذا العمل بتقديم نبذة مختصرة عن هذه الفترة التي امتدت من سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م إلى سنة ١١٢٧هـ/١٥١٧م، وعن السلطان قانصوه الغوري إذ الرسالة كتبها مؤلفها ليقدّمها إلى خزانته.[1]

والمماليك هم في الأصل عبيد تعود أصولهم إلى آسيا الوسطى وإلى بلاد الصقالبة، وهم في الغالب أطفال مخطوفون في غارات لصوصيّة أو مشترون من سوق النخاسة ويتمّ جلبهم إلى بلاطات الأمراء والملوك، وتقع تربيتهم وفق قواعد صارمة في ثكنات معزولة وفي مدارس الحرب ويدرّبهم معلّمو الفروسيّة ومدرّبو القتال ويلقّنونهم فنون الحرب والقتال والضرب بالسيوف ورمي السهام ليتخرّجوا وهم على مستويات عالية من المهارة القتالية. ثمّ يقع تدريبهم على أمور القيادة ووضع الخطط الحربية والحيل والتسيير الإداري. وقد كان الملوك والسلاطين لا يتعاملون من هؤلاء المماليك كرقيق أو عبيد بل كانوا يعاملونهم معاملة طيّبة تعتمد على العطف وليس على القهر والاستغلال ليتخذوهم فيما بعد أنصارا لهم باعتبارهم أدوات عسكرية هامة لقهر الأعداء والتغلب على المناوئين، ويرقّوّن أحيانا إلى الوظائف السامية في الدولة.

وإضافة إلى التكوين العسكري فقد كانوا ينالون أيضا تكوينًا دينيًا وعلميًّا في البلاطات على يد مؤدّبين وفقهاء خصوصيين. ففي المرحلة الأولى يتعلّم المملوك اللغة العربية قراءة وكتابة ثمّ بعد ذلك يدفع به إلى من يعلّمه القرآن الكريم، ثمّ يبدأ في تعلّم مبادئ الفقه الإسلامي وآداب الشريعة الإسلامية.

(١) حول فترة حكم المماليك بمصر والسلاطين الذين تناوبوا على حكمها يراجع ذلك بتفصيل في:

- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفى وموريتس سوبرنهايم، مطبعة الدولة، اسطنبول ١٩٣١ وطبعة القاهرة ١٩٣١.
- الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقي الدين المقريزي، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨، ج ٣، ص ١٢٢ فما بعدها.
- السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي، من الجزء السابع إلى آخر الأجزاء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢.

رسالة في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف لمؤلف مجهول

ويدرّب على الصلاة وكذلك على الأذكار النبويّة. ويُراقَب المملوك مُراقبة شديدة من مؤدّبيه ومُعلّميه.

إن جلب المماليك وتدريبهم وتكوينهم للاستعانة بهم هو تقليد معروف منذ العهد العباسي، فقد جلب العباسيون الألوف من العبيد من قبائل التركمان والمغول واستخدموهم حرسًا لهم ومادّة لجيوشهم. فقد استجلب المأمون الذي حكم من سنة ١٩٨هـ/٨١٣م إلى سنة ٢١٨هـ/٨٣٤م وكذلك أخوه المعتصم الذي حكم من بعده إلى سنة ٢٧٧هـ/٨٩٠م أعدادًا كبيرة من التركمان واعتمدا عليهم بعد تكوينهم لتدعيم نفوذهما وتعزيز حكمهما بعدما فقدا الثقة في العرب والفرس. كما استجلبهم الطولونيون والإخشيد والفاطميّون.

وبدأ الظهور القوي للمماليك في مصر مع الأيوبيين، وهم الغرباء عن مصر والمحتاجون إلى تعزيز دورهم فيها بأمثالهم الغرباء. فقد اعتمد الأيوبيون كثيرًا على المماليك ودعّموا بهم جيوشهم وبخاصة في عهد الملك الصالح نجم الدين أيّوب بعدما خرج عنه الخوارزمية المرتزقة فاضطرّ إلى الإكثار من المماليك وأسكنهم في جزيرة الروضة ليكونوا بعيدين عن المدينة وأصبحوا يعرفون بالمماليك البحرية.

وبدأ نفوذ المماليك يقوى شيئًا فشيئًا في مصر بعد توران شاه بن نجم الدين أيوب. فقد انشغل توران شاه باللهو وأساء معاملة قادة الجيش من المماليك الذين كانوا عضدا لأبيه، كما أساء أيضًا إلى زوجة أبيه شجرة الدرّ التي تحالفت مع فارس الدين أقطاي وركن الدين بيبرس وقلاوون الصالحي وأيبك التركاني على قتله ذبحا سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، وبقتله انتهى حكم الأيوبيين بمصر ليُفسح المجال أمام المماليك. وانتخب رؤساء المماليك الأمير أيبك التركماني ليدير شؤون البلاد، واكتفى في بداية الأمر بأن يحكم باسم شجرة الدرّ (زوجة سيده الصالح أيوب)، إلاّ أنّ الخليفة العباسي رفض أن تتولّى الحكم إمرأة ولو صوريًّا، فتزوّجها أيبك.

وبعد انتصاره على ناصر الدين الأيوبي وتنكيله بالكثير من المماليك أصبح أيبك سلطانًا على مصر لا ينازعه فيها منازع. وبعد قتله نصّب أمراء المماليك ابنه الأصغر سلطانًا على البلاد. ثمّ خلع قطز السلطان الصغير واستولى على الحكم وجهّز جيشًا نحو عكّا ودارت الحرب بين المسلمين والمغول في عين جالوت، وقد كان لبيبرس، أحد المماليك الفارّين من أيبك، دور في هذا الانتصار.

إلاّ أنّ العلاقة ساءت بين قطز وبيبرس وانتهت هذه العلاقة باغتيال قطز في أكتوبر ٦٥٨هـ/١٢٦٠م، وأعلن بيبرس ولايته على البلاد ودخل القاهرة وأقيمت له الزينة والولائم. وهو أوّل سلاطين دولة المماليك البحرية الذين تربعوا بمصر. وأوّل عمل قام به لإضفاء الشرعية على حكمه هو إرجاع المكانة للخلافة لاتّقاء المدّ الشيعي. فأحضر الخليفة إلى القاهرة في موكب حافل ليتقلّد بيبرس سلطنة البلاد.

وقد توالى على حكم مصر من المماليك البحرية تسعة وعشرون سلطانًا آخرهم الصالح زين الدين حاجي الذي خلع سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، وانتهى بذلك حكم المماليك البحرية لتحكم بعدها أسرة المماليك البرجية نسبة إلى الأبراج التي كانوا يقطنونها في القلعة، وينتسب معظمهم إلى الجنس الجركسي. وقد امتدّ حكمهم من سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م إلى سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م، وأشهرهم الظاهر سيف الدين برقوق

وابنه الناصر فرج والأشرف برسباي والأشرف قانصوه الغوري وآخرهم الأشرف أبو النصر طوماى باى. وطيلة فترة حكمهم قبض المماليك على مصر بيد من حديد لِما عُرفوا به من بطش وقسوة ومكر وتنكيل وظلم. ولكن فترتهم عرفت انتصارات جمّة على مغول والتتار والصليبيين. ووقفوا سدًّا منيعًا لصدّ هجمات هذه القوى المعادية لبلاد المسلمين.

وإضافة إلى المجال الحربي والعسكري فقد كان للمماليك إنجازات حضارية كثيرة في مختلف مجالات الحياة. ففي المجال العلمي سعوا إلى تقريب العلماء وتشجيعهم فحفل عصرهم بأكبر المؤرخين والموسوعيين والمؤرخين الكبار وشيّدوا المدارس الفخمة والمساجد المعتبرة. وفي مجال الفنون والعمارة فقد كان لهم طراز متميّز في الفنون وخاصّة الحفر على الخشب والتصوير والزخرف.

وحبّسوا الأموال على الخيرات وبنوا ملاجئ الأيتام وأصلحوا الثغور والمعاقل وحصّنوا البلاد وحضروا الترع وبنوا الجسور. وطوّروا الدواوين الإدارية القديمة وابتكروا أخرى جديدة وغيرها من الإنجازات.

وقد تطلّب ذلك منهم الأموال الطائلة فسلّطوا على الرعية ألوانًا من المظالم وامتصوا دماء الأهالي واستولوا على إقطاعات الدولة وطمعوا في ريع الأوقاف وأموال الأيتام، ونكّلوا بعلماء الشرع الذين وقفوا ضدّهم، وتدخّلوا في الوظائف الشرعية كالقضاء والمظالم والحسبة وأسندوها إلى غير أهلها مقابل الأموال حتى يوفّروا المال لتشييد قصورهم والتفنّن في بناء المساجد والمدارس والتكايا وغيرها من العمائر التي لم يخل منها قرن من قرون حكمهم بمصر.

أمّا عن السلطان قانصوه، والذي قدّمت إليه هذه الرسالة، فهو الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغوري الأشرفي.[٢] هو مملوك شركسي خدم قايتباي، صار أمير عشرة ثمّ ترقّى إلى قيادة طرسوس وحلب وملطية ثمّ أميرًا لألف.

وتولّى السلطنة التي رفضها أوّل الأمر سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م بعد إلحاح الأمراء عليه. يقول ابن إياس: "ثمّ دقّت له البشائر بالقلعة ونودي باسمه في القاهرة، وارتفعت الأصوات له بالأدعية الفاخرة وزال من الشكوك والظنون وأقرت من الناس بسلطنته العيون".[٣]

اهتمّ بتدبير موارد الدولة وأراد أن يملأ الخزانة ففرض ضرائب إجبارية على كلّ أنواع الممتلكات ولم يستثن أملاك الوقف والخيرات، ولم يعرف هوادة ولا رفقًا في سبيل جباية هذه الضرائب الأمر الذي ولّد عدّة ثورات. فقد ذكر ابن إياس: "فكان يأخذ من ريع الأوقاف سنة كاملة ومن أجرة أملاك القاهرة من بيوت وربوع وحوانيت وحمّامات وغيطان ومراكب وغير ذلك، يأخذ منهم أجرة عشرة أشهر كاملة حتى من وقف البيمارستان المنصوري وسائر الأوقاف... وكتب المراسيم بمعنى ذلك إلى

(٢) انظر أخباره بتفصيل في: بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، ج٤، ط اسطنبول، وج٥، ط القاهرة.

(٣) بدائع الزهور لابن إياس، ج ٤، ص ص: ٤-٥.

ثغر الإسكندرية ودمياط حتى إلى دمشق وأعمالها وسائر البلاد الشامية".[٤]

وفي موضع آخر يدقّق ما آل إليه أمر الأهالي من هذه المظالم: "وأطلق في الناس جمر نار المصادرات وصار كلّ منهم في أليم الغمرات".[٥]

وقد صرف قانصوه هذه الأموال بسخاء على المماليك الذين ساعدوه في جمعها وشراء عدد كبير من المماليك الجدد.

كما صرف جزءًا من هذه الأموال على بعض الإنجازات. فحصّن الإسكندرية ومدينة رُشيد وحسّن مجاري المياه. وبنى مسجدًا فخمًا ومدرسة في القاهرة وأقام مباني جديدة في القلعة كما صرف أموالاً في تجميل مكّة المكرّمة وزيادة المياه في طريق الحاج.

وقد كان قانصوه الغوري مولعًا بالأدب والشعر والموسيلي، وتعاطى نظم الشعر والموشحات، وأحاط به الشعراء والمغنّين والقصاصين الذين احتشدوا في البلاط ونعموا بهباته الكثيرة التي لا تحصر.

وقد اهتمّ أيضا بالعلم والعلماء وقرّب البعض منهم وحرص على جمع المصنّفات في مجالات معرفية مختلفة ليثري بها خزانة كتبه التي حوت من دواوين العلم والأدب الشيء الكثير. وقد كان العلماء والأدباء في فترة حكمه يتسابقون لإتحافه بنسخهم الخزائنية من مصنّفاتهم.

وتوفي قانصوه بعد ستة عشر سنة من السلطنة وذلك سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م.

الرسالـة:

وموضوع الرّسالة واضح من عنوانها، دوّن فيها مؤلّفها كلّ ما يتعلّق بترتيب مملكة الديار المصرية في العهد المملوكي وما يتّصل بها من الأمراء والوظائف والرّتب والأركان ومستلزمات القصر بَدْءًا بالسلطان وعناصر ديوانه إلى أبسط موظّف في القلعة مقرّ الحكم. ومؤلّفها مجهول إذ لم نظفر بالمخطوط بأيّة إشارة توحي لنا من قريب أو من بعيد بمؤلّف هذه الرّسالة. إلاّ أنّ أسلوبها يوحي لنا بأنّ مؤلّفها لا يتقن العربيّة فلعلّه من مماليك السلطان قانصوه إذ أنّ العجمة ظاهرة وجليّة في بعض مواضع الرسالة، هذا إضافة إلى كثرة الأخطاء الإملائية والنحوية.

وللرسالة قيمة كبيرة إذ أطلعنا فيها مؤلّفها بكلّ التفاصيل الدقيقة عن سير دواليب الدولة المملوكيّة في مصر.

والتأليف في هذا الباب سابق لهذه الرسالة، وكان ذلك في صلب بعض الموسوعات التي تعرّضت أثناء حديثها عن مملكة الديار المصريّة إلى ذكر هذه الوظائف والمراتب والأركان مثل كتاب صبح الأعشى للقلقشندي وكتاب مسالك الأبصار في ممالك الأمصار وكتاب التعريف بالمصطلح الشريف وكلاهما لابن فضل الله العمري وكتاب زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك لابن شاهين وملخّصه "الصفوة في ترتيب المملكة المصرية" لمحمد أبي الفتح الصوفي وكتاب نهاية الأرب في

(٤) نفسه، ص: ١٥.

(٥) نفسه، ص: ١٦.

فنون الأدب للنويري.

إلاّ أنّ ما يميّز هذه الرسالة عن هذه المصنّفات المذكورة أنّها:

١ - طرقت هذا الموضوع في شكل مستقلّ ولعلّها الرسالة الوحيدة أو الكتاب الوحيد الذي كتب في هذا الموضوع في تلك الفترة الأمر الذي يكسبها قيمة وطرافة.

٢ - أنّ المؤلّف اتّبع منهجًا واضحًا ودقيقًا في تقديم المادة. فيذكر المفردة (أي المصطلح) ثمّ يقدّم شرحها تارة بتوسّع وأخرى بإيجاز مشيرًا أحيانًا إلى أصل الكلمة هل هي عربية أم فارسية أم تركية وهل هي مركّبة وموضحًا أيضًا ما شاع بين الناس من أوهام أو تحريف في النطق بها، مثال ذلك قول حول كلمة "دار" بالفارسية: "وكثير من الناس يظنون أنّها (أي دار) عربية بمعنى المُحْكم لدار السلطان وليس كذلك"، وغير ذلك كثير في الرسالة.

٣ - الإطناب في التّدقيق والوصف أحيانًا كحديثه عن عمامة الوزير وكيفية رفعها عن الكوفية وطريقة صنع هذه الأخيرة والمواد التي صنعت منها وكذلك العنبرانية والخُفّة ومواد صنع البيارق والسروج ومختلف الألوان وغير ذلك كثير، وهو ما لا نظفر به في المصادر الأخرى.

وقد بنى المؤلّف هذه الرسالة على مقدّمة موجزة جدًّا وفصل أوّل خصّصه للسلطان وجعله كما ذكر هو على عشرين بابًا وهي: - حلّة الملك التي يلبسها حين يعهد إليه بالسلطنة والعمامة المدوّرة وجبّة الحرير السوداء – سرير الملك – المقصورة – الدعاء على المنابر في الخطبة – وضع اسمه صكة على النّقود ورقم اسمه على قماش كسوة البيت الحرام – الغاشية – المظلة – الرقبة – الجفتاه – العصائب – الشّبّابة – الأوزان أو الأوصاب – الجاوشية – الطبردارية - نمجة الملك – الزردية – الكرّاتة – شقق الحرير – الجمقدار وأخيرا نوبة خلتون.

وبعد هذا الفصل الأوّل ذكر ثمانية مقاصد يمكن عدها أبوابًا أخرى للرسالة.

فالمقصد الأوّل خصّه لذكر أرباب السيوف، وخصّ المقصد الثاني للمماليك السلطانية، وهو مقصد غير تام لسقوط بعض الأوراق. المقصد الثالث وقد ذكر فيه أرباب الوظائف كالوزير والنائب الكافل والأمير الكبير والمشير وغيرهم. وقد خصّ المقصد الرابع إلى أرباب الوظائف من الأمراء العشرات في حين ذكر في المقصد الخامس أمراء الخمسات وفي المقصد السادس ذكر المشدّين الذين لم يكن بيدهم إمرأة كشادّ الدواوين وشادّ العمائر وغيرهما، وخصّ المقصد السابع إلى الجند من المماليك السلطانية وأرباب الوظائف المشهورة والمقصد الأخير خصّه لمهاترة البيوت.

وقد تعرّض المؤلّف في رسالته بعد ذلك إلى ذكر من يتولّى بالحضرة من أرباب الوظائف فذكر القضاء وقضاء العسكر وإفتاء دار العدل ثمّ التداريس بأنواعها ومشيخات الخوانق والخطابة والإمامة ثمّ نظر الوظائف الدينيّة وهي اثنا عشر وظيفة وهي نظر الأشراف والحسبة والأحباس والجوالي والكسوة والأوقاف ودار الضرب وخزائن السلاح والبيمارستان المنصوري والزردخانه والحرم الشريف والصندوق.

رسالة في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف لمؤلف مجهول

وختم المؤلّف رسالته بفصل ذكر فيه الوظائف الدينيّة المنفردة الخارجة عن الأنظار وذكر فيه: نقابة الأشراف – ووكالة بيت المال.

وقد قدّم المؤلّف هذه المادّة بأسلوب يتأرجح بين أنيق العبارة في بعض المواضع والعجمة التي تفقد النصّ أحيانًا رونقه.

هذا إلى الكثير من الأخطاء الإملائية واللغويّة والتعابير السقيمة كقوله: "وقد يجتمع خزندار العين وخزندار الصنف لواحد فرد، أو قوله: ولا كان يؤهّل للتقليد" وغيرها من التعابير.

أمّا عن مصادره لتدوين هذه الرسالة فقد ذكر المؤلّف مصدرين أساسيين هما: كتاب التعريف بالمصطلح الشريف وكتاب مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري للتعريف بهذه المصطلحات.

ولعلّ سبب عدم تكثيف المؤلف لهذه المصادر راجع إلى سببين: أوّلهما: ندرة المصادر في هذا الباب، أي المصطلحات المملوكيّة والثاني: أن مؤلّف الرسالة كان، على ما يبدو، من المماليك ونرجّح أنّه عون من أعوان الطاقم السلطاني ومُطّلع على كلّ أركان القصر ومن ثم فإنّه ملمّ بكلّ الدقائق والتفاصيل المتعلّقة بهذه الوظائف. وهذا ما أكسب هذه الرسالة قيمة.

والملاحظ أنّ المؤلّف في نقوله من هذين المصدرين لم يكن مجرّد ناقل بل تصرّف أحيانًا في عبارة النّصوص المقتطفة.

وإضافة إلى هذين المصدرين الأساسيين ذكر المؤلّف ثلاثة مصادر في ثلاث مناسبات: الأوّل كتاب الأحكام السلطانية للماوردي في حديثه عن القضاء وتفسير البغوي في حديثه عن نقابة الأشراف وكتاب صاحب حماة أبي الفداء المختصر في أخبار البشرأأت=.

أمّا طريقته في تقديم المادة أو تعريف المصطلح فإنّه يذكر المصطلح محدّدا أصله وأحيانًا مع الضبط التام لكلّ حروفه ثمّ شرح الوظيفة أو الرتبة ومكانة صاحبها في طاقم القصر السلطاني مدقّقًا صنف مرسوم تقليده.

النسخة الخطية لهذه الرسالة:

توجد من هذه الرسالة نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة الدولة ببرلين وتقع في ٥١ ورقة (وجه-ظهر) وهي نسخة خزائنية تعود إلى خزانة السلطان أبي النصر قانصوه الغوري مسطرتها: ٩، وعدد كلمات كلّ سطر يتراوح بين خمس وستّ كلمات، وهي نسخة مشكولة ولكن هذا الشكل لا يتوافق أحيانًا مع القواعد النحوية بل هو لمجرّد الزركشة. والنسخة مزخرفة بألوان يطغو عليها اللون الأزرق والبُنيّ وبخاصّة في الظهرية والورقة الأخيرة. وكتبت بدايات كلّ فقرة بالمداد الأحمر. والنسخة مراجعة وبها تصحيحات بالحاشية أشير إليها بعبارة "صح".

وقد ورد عنوانها في أعلى وأسفل الظهرية، أمّا التنصيص على انتسابها لخزانة السلطان قانصوه فقد ورد في وسط الظهرية في إطار دائري ملوّن متكوّن من إنصاف دوائر صغيرة. ونصّ العنوان هو:

• كتاب في ترتيب مملكة الديار المصريّة وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف •

أمّا نصّ انتسابها إلى خزانة قانصوه فهو:

• برسم خزانة المقام الشريف ملك البرّين والبحرين مولانا السلطان الملك الأشرف أبي النصر قانصوه الغوري عزّ نصره •

وورد في الورقة الأخيرة من المخطوط في شكل دائري متكوّن من أنصاف دوائر وملوّن باللون الأزرق هذا النصّ:

• خدمة المملوك كسباي من أقبردى من طبقة الرفرف بالميدان الملكي الأشرفي •

ودوّن أحد المستشرقين على الظهرية ما يدلّ على أنّ هذه النسخة قدّمت هدية إلى المملوك كسباي.

وهو من طبقة الرفرف، والطباق هي ثكنات المماليك بقلعة الجبل، وطبقة الرفرف هذه هي أولى هذه الطباق؛ لأنّها أقيمت فوق قصر الرفرف الذي عمّره الأشرف محمد بن قلاوون.

وقد سقطت بعض الأوراق من المخطوط في بعض المواضع من الرسالة وهي: بين الورقة ١٢ ظهر و١٣ وجه وبين الورقة ١٤ ظهر إلى ١٥ وجه وبين الورقة ٣٦ ظهر إلى ٣٧ وجه.

ونقدّر أن عدد هذه الأوراق الساقطة لا يتجاوز ثمانية أوراق وذلك لعدد الكلمات المحدود في الصفحة الواحدة.

وفيما يلي تفصيل لهذا السقوط:

- ورد في تعقيبة الورقة ١٢ ظهر عبارة: لانتشار، إلاّ أنّ الكلمة الأولى من الورقة ١٣ وجه هي: في التعريف، وهو ما يدلّ على أنّ المؤلّف كان ينقل من كتاب التعريف بالمصطلح الشريف للعمري.
- ورد في تعقيبة الورد ١٤ ظهر عبارة: مع، إلاّ أنّ الكلمة الأولى من الورقة ١٥ وجه هي: المال.

كما ورد في الورقة ١٤ ظهر ذكر السادس من أصحاب الوظائف المتّصلين بالسلطان وهو أمير مجلس، في حين أنّ في الورقة ١٥ وجه نجد ذكر الثامن من أصحاب هذه الوظائف وهو الدوادار ومن ثم سقطت الورقة المتضمنة بقية الحديث عن الرتبة السادسة وبداية الرتبة السابعة.

في الورقة ١٩ وجه يتحدث المؤلف في السطرين الأخيرين عن أتباع "أمير رأس نوبة النوب"، وذكر تابعه الأوّل وهو: رأس نوبة الميسر، ويقول في السطر الأخير من هذه الورقة حول هذا التابع: ... وله الحكم والتصرّف كالأمير رأس نوبة النوب...".

في حين أنّ في بداية الورقة ١٩ ظهر نجد: "ثمّ ثالث ورابع من الطبلاخانات والعشرات إلى نحو العشرين" وهذا الكلام لا علاقة له بما ورد في آخر الورقة ١٩ وجه. كما نجد في نفس الورقة ١٩ظ ذكر العاشر من أتباع أمير رأس نوبة النوب وبالتالي سقطت الأوراق المتعلّقة بالأتباع من الرقم ٢ إلى الرقم ٩.

- ورد في التعقيبة في الورقة ٣٦ ظهر: أما مذهب؛ أي أنّه سيذكر رأي فقهاء مذاهب أخرى حول مسألة تولّي القضاء، إلاّ أنّنا نجد في بداية الورقة ٣٧ وجه وقوله: "والقاضي مشتق من قضى الأمر"، وهو لا يتناسب مع ما سبق ذكره في الورقة السابقة.

عملنا في تحقيق هذا النص:

حرصنا كلّ الحرص على أن نثبت نصًّا صحيحًا كما أراده مؤلّفه. فأصلحنا الأخطاء اللغوية والإملائية التي شابت بعض فقرات النص أحلنا عليها في الهامش. وقد رجعنا إلى المصادر التي اعتمدها المؤلّف وقارنّا بين ما ورد فيها وما ورد في نصّ المخطوط وأحلنا على هذه المصادر بالجزء والصفحة، ولم نعرّف بالأعلام الواردة في النصّ وبخاصة السلاطين والخلفاء الذين تولوا حكم مصر إذ أنّ كتب التاريخ والحوليات بسطت القول حول سيرهم فاكتفينا بذكر مدّة حكمهم. وعرّفنا في بعض المواضع ببعض الأماكن كالمدارس والخوانق وبعض العبارات التي قدّرنا ضرورة التعريف بها.

كما اعتمدنا مصادر ومراجع وردت فيها المصطلحات المذكورة في المخطوط وأحلنا عليها ذلك تتميها للفائدة لمن أراد التوسّع فيها.

ونرجو بهذه المساهمة المتواضعة أنّنا وفقنا في تقديم نصّ طريف يتعلّق بالتنظيم الإداري لدولة المماليك بمصر وما التوفيق إلاّ من الله العلي القدير.

نماذج من المخطوط


كتاب في ترتيب مملكة الديار المصرية
وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف

ورقة العنوان (الظهرية)


بسم الله الرحمن الرحيم
اعلم أيدك الله أن أصل ترتيب مملكة
الديار المصرية مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببغداد
وعن ترتيب الفاطميين بمصر وعن الملوك
الأيوبية ذكر بعض المفسرين في سبب نزول
قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء
وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير
أن النبي صلى الله عليه وسلم وصف له ترتيب

الورقة الأولى من المخطوط



الورقة الأخيرة من المخطوط

نص الرسالة

[١ظ] بسم الله الرحمن الرحيم

إعلَم -أيّدك الله- أنّ أصْل ترتيب مملكة الديار المصريّة مأخوذ عن ترتيب الخلافة ببغداد وعن ترتيب الفاطميّين(٦) بمصر وعن الملوك الأيّوبيّة.(٧)

ذكر بعض المفسّرين في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾(٨) هو أنّ النبي – صلى الله عليه وسلّم – وُصِف له ترتيب [٢و] مملكة الأكاسرة فقال: اللّهمّ إجعلها لأمّتي، فحقّق الله لنا ذلك.

وانتقلت مملكة الأكاسرة إلى الخلفاء ببغداد ثمّ إلى الديار المصريّة. وفيها الآن بقايا ألفاظهم المفخّمة كطشْت خاناه وفرش خاناه وداوَدارٌ وسِلَحْدار ونحو ذلك. ولمّا حضر الفاطميون إلى الديار المصرية كان من ترتيبهم ما هو مُسْتَحْسن. ثمّ جاءت الدولة الأيّوبية بمحاسن في الترتيب. ثمّ انتقى ملوك التّرك من مذهب أولئك أحْسَنه، فهي الآن [٢ظ] أحسن الممالك ترتيبًا وأبْهجها مَنْظرًا وأكثرها إسلامًا وأشْجعها فُرسانا وأوحدها ظَفَرا ونُصْرة.

ويشتمل ذلك على عشرين بابًا.

الأوّل: خُلّة المَلِك التي يَلْبسها حين يُعْهد إليه بالسلطنة: وهي خُلّة سوداء وعمامة مُدَوّرة، لطيفة حرير بِعَذْبة قَدْر ذراع تُرْسَل من بين كتفيه.

وأوّل من لبس العمامة السوداء النبي –صلّى الله عليه وسلّم–. وحين لبْسه لها أرْخى طرفها بين كتفيْه.

ثمّ لبسها جماعة من الصحابة –رضي الله عنهم– منهم: عمّار بن ياسر(٩) [٣و] وقيس بن سعد بن عُبادة(١٠) وعبد الله بن عباس(١١) وقُثَم بن العباس.(١٢) وكُلّ منهم أرسل طرفها بين كتفيه. ثمّ تبعهم على

---

(٦) حكم الفاطميون مصر من سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م إلى سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م.

(٧) حكم الأيّوبيون مصر من سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م إلى سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م.

(٨) الآية: ٢٦، سورة: آل عمران.

(٩) عمار بن ياسر العنيفي المذحجي، كان من أقرب وأخبر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلّم. توفّي في معركة صفّين سنة ٣٧هـ/٦٥٧م. (الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي المالكي، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩هـ، ج٢، ص: ٤٦٩-٤٧٤ ؛ الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩هـ، ج٢، ص: ٥٠٥-٥٠٦).

(١٠) صحابي جليل من أكرم بيوت العرب وأعرقها نسبا. كان ملازما للرسول صلى الله عليه وسلّم توفّي سنة ٥٩هـ/٦٧٩م. (الاستيعاب، ج٣، ص: ٢١٦-٢٢٤ ؛ الإصابة، ج٣، ص: ٢٣٩).

(١١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ويلقّب بحبر الأمّة وفقيهها وترجمان القرآن. توفّي سنة ٦٨هـ/٦٨٧م. (الاستيعاب، ج٢، ص: ٣٤٢-٣٤٩ ؛ الإصابة، ج٢، ص: ٣٢٢-٣٢٦).

(١٢) قثم بن العباس بن عبد المطلب، استشهد بسمرقند سنة ٥٧هـ/٦٧٦م. (الاستيعاب، ج٣، ص: ٢٦٢-٢٦٧ ؛ الإصابة، ج٣، ص: ٢١٨-٢١٩).

ذلك الخلفاء العبّاسيون.

وجُبّة حرير سوداء واسعة الكُمّين يسيرًا. وأوّل من لَبِسها من الصحابة عبد الله بن العباس وقُثَم ابن العباس في وقعة الجمل. وتوارث الخلفاء العباسيون لبسها.

وأوّل سلطان لبس الحلّة السوداء بالديار المصرية الملك الظاهر بيبرس البُنْدُقداري(١٣) حين قدم عليه إلى الديار المصرية [٣ظ] من بغداد الإمام أمير المؤمنين المستنصر بالله(١٤) في عام تسع وخمسين وستمائة حين قلّد السلطة للظاهر.

وكانت فِرْجيّة(١٥) من الحرير الأسود بتركيبة من الزّرْكش(١٦) وعمامة سوداء وطوقًا من ذهب.

ومن إذ ذاك استقرّت حلّة الملك من غير زركش ولا طوق وسيف بدّاوي يُنْسَب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- بحِميلة يتقلّده من أعلا كتفه الأيمن إلى جانبه الأيسر كالعرب.

وأوّل من تقلّده الظاهر بيبرس مع الحلّة السّوداء. [٤و]

الثاني: سرير المُلك.(١٧) وهو من رسوم الملوك القديمة.

وأوّل من اتّخذ ذلك في الإسلام معاوية بن أبي سفيان في خلافته. ثمّ تنافس الخلفاء والملوك فيه حتّى كانت أسِرّة خلفاء بني العباس تبلغ سبعة أذرع.

ثمّ جُعِل الآن في القلعة الإيوان(١٨) من رخام نحوًا من سبعة أذرع. أمّا جلوس الملك بالقصر فإنّه يكون على كرسيّ من خشب لطيف دون الذّراعين، وفي غير القصر على كرسي لطيف من حديد يُنْقَل مع خادم، وربّما كان عِوَضه مُدوّرة.(١٩)

---

(١٣) تولى السلطنة من سنة ٦٥٩هـ/١٢٦٠م إلى سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م. (النجوم الزاهرة، ج٧، ص: ١٧٦ فما بعدها ؛ السلوك، ج١، ص: ٥٢٠ فما بعدها).

(١٤) تولى الخلافة من سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م إلى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م. (تاريخ الخلفاء للسيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مكتبة الشرق الجديد ببغداد ودار العلوم الحديثة ببيروت ١٩٥٢، ص: ٤٧٧-٤٧٨).

(١٥) الفرجيّة: وهي رداء يُلبس فوق سائر الثّياب أو يُلْقَى على الكتفين، وله طوق وأردان طوال، ويكون أحيانا مفرجا من الأمام من الأعلى إلى الأسفل ومُزرّرا بالأزرار. (انظر: المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، تأليف: د. حسّان حلاق ود. عباس صباغ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩، ص: ١٦٠).

(١٦) كلمة فارسية مركبة من "زر" بمعنى الذهب و"كش" بمعنى السحب. وفي الاصطلاح: قماش حواشيه مطرّزة بخيوط الذهب. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٥).

(١٧) انظر: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء للقلقشندي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢، ج٤، ص: ٦.

(١٨) الإيوان: قاعة كبيرة للاستقبال مربعة الشّكل تحيط بها الجدران من ثلاث جهات فقط. أمّا الرابعة فتكون مفتوحة. ويقال أيضا: ليوان. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٣٠).

(١٩) مصطلح يُطلق في العهد المملوكي للدّلالة على صدر المجلس أو الوطاق حيث يجلس السلطان أو الأمير. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٠٠).

[٤ظ] الثالث: المقصورة:(٢٠) وهي مقصورة بجامع الخطبة بالقلعة لا تفتح لغيره.

وأوّل من اتّخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان وقيل عثمان بن عفّان(٢١).

الرابع: الدّعاء على المنابر بعد الخليفة في الخطبة:

وأوّل من دُعِي له على المنابر مع الخليفة عضد الدولة البويهي(٢٢) في خلافة الطائع لله.(٢٣)

الخامس: وضع اسمه صَكَّة على النقود ورقْم اسمه على قماش كسوة البيت الحرام وعلى الأطرزة.(٢٤)

والصَكّة قديمة باسم الملوك قبل الإسلام. والرّقم منقول عن خلفاء الدولتين والفاطميّين.

السادس: [٥و] الغاشية:(٢٥)

وهي غاشية سَرْج متّخذة من أديم مزركشة بالذّهب يحملها بعض المهاترة(٢٦) بين يديه في المواكب الحفلة في طرقه يلفتها(٢٧) يمينا وشمالا.

السابع: المظلّة.(٢٨)

ويُعبّر عنها بالشّتْر(٢٩) وبعض الناس يسمّونها القُبّة. وهي من حرير أصفر خفيف مزركشة بالذّهب، على أعلاها طائر مُمَوّه على قُبّة مُمَوّهة تحمل على رأسه في المواكب الحفلة. ولا يؤهّل بحملها إلاّ ولد السلطان أو أخوه أو أتابك العساكر،(٣٠) وفي الشام وحلب نائبيّها.

الثامن: الرّقبة.(٣١)

وهي [٥ظ] مُتّخذة من قطعة حرير أصفر مزركشة بقدْر رَقَبة الفَرَس تُكْسى بها حين ركوب السّلطان عليها في المواكب الحفلة. وكانت الفُرْس تفعل ذلك.

---

(٢٠) حاجز خشبي يحيط بالمنبر والمحراب مُخصّص للسلطان وكبار رجال الدّولة في المسجد الجامع. (صبح الأعشى، ج٤، ص: ٧ - المعجم في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٠٧).

(٢١) في المخطوط: عمّار بن عثمان وهو سهو.

(٢٢) أبو شجاع فنّاخسرو ثاني ملوك بني بُويه، حكم من سنة ٣٣٨هـ/٩٤٩م إلى سنة ٣٧٢هـ/٩٣٨م.

(٢٣) تولّى الخلافة من سنة ٣٦٣هـ/٩٧٤م إلى سنة ٣٨١هـ/٩٩١م.

(٢٤) انظر: صبح الأعشى، ج٤، ص: ٧.

(٢٥) انظر: صبح الأعشى، ج٤، ص: ٧ - المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥٦.

(٢٦) مفرده: مهتار ومهتر وهي فارسيّة. وهو مصطلح يطلق في العهد المملوكي على كبير كلّ طائفة من غلمان المخازن السلطانية كمهتر الشرابخانة ومهتر الركاب خانة (انظر: المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية، ص: ٢١٠).

(٢٧) غير واضحة في المخطوط، وما أثبتناه فهو عن: صبح الأعشى.

(٢٨) انظر: صبح الأعشى، ج٤، ص: ٧–٨ ، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٦٠-٦١.

(٢٩) ويقال أيضًا: الجتر –بجيم مكسورة-.

(٣٠) هو أكبر الأمراء المُقدّمين بعد النائب في الدولة المملوكية. (انظر: صبح الأعشى، ج٤، ص: ١٨).

(٣١) انظر: صبح الأعشى، ج٤، ص: ٨.

التاسع: الجُفْتاه.[32]

وهما أوجاقيّان أشقران عليهما قباوان أصفران من حرير، وعلى كلّ منهما طِرْزًا[33] زركش وكُوفية زركش، وتحتهما فَرَسان قرطاسان[34] يركبا بين يديه في المواكب الحفلة بارْتِهاشاتٍ من زركش حتى يكون الملك في طرقهما جدارًا من جَفيرة يعْبر فيها فَرَس الملك.

العاشر: العصائب:[35]

وهي رايات من حرير مزركشة، وراية[36] في [٦و] رأسها خَصْلة من شعر ورايات صُفْر من حرير يسمّون الصّناجق.

وكان لِواء النبي –صلّى الله عليه وسلّم- أبيض.

الحادي عشر: الشّبّابة:

مُتّخذة من يراع يزيد عن شِبْر يُصَيّت بها بين يديه في المواكب الحفلة، وربّما كان عوضها بوق من فضّة أو نحاس يصيّت بها إذا كان الملك خارج القلعة.

الثاني عشر: الأوزان:

والرأي فيه مسوبه[37] - بالصاد-، وهي آلة أعجمية للطرب يضرب عليه في المواكب الحفلة. [٦ظ] والضارب به متكلّم بالتركية في شيء تواريخ الملوك السالفة وأصحاب الوقائع والشّجعان، وعلى نحو ذلك الشّعراء بالدّفّ والموصول والكمنجاه، وهم على نوْبتين في المواكب الحفلة.

الثالث عشر: الجاوشيّة:[38]

وهم أربع نفر من الجند فرسان يصيّتون بين يديّ الملك في المواكب الحفلة بالنوبة، وركوبهم وتصْييتهم على نوبتين:

(٣٢) كذا في المخطوط، وفي صبح الأعشى: الجُفته –من جُفْت (فارسية) أي: الزوج (التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري، عُني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨، ص: ٢٧٨ ؛ صبح الأعشى، ج٤، ص: ٨ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٦٣).

(٣٣) الطِّراز: الرداء المُغطّى بأشكال من التّطريز المتشابكة وخاصة الرّداء المزيّن بالأشرطة المطرّزة بالكتابات، كان من أردية السّلاطين والأمراء والأعيان في الدولة المملوكية. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٣).

(٣٤) كذا بالمخطوط، وفي صبح الأعشى: وتحتهما فرسان أشهبان.

(٣٥) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٢٧٦ ؛ صبح الأعشى، ج٤، ص: ٨، وفيه: الأعلام ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥٢.

(٣٦) أي: وراية منها.

(٣٧) كذا في المخطوط، ولم نهتد للمعنى المقصود، ولعلّه يريد أن يقول: وصوابه بالصاد؛ أي الأوصان ولم نهتد إلى هذا المصطلح في المصادر.

(٣٨) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية،ص: ٥٩.

الأولى: يقول: "بسم الله يرى بك لا راسصا صلعا برلار"، [٧و] والثانية: يقول: "لرن بك لار".

الرابع عشر: الطّبْردارية:[٣٩]

وهم جماعة من أولاد الجند وعليهم أمير بمقام رأس النوبة عليهم، يحيطون بالملك يمينًا وشمالاً حين رُكوبه، مُعِدّون لضرب عدوّ يقرب منه من غير إذن، وهم عشرة نفر.

الخامس عشر: نمجة المَلك:[٤٠]

وفي أيّام المواكب الحفلة تكون نُمْجَتان متلاصقتان في جفير[٤١] واحدة يحملها الجوكندار أحد الخواص من الأمراء يقف بها إلى جانب الملك عن يساره، ونمجة أخرى قائمة إلى جانبه، وربّما توكّأ عليها الملك [٧ظ] وقد يقارنها ترْس صغير من فولاذ يحمله أحد الخاصكيّة.[٤٢]

السادس عشر: الزَرَدية:[٤٣]

وهي زَرَديّة داودية يلبسها تحت قماشه إذا كان في تسْيير أو موْكب، جُعِلت إحترازًا من عدوّ غادر.

السابع عشر: الكرّاتة[٤٤]:

وهي خرقة من شاش ملفوفة بقدر ثلث ذراع تُجْعل بين الكَلَفَيّة[٤٥] والشاش[٤٦] من جهة اليسار، وربّما اتخذها بعض الملوك من زركش. وما اتّخذها إلاّ ملوك الدولة التركية بمصر.

---

(٣٩) الكلمة مركّبة من "طَبر" بمعنى الفأس و"دار" بمعنى الحامل أو المُمْسك. (انظر: التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٢٦٥ وفيه: الطّبرزين وهو الطّبْر -فارسية- أي: الفأس ، صبح الأعشى، ج٢، ص: ١٥٠ ، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٣).

(٤٠) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٢١ ، معجم دوزي (تكملة المعاجم العربية) لرينهارت دوزي، ترجمه إلى العربية وعلّق عليه د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠، ج١٠، ص: ٣١٢.

(٤١) في لسان العرب: الجفير جعبة من جلود لا خشب فيها أو من خشب لا جلد فيها. وفي معجم دوزي: الجفير غمد السيف. (لسان العرب لابن منظور، ط. دار المعارف بمصر، ١، ص: ٦٤٠ ، معجم دوزي، ج٢، ص: ٢٣٠).

(٤٢) الخاصكية: جماعة من المماليك السلطانية يختارهم السلطان من مماليكه الأجلاب ويتميّزون عن غيرهم من المماليك بحملهم سيوفهم بعد الخدمة ويتأنّقون في مركوبهم وملبوسهم. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٧٦-٧٧ ، معجم دوزي، ج، ص: ٩).

(٤٣) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٥.

(٤٤) معجم دوزي، ج٩، ص: ٥٥، ويقول: "... وهي زينة خاصة بالسلاطين المماليك".

(٤٥) كذا بالمخطوط، وفي معجم دوزي: كلفتة، وهي الطاقية بشريط. (معجم دوزي: ج٩، ص: ١٢٥). وفي المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية: كُلوته (فارسية) وتعني القبّعة، وهي عبارة عن قبّة محشوة بالقطن كان يعتمرها أمراء الجند في العهد المملوكي. (ص: ١٨٩).

(٤٦) هو القماش الرّقيق على طرفيه حرير أبيض ترقم عليه ألقاب السلطان على شكل نقوش ملوّنة.
(انظر: معجم دوزي: ج٦، ص: ٣٧٩ - المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٣).

الثامن عشر: شقق الحرير:[47]

[8و] وهي شقق مُتّخذة من الحرير الأصفر والأحمر المُسَمّط تُفْرَش تحت قوائم فرس الملك خاصة حين قدومه من سفر بعيد يمرّ عليها من باب النصر[48] أو من بين العروستين إلى باب السّتارة[49] بقلعة الجبل،[50] فإذا مرّ عليها الملك بفرسه قطّعت وأخذتها الجمدارية.[51]

التاسع عشر: الجِمِقْدار:[52]

إسم مركّب من لغتين، تركيّة وهي: جُمُق وهو: الدبّوس، وفارسية: دار وهي: مُمْسِك.

وشرطة أن يكون حسن الشّكل عظيم الهيئة مُهابًا. يَقِف في أيّام المواكب الحفلة [8ظ] إلى جانب الملك من الجهة اليُمنى رافعًا[53] يده ببعض تمائِل بدبّوس كبير الرّأس مُمَوّه بالذّهب، شاخصًا ببصره إلى بصر الملك لا يشخص لغيره إلى حين قيام الملك من مجلسه.

العشرون: نوبة خاتون:[54]

وهي من المفرّحات يجمع فيها بالقلعة في كلّ ليلة أصحاب آلات الطّرب يقوم فيها أحد مماليك نائب القلعة بقماش كامل وبيده عصًا مُذَهّبة وبين يديه فانوس صغير يحمله أحد البابيّة وينقله بخفّة ورشاقة ليُطابق فعله ضرب وقوع الآلات [9و] وفي السّفر يكون قائمًا فيها أمير جَندار[55] فيدور بالمُدَوّرة[56] والشّقّة.[57]

ونذكر ثمانية مقاصد:

المقصد الأوّل: في ذكر أرباب السيوف، وهم على ستّ طِباق.

---

(47) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 127 ؛ معجم دوزي: ج6، ص: 331.

(48) هو بوابة حجرية ضخمة محصّنة تُبنت جنوب باب الفتوح وشيّدها جوهر الصقلي. (انظر حوله: خطط المقريزي: ج2، ص: 100).

(49) كان هذا الباب بين ظاهر جامع القلعة الذي أنشأه محمد بن قلاوون وبين دور الحريم السلطاني. (صبح الأعشى: ج3، ص: 371).

(50) انظر حولها: خطط المقريزي: ج3، ص: 34 فما بعدها ؛ صبح الأعشى: ج3، ص: 372 فما بعدها.

(51) فارسيّة، من "جامه" أي: اللباس، و"دار" أي: المسؤول، وهم المسؤولون عن لباس السّلطان. كما تعني أيضا فرقة من الحرس السلطاني. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 67).

(52) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 65.

(53) في المخطوط: رافع.

(54) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 221.

(55) هو الأمير الذي يستأذن على دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان ويقدّم البريد مع الدوادار وكاتب السرّ. (صبح الأعشى: ج4، ص: 20 ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكيّة، ص: 21).

(56) المدوّرة: صدر المجلس أو الوطاق حيث يجلس السلطان. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 200).

(57) الشّقّة: الخيمة الكبيرة المستديرة.

الأولى: الأمراء المقدّمون، وكلّ منهم مُقدّم على ألْفٍ، ومُضافاته مائة فارس.

قال في مسالك الأبصار: "وربّما زاد المُضاف العشرة والعشرين".(٥٨) وكانوا إلى أثناء دولة المُؤيد شيخ(٥٩) أربعة وعشرين مقدّمًا بنائب ثغر الإسكندرية وبلّثَيّ الوجهين القبلي والبحري.

قال في مسالك [٩ظ] الأبصار: "إنّ أكابر الأمراء المقدّمين يُقطع إقطاع الواحد منهم مائتا ألف دينار جيشيّة وربّما زادت على ذلك".(٦٠)

وفي زماننا غاية ما يبلغ إقطاع المُقدّم خالصًا ألف دينار خارجًا عن المَغلّ، وربّما إجتمع للأتابكي(٦١) تقدمتان(٦٢) ولغيره تُقدمه وطبلخاناه أو عشرة. ويتولّون أسنى الوظائف.

الثانية: أمراء السّبعينات وفوقهم أمراء الثمانين.

وهم الذين يضاف إليهم السبعون أو الثمانون ويكون قريبًا(٦٣) من التَّقْدِمة، وقد يكونون من أقارب [١٠و] الملِك، وهو بقدر أُميرَيّ طَبْلخاناه ومنها يرتقي إلى التقدمة.

قال في مسالك الأبصار: إنّه من أمراء الطبلخانة ولكنّه يُزاد إلى سبعين وإلى ثمانين.(٦٤)

الثالثة: أمراء الطَّبْلخانة:(٦٥)

والمضاف كلّ منهم إلى أربعين، وهو الذي كانت تدقّ الطبلخاناة على بابه. لكن قال في "التعريف" في أواخر المكاتبات: أنّه يكون للواحد منهم ثمانون فارسا.(٦٦)

وهذه الطبقة لا ضابط لعدّة أمرائها. وإقطاع كلّ منهم يبلغ إلى ثلاثين [١٠ظ] ألف دينار جيشيّة.(٦٧)

---

(٥٨) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، ج٣، ص: ٢٨٧، وعبارة العمري: وربّما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين.

(٥٩) هو الملك المؤيّد أبو النصر شيخ بن عبد الله المحمودي الظاهري سادس سلاطين الدولة المملوكية. تولّى السلطنة من سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م إلى سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م.

(٦٠) مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٢٨٨. وحول الإقطاع انظر: المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٩.

(٦١) الأتابك: كلمة تركية وتعني الوصيّ على الأمير ومدبّر المملكة، ثمّ أصبح لقبًا لكبار الأمراء.
(معجم دوزي: ١/٨٠ – المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢).

(٦٢) التَّقْدِمة: انظر حولها: معجم دوزي: ج٨، ص: ٢٠٢.

(٦٣) في المخطوط: قريب.

(٦٤) في مسالك الأبصار: وقد يوجد فيهم من له أزيد من ذلك إلى السبعين. (مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٢٨٧).

(٦٥) الطبلخانة (أو الطبلخاناه): لفظ مركّب من كلمة طبل العربية وكلمة خانه الفارسية الدار، أي: دار الطبول. وتعني هنا مخازن الطبول والآلات الموسيقية المُعدّة للنوبة والمواكب السلطانية. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٨ ؛ معجم دوزي: ج٧، ص: ٢٤ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٣).

(٦٦) التعريف بالمصطلح الشّريف، ص: ١٠٣.

(٦٧) الدنانير الجيشيّة: هي عملة اسمية كان يستعملها أهل ديوان الجيش في عبرة الإقطاعات بأن يجعل لكلّ إقطاع عبرة دنانير معتبرة من قليل أو كثير.

قال: وينقص إلى ثلاثة وعشرين ألف دينار".

وهم في زماننا لا يدقّ لهم طَبْلخاناه إلاّ إذا توجهوا في مُهمّ شريف لكشف جسور أو قبض غِلال ونحو ذلك.

الرابعة: أمراء العشرات:(٦٨)

والمضاف إلى كلّ منهم عشرة فرسان.

قال في مسالك الأبصار: "وربّما كان منهم من له عشرون فارسًا، ولا يُعدّ إلاّ في أمراء العشرات.(٦٩) ولا ضابط إلى عدد أمرائها بل يزيدون وينقصون، ويبلغ الواحد [١١و] منهم تسعة آلاف دينار إلى ما دون ذلك.

الخامسة: أمراء الخمّسات:(٧٠)

والمضاف إلى كلّ منهم خمسة فوارس، وهم قليلون.(٧١) وأكثر ما يقع ذلك في أولاد الأمراء رعاية لآبائهم. ويبلغ إقطاع الواحد منهم ثلاثة آلاف دينار جيشيّة.

السادسة: الجُنْد:

وهم على ضَربيْن:

الأوّل: جند الحلقة(٧٢) ولم يكن عليهم خدمة إلاّ في المهمات السلطانية. وكانت عدّتهم تبلغ إلى إثني عشر ألف نفر ثمّ تناقصت، ولا ضابط لهم، ولا يُماثَل، فإنّ الواحد منهم [١١ظ] يكون له مع ...(٧٣) بقدر سبعة أو ثمانية من رزق الشجعان وبالعكس، ومنهم من بِاسْمه عشرة دنانير جيشيّة ولا لها مُتحصّل وبالعكس. والمقدمون من جُند الحلقة في زماننا تبلغ عدّتهم أربعين مُقدّمًا شيوخًا لهم قِدَم هجرة ورأي مُسدّد ووجاهة في العسكر يحضرون بالمواكب الحافلة بالإيوان ويكونون باشات على مُقْطعي الحلقة في النفر في المهمّات الشريفة.

(٦٨) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٠٥ ؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٥ وفيه أنّهم من الطبقة الثالثة ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٢.

(٦٩) مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٢٨٧.

(٧٠) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢١.

(٧١) في المخطوط: قليلين.

(٧٢) حول جند الحلقة انظر: زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك لابن شاهين الظاهري، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، ط٢، دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٨٨، ص: ١١٥ ؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٥.

(٧٣) غير مقروءة في المخطوط ولعلّها: جنبه.

الثاني: المماليك السلطانية:[74] وينسب جميعهم إلى اللّقب الملوكي القائم بالمُلك [١٢ظ] وإن لم يكونوا مُشْتَراه على وجه الإطلاق، ويتميّزون في التفضيل بتُجّارهم أو مُعْتِقِيهم. وهم على ستّ مراتب:

الأولى: الخاصكية:[75] جُعِل ذلك عَلَمًا عليهم؛ لأنّهم يحضرون على الملك في أوقات خَلَواته وفراغه وينالون من ذلك ما لا يناله أكابر المُقدّمين، ويحضرون طرفي كلّ نهار في خدمة القصر والإسطبل، ويركبون لركوب الملك ليلا ونهارا، ولا يتخلّفون في قرب ولا بُعْد، ويتميّزون عن غيرهم في الخدمة بحمّلهم سيوفهم ولباسهم الطُّرُز الزركش ويدخلون [١٢ظ] على الملك في خلْوته بغير إذْن ويتوجّهون في المهمّات الشريفة، ويتأنّقون في مَرْكوبهم وملْبوسهم. وكانوا في القديم لا يزيدون على أربعة وعشرين بعدد الأمراء المُقدّمين، والآن فهم يزيدون على الأربع مائة. ولهم الرّزق الواسع والعطايا الجزيلة من الملوك ومن هذه الإمْرَة.

الثانية: الجمدارية:[76] واحدهم "جام"، وهو بالفارسية الثوب، ودار: مُمْسِك.

وهم دون الخاصكية في الرّتبة والخدمة ولم يزالوا مؤيدين على الوقوف في الخدمة ...[77]

النائب الكافل:[78] [١٣و] في التعريف:[79] وهو يحكم في كلّ ما يحكم فيه السلطان ويُعلّم في التقاليد والمراسيم[80] والتواقيع والمناشير وغير ذلك".

قال: وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التّميز".[81]

قال في مسالك الأبصار: "يُعيِّن أرباب الوظائف الجليلة ككتامة السّرّ والوزارة وقلّ أنْ لا يُجاب فيما يُعيّنه ويخرج الإقطاع الذي عِبْرَته خمسمئة دينار من غير زيادة. ويكاد أن يكون السلطان الثاني.[82]

---

(٧٤) يقول القلقشندي: "وهم أعظم الأجناد شأنًا، وأرفعهم قدرًا وأشدّهم إلى السلطان قُربًا، وأوفرهم إقطاعًا، ومنهم تُؤمّر الأمراء رتبة بعد رتبة..." (صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٥-١٦).

ويقول ابن شاهين: "وأمّا بقية المماليك السلطانية... منهم أصحاب وظائف والباقي بغير وظيفة، فأصحاب الوظائف منهم جملة مثل السقاة والسلاحدارية والطبردارية والجمقدارية والجاشنكيرية وأمراء المشويّ والبريدية... وبقيتهم بغير وظيفة، والجميع ثلاث فرق مشتروات، وهم المنسوبون إلى السلطان المستقرّ، وهم المنسوبون إلى سلاطين المتقدمة وسيفيّة وهم المنسوبون إلى الأمراء المتقدّمين". (زبدة كشف الممالك، ص: ١١٦).

(٧٥) انظر: زبدة كشف الممالك، ص: ١١٦-١١٧.

(٧٦) الجمدار هو المسؤول عن لباس السلطان.

(٧٧) ينتهي الكلام إلى هذا الحدّ حول الجمدارية، وذلك لسقوط أوراق في المخطوط ومن ثم سقط الحديث عن بقية الرتب الداخلة في هذا الباب من أرباب السيوف.

(٧٨) أضفناها لأنّ السياق يقتضيها.

(٧٩) من قوله: في التعريف: وهو يحكم... يتعلّق بالنائب الكافل كما ورد في صبح الأعشى والتعريف بالمصطلح الشريف. والنائب الكافل هو من أرباب الوظائف من أرباب السيوف الملازم للسلطان. انظر: صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٦ فما بعدها.

(٨٠) غير واردة في كتاب التعريف.

(٨١) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٩٤.

(٨٢) مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٦ (بتصرّف).

وقد أهملت هذه الوظيفة من أيام الناصر فرج في عام ... وثمانمائة[83] [13ظ] وتقليده في الثلثين.

واختار صاحب التعريف أن يُجْمع له في تقليده ذكر النيابة والكفالة.[84]

الثاني: الأتابكي:[85] وأصله بالتركية أطابك أي: أبٌ أمير.[86] وهو غالبًا لا يكون إلاّ مع عدم النائب الكافل.

قال المؤيّد صاحب حماه:[87] وأوّل من لُقّب بذلك وزير مَلكشاه بن ألب أرسلان السَّلْجُوقي[88] حين فُوّض إليه تدبير المملكة عام خمس وخمسين وأربع مائة.

الثالث: الأمير الكبير: وهو لقب على أكبر الأمراء في زماننا وأعظمهم وأقربهم إلى [14و] المَلِك مُخاطبة وجلوسًا وركوبًا. ويستشيره السلطان في مُهمات المملكة ويعوّل على رأيه.

وأوّل من لُقّب بذلك الأمير شيخون حين بلغ نهاية ما صار إليه. وقد صار لقب الأتابكي علَمًا عليه غالبًا عند فقْد الأتابكي، ولم يكن لوظيفته تقليد. ويُكْتَب له توقيع بنظر المارستان في قطْع النصف، وربّما أضيف إليه النظر على خانقاه سعيد السعداء.[89]

الرابع: رأس نوبة الأمراء: وهو لقب قائم على أمير قائم على الأمراء في الأمر والنّهي والحكم [14ظ] عليهم فيما بينهم. ويجلس من مجلس السلطان برأس الميْسرة. وتبطل هذه الوظيفة أحيانا وتُعْمل أحيانا ولا يُكْتب لها تقليد.

الخامس: أمير سلاح:[90] من أكابر الأمراء، وله التحدّث على السلاح دراية والسلاح خاناه، يجلس عند المَلك بمنزلة رأس نوبة الأمراء عند فقْده. ولا تبطل هذه الوظيفة ولا يُكْتب لها تقليد.

---

(83) كذا في المخطوط، وقد حكم الناصر فرج من سنة 801هـ/1399م إلى سنة 815هـ/1412م.

(84) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: 95.

(85) انظر: صبح الأعشى: ج4، ص: 18.

(86) كذا في المخطوط، وفي بعض المصادر: أمير أب وكذلك: الولد الأمير. انظر مثلا: صبح الأعشى: ج4، ص: 18.

(87) وهو المؤيّد عماد الدين صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر.

(88) وهو الوزير نظام الملك علي بن إسحاق الطوسي، وتولى الوزارة من سنة 456هـ/1064م إلى سنة 458هـ/1092م. (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ج2، ص: 128-131.

(89) وتعرف أيضًا بالخانقاه الصلاحية، كانت أولاً دارًا تعرف بدار سعيد السعداء أحد خدّام القصر المحنّكين وعتيق الخليفة المستنصر. وهي أوّل خانقاه عملت بالديار المصرية وعرفت بدويرة الصوفية وتحت شيخها بشيخ الشيوخ.

انظر حولها: خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقي الدين المقريزي، تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة 1998، ج3، ص: 570 فما بعدها ؛ الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلي باشا مبارك، ط1، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق 1306هـ، ج6، ص: 50.

(90) مسالك الأبصار: ج3، ص: 308 ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 22.

السادس: أمير مجلس: والأفصح التعريف فيقال: أمير المجلس، وتكون الألف واللاّم للعهد.

وهو ثالث منزلة من الأمير الكبير ويضاف [١٥و] مع المال وعلى السّراخورية[٩١] والشّحْناه[٩٢] والركّابة[٩٣] والأوجاقية[٩٤] والمهاترة والركِبْدارية[٩٥] والهجّانة[٩٦] ومقدّميها والسّيروانية[٩٧] والنّفر والغلمان[٩٨] والسيّاس[٩٩] والعَليق[١٠٠] والعلوفات[١٠١] والأتْبان وقماش الخيول والبغال والهُجُن والجمال والبياطر والسقّائين.

ومقرّته باب السلسلة[١٠٢] ويسند إليه نظر البرقوقية[١٠٣] والقانباهية[١٠٤] وخانقاه قوصون.[١٠٥]

الثامن: الدّوادار.

---

(٩١) السراخور هو القائم على العلائف للاصطبلات السلطانية. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١١٢).

(٩٢) لعلّ المقصود: الشّحْنة: جماعة من العسكر الشرطة يسمّى قائدها رئيس الشّحنة أو صاحب الشحنة.

(انظر: التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ٨١ ؛ معجم دوزي: ج٦، ص: ٢٧٠ ؛ المعجم في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٥).

(٩٣) لم نهتد إلى المعنى المقصود. ولعلّ المقصود ما أورده دوزي في معنى ركّب: وضع الحديد في حافر الفرس أو الذي يُرْكب السلطان على الفرس أو صاحب الرّكاب وهو مُروّض الجياد. (معجم دوزي: مادة ركب: ج٥، ص: ٢٠٠ و٢٠٢).

(٩٤) الجنود الذين يمشون أمام موكب السلطان.

(٩٥) من ركاب خانه أي دار الركاب وهي الدار التي تحفظ فيها الركائب والخيول والسّروج المعدّة للركب السلطاني، وكذلك من ركابدار أي أحد حملة الغاشية ومتولّي الركاب خانة.

(انظر: معجم دوزي: ج٥، ص: ٢٠٥ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات الملوكية، ص: ١٠٠).

(٩٦) لعلّ المقصود هنا المشرفون على الخيل الهُجْن.

(٩٧) كذا في المخطوط، وفي المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية: السِّرْباوران: فارسية من "سر" أي الرئيس، و"باور" أي المساعد، وهو رئيس المرافقين القائمين على خدمة السلطان (ص: ١١٤-١١٥).

وورد أيضا في معجم دوزي: السيران: مكان التنزّه (ج٦، ص: ٢٠٦) وكذلك في المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية، ص: ١٢٠ ، فلعلّ المقصود أيضا المشرف على مراقبة السلطان وقت نزهته.

(٩٨) يقول ابن شاهين: غلمان مماليك ونقباء غلمان الجميع من تعلّقات الاصطبل. (زبدة كشف الممالك، ص: ١٢٤).

(٩٩) ساس الدواب: قام عليها وروّضها (لسان العرب مادة: سوس).

(١٠٠) العليق: علف الدواب من الشّعير. (معجم دوزي: ج٧، ص: ٢٨٤).

(١٠١) العلوفة: مؤونة الطعام الضرورية لغذاء الدواب. (معجم دوزي: ج٧، ص: ٢٨١ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥٤).

(١٠٢) خطط المقريزي: ج٢، ص: ٢٨١-٢٨٢.

(١٠٣) المدرسة البرقوقية: أنشأها السلطان الظاهر برقوق وابتُدئ في عمارتها سنة ٧٨٣هـ/١٣٨٢م. (الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٣).

(١٠٤) كذا بالمخطوط، ولم نهتد إلى هذه المدرسة.

(١٠٥) أنشأها الأمير سيف الدين قوصون وكملت عمارتها سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م. قرّر بها جماعة من الصوفية. (خطط المقريزي: ج٣، ص: ٥٩٤-٥٩٥).

قال في مسالك الأبصار:[106] "وهو الذي يُبلّغ الرسالة وعامة الأمور عن السلطان ويقدّم القصص[107] ويتناول [١٥ظ] العلامة[108] ويشاور على من يحضر إلى سلطانه وعلى الأمور المهمّة. وكان يكتب على القِصص إشاراته بالإقطاعات قبل كتابة ناظر الجيش عليها بالكشف. وكان يُخْرِج التواقيع والمراسيم بالوظائف الجليلة ويعلق الرسالة لاستخراج الأمثلة بما يراه. ويتحدّث على الإقطاعات والرّزق والجُنْد. ويتحدّث على الأحباس بتشريف يلبسه من ثاني موكب استقراره. وله التحدّث مع كاتم السّرّ على المؤيديّة وما يضاف لها.

وكانت هذه الوظيفة في القديم أميرها لا يتعدّى إمره الطّبْلخاناه إلى أيّام [١٦و] الناصر حسن[109] فاستقرّ في الدّوادارة الأمير طغيتمر النجمي[110] بتقدمة ألف، ومن تلك الأيّام وهو مقدّم. وقد أورد له في التعريف وصيّة تدلّ على أنّه كان يكتب، وله تقليد وله أتباع دونه ويطلق على كلّ منهم دوادارا مثلهم.

الدوادار الثاني: يتصرّف في الحكومة قُرْبًا وبُعْدًا، ويكتب بخلاص الحقوق ويشاور على الأمور المُهمّة، ولا يكتب في استخراج أمثلة ولا يعلّق رسالة ثمّ بقيّة الدوادارية ثالث ورابع إلى عشرة.

التاسع: المُشير:[111]

والإشارة وظيفة [١٦ظ] حادثة لم تُعْهَد قديمًا. ومُتولّيها يتكلّم على الدواوين السلطانية وما يرد عليها وما يصدر منها، فلا يتصرّف مباشرونها في أمر مُهمّ فيما يتعلّق بالمال إلاّ برأيه وشوْره. وهي تُعْمَل أحيانًا وتُبْطل غالبًا.

(١٠٦) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٩ ؛ مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٩ (بتصرف) ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٩١-٩٢.

(١٠٧) أي رقاع المتظلّمين.

(١٠٨) مصطلح يطلق على التوقيع أو الخاتم أو الطغراء يختارها السلطان ويستعملها في كافة الكتب والمراسلات الصادرة عن ديوان سلطنته. (مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٢٩٨-٢٩٩ ؛ المعجم الجامع للمصطلحات المملوكية، ص: ١٥٣).

(١٠٩) السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، تولى الحكم سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ولم يبلغ بعد ثلاثة عشر سنة، ولم يكن له في أمر الملك شيئًا بل كان الأمر بيد أمرائه، ثمّ اعتقل ثمّ أعيد إلى السلطنة في سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م وظلّ متربّعًا على كرسي السلطنة حتى سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م. (النجوم الزاهرة: ج١٠، ص: ١٤٨ فما بعدها ؛ السلوك: ج٤، ص: ٥٨ فما بعدها وص: ٢٠٧ فما بعدها).

(١١٠) طغيتمر بن عبد الله النجمي الدوادار ، صاحب الخانقاه النجمية خارج باب المروق بالقاهرة. (النجوم الزاهرة: ج٣، ص: ١٣٨).

(١١١) تأتي مرتبة المشير بعد مرتبة النائب الكافل والوزير، ومهمّته الإشارة بالرّأي على السلطان. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية: ٢٠٣-٢٠٤).

العاشر: الوزير:[١١٢] وأوّل وزير لُقّب في الإسلام أبو سلمة الخلال[١١٣] حين وَزَر لأبي العباس عبد الله السفاح[١١٤] على ما تقدّم.

وقد اختلف في اشتقاق اسمه، فقيل: من الوَزَر وهو المَلْجأ؛ لأنّ الناس يلجؤون إليه في حوائجهم. وقيل من الوِزْر، وهو الثِّقل؛ لأنّه يتكفّل بأثقال الملك. وقيل من الأوزار [١٧و]، وهي الأمتعة؛ لأنّه يتكفّل بأمتعة المَلِك وما في خزائنه. وقيل من الأَزْر، وهو الظَّهر، لأنّ الملِك يتقوّى به تقوّي البدن بالظهر.

والوزارة هي أعلى الوظائف وأسناها بعد السلطنة.

قال في مسالك الأبصار: وصاحبها هو باب الملك المقصود ولسانه الناطق ويده الباطشة. فلمّا حدث عليها النيابة تأخّر بعض أمرها وقعد به أمر النائب حتى صار مُتوَلّيها لا يتّسع له في التّصرّف مُحالاً ولا يمتدّ له يَد في ولاية ولا عزل.[١١٥]

والوزارة على ضربين:

وزارة تفويض ووزارة تنفيذ.

[١٧ظ] وسيأتي الكلام عليهما في قسم الولايات -إن شاء الله تعالى-.

والوزارة على جنسين:

- الأوّل: إذا كان ربّ سيف فيقتصر في العلمية عليه بالوزير لا بالصاحب. ويكون قائمًا في مجلس السلطان مع الأمراء المقدّمين، وتدقّ له طبلخاناه ويتصرّف في جميع أمور الدولة، إلاّ أنّ تَعلُّق الحسابات والتوازيع وضبط أصول المال والخصم والاستحقاقات مُخْتصّ بناظر الدولة.
- الثاني: إذا كان مُتعمّمًا يُلَقّب بالصاحب ويضاف في ألقابه الوزير.

وأوّل من لُقّب [١٨و] بالصاحب ابن عبّاد[١١٦]؛ لأنّه كان يصحب ابن العميد[١١٧] قبل وزارته، فلمّا

---

(١١٢) سقطت من المخطوط. وحول الوزارة انظر: الأحكام السلطانية للماوردي، طبعة مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩، ص: ٣٠ فما بعدها ؛ تحفة الوزراء لأبي منصور الثعالبي، تحقيق حبيب علي الراوي ود. ابتسام مرهون الصفار، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦، ص: ٣٩ فما بعدها ؛ زبدة كشف الممالك، ص: ٩٣ فما بعدها ؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٨-٢٩ ؛ مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٩-٣١٠.

(١١٣) أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال الهمداني المتوفّى سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م. (انظر أخباره في: تحفة الوزراء، ص: ١١٨ ؛ وفيات الأعيان: ج٢، ص: ١٩٥-١٩٧).

(١١٤) أوّل خلفاء بني العباس حكم من سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م إلى سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م. (الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني، تحقيق: د. قاسم السمرائي، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩، ص: ٦١).

(١١٥) مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٩ (بتصرف).

(١١٦) أبو القاسم إسماعيل بن عباس بن عباد الطالقاني الاصفهاني المعروف بالصاحب بن عباد و"كافي الكفاة" من كبار العلماء والأدباء ومشارك في مختلف العلوم. استكتبه ابن العميد ثمّ تولى الوزارة في عهد الملك مؤيّد الدولة البويهي. توفي سنة ٣٨٥هـ/٩٩٦م. (تحفة الوزراء، ص: ١٢٥ ؛ وفيات الأعيان: ج١، ص: ٢٢٨-٢٣٣).

(١١٧) الكاتب محمد بن الحسين بن محمد المعروف بابن العميد تولى الوزارة لركن الدولة ابن بويه سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م. (تحفة الوزراء، ص: ١٢٥ ؛ وفيات الأعيان: ج٥، ص: ١٠٣-١١٣).

ولي الوزارة لُقّب بالصاحب.

وقيل: لقّب بالصاحب؛ لأنّ الوزير صاحب رأي الملك وتدبير أمره ويختصّ به الوزير حين ولايته أشياء نفيسة منها كُوفِيّة مزركشة بالذهب بقُدس[118] قدْر ثلاثة أصابع مطبوقة يلبسها حين استقراره ويرفع عمامته عنها بقدر رُبع ذراع حتى يبرز الزركش وعنْبرانية[119] مُتّخذة من أُكر[120] العنبر المُمَسّك يُجعل في سلك من الإبريسم[121] الأخضر على عدّة طاقات [١٨ظ] يُرّسل من حلْقِه إلى صدره، ومنها خُفّ أخضر من الحرير السكندري يلبسه.

وله وللنائب في أيّام المواكب جنيبان[122] من خاصّ الخيل وعليها قماش من ذهب ويشيل عليه ثوب سرْج من الحرير الأصفر الأطلس بوسطه جلد فهد بِرَنْكِيّة.[123]

ذلك الوزير عليه كاس غالب الفرس مجنوب على يد أوجاقي حشم بكَلْفيّة وقماش كامل. ويختصّ بركوب ببغلة بزنّاري[124] دون أرباب الوظائف الديوانية.

ويُكتب تقليده في [١٩و] الثلثين. ويطول الكلام على ما يتعلّق به.

الحادي عشر: أمير رأس نوبة النُّوَب: وله الأمر على المماليك السلطانية وإليه مرجعهم في الشور والمحاكمات. وهو السفير بينهم وبين الملك في الشّوْر وبلوغ المقاصد، وهو أوّل من يدخل على الملك في الخدمة والقائم على مسّك من يؤمر بمسكه ويرمّل[125] حين أخْذ العلامة.

وله أتباع:

الأوّل: رأس نوبة الميسرة، وله الحكْم والتصرّف كالأمير رأس نوبة النوب [١٩ظ] ثمّ ثالث ورابع من الطبلخانات والعشرات إلى نحو عشرين أمير يتصرّفون في أشغال المملكة.

---

(١١٨) هو كلب الماء (القضة) الذي يستعمل جلده كفَرْوٍ ناعم (معجم دوزي: ج٨، ص: ٣٩١).

(١١٩) نوع من الحُلّي مملوءة من العنبر الخام أو ظفيرة زهور يُنظم بين زهورها العنبر (معجم دوزي: ج٧، ص: ٣٢٥).

(١٢٠) جمع أكرة: وهي الكرة، وهي عقدة على شكل تفاحة تستعمل للزينة (معجم دوزي: ج١، ص: ١٦٦).

(١٢١) الإبريسم: حرير مخوط بالقطن. (معجم دوزي: ج١، ص: ٦٧).

(١٢٢) الجنيب: الخيل والفرس يقاد خلف السلطان مجهّز بعدّته. (معجم دوزي: ج٢، ص: ٢٩٦).

(١٢٣) شعار الشرف، وهي العلامة المميّزة للملوك والأمراء. (معجم دوزي: ج٥، ص: ٢٢٥).

(١٢٤) غطاء للفرس من جوخ مفتوح من الصدر ويلتفّ حول الجسم بحيث لا يرى ذيل الفرس. (معجم دوزي: ج٥، ص: ٣٦٧).

(١٢٥) أي رشّ الرمْل على الكتابة. (معجم دوزي: ج٥، ص: ٢١٦).

وإليه يُسْند النظر إلى الشيخونية والصرّغتْمشية[126] والحجازية[127] والجامع الأخضر[128] وغير ذلك.

الثاني عشر:[129] أمير حاجب:[130]

ويعبّر عنه في زماننا بحاجب الحجّاب. وأصله عَلَم على من يأخذ الإذن على الإمام، ثمّ فُوّض إليه الحكم عند إبطال النيابة، وصار يُرْفَع إليه المحاكمات التي كانت تُرْفع للنائب ويطلب من البرّ ويكتب عنه المُطْلقات.[131] وكان من أركان [٢٠و] الدولة الأيوبيّة.

وقال في مسالك الأبصار: "إنّه يُنْصِف بين الأمراء والجُند تارة بنفسه وتارة بمراجعة الإمام. وله أتباع مثلهم".[132]

الحاجب الثاني: ويقال فيه حاجب الميْسرة. ويتصرّف في الحكم بالقاهرة.

ثمّ ثالث إلى ما يزيد عن عشرة برسم المحاكمات والخدمة لا غير. ويُسْند لأمير حاجب النظر على الجامع العمروي بمصر[133] وجامع الأزهر[134] والصندوق وغير ذلك.

الثاني عشر: أمير استدار:[135]

مركّب من كلمتين فارسيتين، إحداهما إِسْتَدْ -بكسر الهمزة وسكون السين [٢٠ظ] والدّال وفتح التاء- ومعناها: الأخذ، والثانية: دارٌ ومعناها: مُمْسِك، والمراد: المُتولي لأخْذ المال؛ لأنّه الذي يتولّى قبض المال، ويقال فيه: سِتِدّارٌ. وقد غلط بعض الكتّاب فضمّوا الهمزة في أوّله ويلحقون فيه ألفا بعد

(١٢٦) ابتدأ بناءها الأمير سيف الدين صرغتمش الناصري سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وانتهت في سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م، وهي من أبدع المباني وأجلّها. وجعلها وقفا على الفقهاء الحنفية الآفاقية ورتّب بها درسا الحديث النبوي. (خطط المقريزي: ج٣، ص: ٥٤١ فما بعدها ؛ الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٩١).

(١٢٧) أنشأتها الستّ خوندتتر الحجازية ابنة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وزوجة الأمير بكتمر الحجازي. وجعلت بهذه المدرسة درسًا للفقهاء الشافعية وآخر للفقهاء المالكية وجعلت بها خزانة كتب ومنبرًا لخطبة الجمعة. (انظر: خطط المقريزي: ج٣، ص: ٤٨٧-٤٨٨ ؛ الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٦).

(١٢٨) عرف بالجامع الأخضر، لأنّ بابه وقُبّته فيهما نقوش وكتابات خضراء، وهو خارج القاهرة. أنشأه خازندار الأمير شبخو. (خطط المقريزي: ج٣، ص: ٣٣٩ ؛ الخطط التوفيقيّة: ج٤، ص: ٥٤).

(١٢٩) في المخطوط: العاشر، والترتيب يقتضي ما أثبتناه.

(١٣٠) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٩ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٧٠.

(١٣١) أي المكاتبات السلطانية التي تصدر إلى نُوّابه وأمرائه وعمّاله. (التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١١٤ فما بعدها ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٠٥).

(١٣٢) مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٧.

(١٣٣) لعلّ المقصود هنا: جامع عمرو بن العاص بالفسطاط. (انظر: الخطط التوفيقيّة: ج٥، ص: ٦٠).

(١٣٤) انظر: خطط المقريزي: ج٣، ص: ٢١٣ فما بعدها.

(١٣٥) في مسالك الأبصار وصبح الأعشى: "فإليه أمر بيوت السلطان كلّها من المطابخ والشّراب خانه والحاشية والغلمان... وله حديث مطلق وتصرّف تام في استدعاء ما يحتاجه كلّ من في بيت السلطان من النفقات والكساوي وما يجري مجرى ذلك. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٠ ؛ مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٨).

التاء فيقولون أُسْتادا الدار أو أُستادارٌ ظنًا منهم المرأة بالدار المحلّة وأن أُسْتاد بمعنى السيّد.

وممّن وقع في ذلك صاحب التعريف على الوصايا.[١٣٦]

قال في مسالك الأبصار: "وهو المتحدّث في بيوت السلطان كلّها". وكان صاحب [٢١و] هذه الوظيفة مُقدّمًا وله أتباع من الأمراء الطبْلخانة والعشرات يتكلّم بعضهم في الذخيرة وبعضهم في الأملاك وبعضهم في المُشتراوات والمبيعات.

ويتميّز المقدّم بأستدّار العالية.

ثمّ إنّ الظاهر برقوق[١٣٧] حين أخذ السلطنة أكثر من مشترى المماليك وأفرد لهم ديوانًا أضاف له بلاد برسم جوامك[١٣٨] مماليكه وعليقهم فسمّي من إذ ذاك ديوان المُفرد،[١٣٩] وتحدّث عليه أستدّار العالية، وأضيف إليه التحدّث على الأملاك والذخيرة وغيرهما [٢١ظ] والتكلّم في معلوم الجامكية.

ثمّ في زمن الناصر فرج[١٤٠] أضيف إليه نيابة الوجه البحري بإقطاعها. وله رفيقٌ من المُتعمّمين ناظر يتكلّم معه في المال والغلال، وأتباع من المباشرين لضبط المال.

وسيأتي الكلام عليهم إن شاء الله تعالى. ويُكْتب تقليده في الثُّلثين.[١٤١]

أمّا المقدّمون الخارجون عن الخدمة فثلاثة:

الأوّل: نائب ثغر الإسكندرية،[١٤٢] وقد اسْتُجدّ في عام سبع وستين وسبعمائة حين طرقَتْها الفرنج.

وكان قبل طبلخاناه ولم يكن كافلا[١٤٣] إذا لم يكن مملكة ويتكلّم على [٢٢و] جِنْسها وضواحيها من غير أن يكون لها عمل ولا برّ، وهو من جملة الأمراء المقدّمين بمصر، وتقليده في الثلثين.

الثاني: نائب الوجه القِبْلي،[١٤٤] وهو حادث في أيام الظاهر برقوق وكان قبل يُسمّى والي الولاة.

---

(١٣٦) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٣٤.

(١٣٧) السلطان الظاهر سيف الدين برقوق الشركسي تولى السلطنة من سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م إلى سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م. (السلوك: ج٥، ص: ١٤١ فما بعدها ؛ النجوم الزاهرة: ج١١، ص: ٢٤١ فما بعدها).

(١٣٨) أي: الرّواتب.

(١٣٩) ديوان يتولّى نفقة المماليك السلطانية بما أفرد له من بلاد. وتشمل النفقة هنا الجوامك أي الرّواتب والطبق أي علف الخيل والكسوة (زبدة كشف الممالك، ص: ١٠٦ ؛ صبح الأعشى: ج٣، ص: ٤٥٧).

(١٤٠) السلطان الناصر فرج بن برقوق عيّن سلطانًا يوم وفاة أبيه سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م وعمره ثلاثة عشرة عامًا، وساءت أحوال البلاد في عهده. (السلوك: ج٥، ص: ٤٤٨ فما بعدها ؛ النجوم الزاهرة: ج١٢، ص: ٢٩٢ فما بعدها).

(١٤١) التعريف بالمصطلح الشريف: ١٢٦ – صبح الأعشى: ٣/٤٧-٤٨.

(١٤٢) حول نيابة الاسكندرية انظر: صبح الأعشى: ٤/٢٤.

(١٤٣) الكافل: نائب السلطان ويسمّى أيضًا النائب الكافل أو نائب السلطنة، ويطلق عليه "كافل الممالك الإسلامية". (صبح الأعشى: ٤/١٦-١٨ – مسالك الأبصار: ٣/٣٠٦-٣٠٧).

(١٤٤) انظر صبح الأعشى: ٤/٢٤-٢٥.

وكان بكلّ إقليم متولّ من الحضرة لم يكن لوالي الولاة عليه أمر في ولاية ولا عزل.

وفي أيّام المؤيّد شيخ أضيفت ولاية البَهنسا(١٤٥) والأُشمونين(١٤٦) إلى نائب الوجه القبلي يُقيم فيها من يختار من جهته، ثمّ في أيّام الأشرف بَرسْباي(١٤٧) في عام ثلاثين وثماني مائة [٢٢ظ] أضيف إليه التحدّث على وُلاّة الأقاليم بالوجه القبلي جميعه، وصار مقيمًا بكلّ إقليم نائب عنه خلا كشف الفيّوم(١٤٨) فإنّ مُتولّيه يلبس من الحضرة، ومرجع نائب الوجه القبلي في الولاية والعزل إلى الأمير الأستدّار، وتقليده في الثلثين. وكان يُكتب له مرسوم في النصف ولا كان يُؤهّل للتقليد إذ لم يكن بالوجه القبليّ كرسي ولا سماط.

الثالث: نائب الوجه البحري:(١٤٩) وهو حادث في أيّام الظاهر برقوق، وكان قبل كاشفًا(١٥٠) يُسمّى والي الولاة كما في الوجه القبلي، وهو متحدّث [٢٣و] على جميع أقاليم الوجه البحري. وليست نيابته ونيابة الوجه القبلي على قاعدة النيابات في ترتيب الحُجّاب والجيوش وأرباب الوظائف وركوب المواكب ولا كرسي ولا سماط بل يلبس حين استقراره أطلسين(١٥١) ويخرج له فرس بسرّج وقماش ذهب ويسير تحت شطْفتين.(١٥٢) وكان يكتب له مرسوم في النصف ثمّ صار يُكتب له تقليده في الثلثين.

وقد أضيفت هذه الوظيفة إلى الأمير الأستدّار من أيّام الناصر فرج على ما تقدّم.

المقصد الثالث: أرباب الوظائف [٢٣ظ] من الأمراء.

* الطبلخاناه(١٥٣) وهم اثنا عشر أمير:

* شادّ الشراب خاناه:(١٥٤) وربّما كان مقدّمًا، وهو المتحدّث على ما يَرِد من الشّراب خاناه وما يصدر منها من مأكول ومشروب ولا ينحصر أصنافه، وهو الأمين على الشّراب والطعام حين تَناوُل

---

(١٤٥) مدينة بمصر من الصعيد الأدنى غربي النيل، وهي كثيرة الدخل. (خطط المقريزي: ج١، ص: ٦٦٠-٦٦٣ ؛ معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩، ج١، ص: ٥١٦-٥١٧).

(١٤٦) ويقال أيضا: أشمون، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الأدنى غربي النيل ذات بساتين ونخل كثير. (خطط المقريزي: ج١، ص: ٦٦٤ ؛ معجم البلدان: ج١، ص: ٢٠٠).

(١٤٧) الأشرف سيف الدين برسباي الدقماقي الظاهري، تولّى السلطنة من سنة ٨٢٥هـ/١٤٢٢م إلى سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م. (السلوك: ج٧، ص: ٥٥ فما بعدها ؛ النجوم الزاهرة: ج١٤، ص: ٧٨ فما بعدها).

(١٤٨) ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام، وهي في منخفض الأرض. (خطط المقريزي: ج١، ص: ٦٧١-٦٧٥ ؛ معجم البلدان: ج٤، ص: ٢٨٦-٢٨٨).

(١٤٩) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٥.

(١٥٠) حول الكشاف انظر: صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٥ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٨٣.

(١٥١) في معجم دوزي: أطلسي، من الأطلس وهو الساتان. (معجم دوزي: ج٧، ص: ٤٥٦).

(١٥٢) الشّطْفة: شارة مَلَكيّة تُحمل كما يُحمل اللواء على رأس أمير الجيش. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٧ ؛ معجم دوزي: ج٦، ص: ٣١٢).

(١٥٣) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٥.

(١٥٤) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٠ و٢٠ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٢٢.

المَلِك له من إدخال سُمّ ونحوه، ويتكلّم على الأطباء والكحّالين[155] والجرايحية والمُجبّرين.[156] وله كفايته على الوزير من كلّ صنف.

الثاني: الخزندار:[157] وأصله: الخزانة دار فحذفت الألف والهاء للخفّة، والمعنى: مُمْسك الخزانة.

وثمّ من كتبها الخازندار وهو غير مستقيم.

[٢٤و] وهو ينقسم على ثلاثة أنواع:

الأوّل: المتحدّث على خزائن القماش المُزَرْكش والمُذْهَب والحرير والأشياء النّفيسة وسروج الذّهب وأصناف الوَبَر. وله استدعاء ما يحتاج إليه الملك من ذلك من ناظر الخاص أو مُشتراه من مال السّلطان.

الثاني: خازندار العين، وهو الذي يكون تحت حاصله النقود جميعها بقبض ما يَرِد له ثمّ يصرف ما رُسِم له بصرفه، وربّما كان حاصله الفصوص من اليواقيت وغيرها. وله رفيق ناظر لضبط ذلك ومشترى ما يحتاج إليه [٢٤ظ] الملك كما سيأتي الكلام عليه. وعادة خازندار المال أن يكون خادما لأنّ المال يكون بقاعات الحريم.

وقد يجتمع خزندار العين وخزندار الصّنف لواحد فرْد.

الثالث: خزندار الكيس، وهو المُتصدّي بحمل كيس العين التي برَسْم الصدقة وتفْرِقَتِه على الفقراء حين ركوب السلطان.

الثالث:[158] أمير أخور ثاني: وقد تقدّم الكلام عليه.

الرابع:[159] الدوادار الثاني: وقد تقدّم الكلام عليه.

الخامس: رأس نوبة ثاني: وقد تقدّم الكلام عليه.

السادس: الحاجب الثاني: وقد تقدّم الكلام عليه.

السابع: الزِمام:[160] وأصله [٢٥و] زِبانْ دار مُرَكّب من لفظتين فارسيتين، فَزبان: النساء، ودار: مُمْسِك أي مُمْسك النّساء. والعامّة يظنّون أنّ زِمام بمعنى قائد وهو أكبر الخدّام. يخاطب الملك من تعلّقات الحريم وأولاد الملوك ويستدعي ما يَحْتَجْن إليه ويستأذن على تزويج الخونْدات والمُعْتَقات. وله أتباع من الخُدّام بباب السّتارة من تحت أمره يتصرّفون فيما يُصَرّفهم فيه من الوظائف.

---

(١٥٥) هم أطبّاء العيون. (معجم دوزي: ج٩، ص: ٤٤).

(١٥٦) في المخطوط: المجبّرون.

(١٥٧) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢١ و٥/٤٦٢-٤٦٣؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٨٠.

(١٥٨) في المخطوط: الرابع، وهو خطأ لا يتوافق مع الترتيب.

(١٥٩) في المخطوط: الخامس، وهو خطأ لا يتوافق مع الترتيب.

(١٦٠) انظر صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢١ وفيه: زِمامِيّة الدور السلطانيّة؛ وج٥، ص: ٤٥٩-٤٦٠؛ معجم دوزي: ج٥، ص: ٢٥٣.

الثامن: مقدّم المماليك:(١٦١) وهو أعظم الخُدّام تُرْفع إليه الحكومات في المماليك السلطانية وسفيرٌ فيما [٢٥ظ] بينهم وبين الملوك من طلب المقاصد. ويحضر في مُهمّاتهم حين النفقة والجامكية والكسوة والأضاحي ونحو ذلك. وله نائب مُعْتبر يقوم مقامه عند غيْبته من القلعة. وله أتباع وخُدّام بالطّباق(١٦٢) يُصرّفهم من تحت أمره فيما يختاره.

ورأيت في التعريف له وصيّة تدلّ على أنّه كان يُكْتب له تقليد.(١٦٣)

التاسع: نائب قلعة الجبل المحروس:(١٦٤) وهو المتحدّث على الحرسيّة والأبراج، وعليه حفظ المعتقلين بها. وله الأمر على البحرية وعلى فتح باب القلعة وغلْقه، وإليه ترفع المحاكمات [٢٦و] من القلعة من عامّتها وعليه دَرَكها حين ظهور السلطان منها، وتفقُّد أسوارها ومنافذها والأمر بعمارتها وما تحتاج إليه.

العاشر: مُتَوَلّي القاهرة: وكان يُعبّر قديمًا بصاحب الشرطة. وأوّل من اتّخذه في الإسلام عثمان بن عفّان –رضي الله عنه-. وهو يتولّى في زماننا ولاية مصر مُضافة لولاية القاهرة وضواحيها، ويحكم في القصص وإقامة الحدود، وله الأمر على الحبوس وغلْق أبواب القاهرة وفتْحها، وعليه الطّوْف بالأماكن المُتّهمة بالمال والأقمشة، [٢٦ظ] ولا يُمْكنه النوم خارج المدينة إلاّ بمرسوم خوفًا من حريق أو مَنْسر(١٦٥) أو كسر حاصل أو فتح سجن وغير ذلك. وتُدَقّ له طبْلخانه على بابه. وكان له إقطاع من جملة إقطاع الطبْلخاناه إلى أثناء الأيّام المؤيدية فبطل. وكان يكتب له مرسوم بالولاية.

الحادي عشر: أمير شكارْ:(١٦٦) فأمير معروف، وشكار بالفارسية: الصّيد. وهو المتحدّث على الطّيْر والجوارح وكلاب الصيد وأحواش الطّير وصيّادي الكراكي والطائر الرقيق وله الأمر على السّوّاقين(١٦٧) والحوندارية(١٦٨) والمعلّمين [٢٧و] والبزادرة(١٦٩) والزّماكين(١٧٠) والكلابزيّة.(١٧١)

وربّما كان يتولاّها مقدّمو الألوف بإقطاع التقدمة. وفي زماننا قد انحطّت رُتبته عن الطبلخاناه وعن

---

(١٦١) هو من يتولّى أمر المماليك السلطانية ويشرف على توزيع رواتبهم. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢١ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٠٦-٢٠٧).

(١٦٢) هي ثكنات جُند المماليك بقلعة الجبل في القاهرة. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٢).

(١٦٣) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٣٦.

(١٦٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص: ١٣٢-١٣٣ ؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٣.

(١٦٥) في معجم دوزي: المنسر هو الفريق من الناس أو الكتيبة. (معجم دوزي: ج١٠، ص: ٢١٤).

(١٦٦) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٢ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٢.

(١٦٧) في معجم دوزي: السوّاق: سائق المواشي والدواب والمُكاري (معجم دوزي: ج٦، ص: ١٢٦).

(١٦٨) الحاوندار: أصلها: حيوان دار، المسؤول عن خدمة الطيور المعدّة للصيد لدى السلاطين المماليك. (صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٧٠ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٧٤).

(١٦٩) البزدار هو حامل بازي الصيد. (معجم دوزي: ج١، ص: ٣٢٤).

(١٧٠) انظر معجم دوزي: ج٥، ص: ٣٥٩.

(١٧١) الكلابزي: الفارس الذي يقود كلاب الصيد. (معجم دوزي: ج٩، ص: ١٢٤).

العشرة. ويسمّى المكان الذي هو مجمع لأرباب الصّيد شكرْخاناه.

الثاني عشر: جَانْدار:(١٧٢) مركّب من كلمتين: إحداهما جان: الروح بالتركية ودار: مُمْسك، أي مُمْسك الروح.

وكان في القديم هو الذي يستأذن على دخول الأمراء على الملك في الخدمة ويدخل أمامهم في خدمة الإيوان. ويقدّم البريد [٢٧ظ] مع الدّوادار والمُتسلّم للباب.

وله به البردداريّة(١٧٣) والجنداريّة. وإذا أراد السلطان قتْل أحد كان بحضوره. وهو المتسلّم للزّردخاناه التي هي أرفع قدرا في الاعتقالات من السّجن المطلق. وربّما كان مقدّما وربّما كانا أميرين طبلخانتين.

وقد انحطّت رتبته عن ذلك حتى استقرّ فيها العشرات فيمن دونهم.

المقصد الرابع: أرباب الوظائف من الأمراء العشرات وهم ثماني أمراء:

الأوّل: كاشف الطير:(١٧٤) وربّما قيل فيه حارس الطير، وهو المتحدّث على ...(١٧٥) طائفة من الجند برسم مراقبة [٢٨و] الطير الذي تصيده الملوك بالجوارح إلى أن يتوطّن بمكان يألفه فيمنع من يتعرّضه أو ينزل بقربه ويُعلِم بذلك كاشف الطير فيتحقّق من توطين الطير ويُعْلِم الملك بها وبعدّتها لتنزل الصيد على بصيرة.

الثاني: استادار الصّحبة:(١٧٦) وهو المتحدّث على طبخ الأمراق والمُسْتدعي لاحتياج الطعام من الوزير والمتحدّث على مُعلّمي الطبخ وصُنّاعهم وصبيانهم والآنية. وهو المخاطب للملك فيما يتعلّق بالأطعمة. وغالبًا يكون معه مُشْرِف يأمر الطبّاخ ما يختاره الملك.

الثالث: شاد الزّرْدخاناه(١٧٧) [٢٨ظ] وهو المتحدّث على استعمال آلات الحرب والمخاطب للملك عن المقصود، ويستدعي الأصناف من جهاتها مِصْرا وشامًا، وله الأمر على النفطية(١٧٨) والبارودية(١٧٩) وصُنّاع الزّردخانية والفولانية ونحْوهم. وله رفيق متعمّم لضبط الوارد والصادر ونحو ذلك.

---

(١٧٢) في صبح الأعشى ومسالك الأبصار: إمرة جاندار. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٠ وأيضا: ٤٦١/٥ ، مسالك الأبصار: ٤١٤/٣)

(١٧٣) أي الممسك بالشّارة وهو الحاجب، وفي الاصطلاح في العهد المملوكي يطلق هذا اللفظ على كلّ من كان في خدمة مباشري السلطان. (صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٦٨-٤٦٩ ، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٣٦).

(١٧٤) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٢، وفيه: حراسة الطير.

(١٧٥) كلمة غير مقروءة في المخطوط.

(١٧٦) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٣ ، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥-١٦ .

(١٧٧) ويقال أيضًا: السلاح خاناه. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ١١-١٢).

(١٧٨) ويقال أيضًا: النّفّاطون وهم رماة النفط من الزّرّاق، والزّراق الأنبوبة التي يُزْرق بها النفط. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢٢٠).

(١٧٩) هم مُطْلقُو البارود. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٣٠).

الرابع: الجاشنكير:(١٨٠) وهو المتصدّي لتذوق(١٨١) المأكول والمشروب قبل السلطان خوفًا من أن يدسّ فيهما.

والجاشنكير مُركّب من إسمين فارسيتين أحدهما: جاشا ومعناه الذّوق، والثّاني كير ومعناه: مُتعاطي، ويكون بمعنى الذي يذوق، والعامّة [٢٩و] يسمّون ذلك الشّيشْني.

وكان طبلخاناه ثمّ صار عشرة ثمّ تُرِكت الوظيفة وانصرف فعل الأمر بذلك للمشدّ.

الخامس: والي باب القلعة:(١٨٢) وهو الباب الثاني من المُدَرّج، وهو المتحدّث على غلقه وفتْحه وعليه دَرَكه. وله جماعة من تحت أمره واقفون به يُصَرّفهم فيما يختاره.

السّادس: المَهْمَنْدار:(١٨٣) -بفتح الميم-، وأصله مَهْمَن، ومعناه: الضيف، ودار: مُمْسك، عبارة عن الذي يتلقّى الضّيف يعني قُصّاد الملوك ويُنْزِلهم بالأماكن اللاّئقة ويستخرج لهم مُرتّباتهم على مقدار [٢٩ظ] مُرْسليهم. وغالبًا يكون ذلك من موجبات المبيع بالأسواق. وتسمّى دار الضيافة بالفارسية مَنْجلناه. وله نائب يقوم مقامه في ذلك.

السّابع: مقدّم البريديّة: وهو مقام الرّأس نوبة على جماعة البريد، وله الأمر عليهم ولا يتصرّفون في البريد إلاّ بعد علمه. ومن تحت أمْره سبع مقدّمين بعدد الأسبوع يكون لكلّ يوم مقدّم يطّلع فيه على الأمور ويطالع مقدّم البريد بذلك.

الثّامن: أمير الخليفة: ولم يكن له وظيفة بل سُمّي بذلك؛ لأنّه يكون صحبة الخليفة [٣٠و] في السّفر يركب لركوبه وينزل لنُزوله ويراقبه بعين الحرس ولا ينفرد عنه ولا يُمكّن أحدًا من الاجتماع عليه ولا يبرز لقتال لملازمته الخليفة. وغالبا يكون ديّنا عاقلاً عارفًا مهابًا.

المقصد الخامس: أمراء الخمسات وهم ستّ أمراء:

الأوّل:(١٨٤) نقيب الجيش(١٨٥) والنقيب في اللغة هو الأمين. قال الله عزّ وجلّ: "وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا"(١٨٦) أي: أمينا كما حكاه البغوي.(١٨٧) وقيل: النّقيب هو ضمين القوم، ويُعبّر عنه في بعض الممالك بنقيب النقباء، والصواب أن يقال [٣٠ظ] فيه أميرُ نقباء الجيوش.

---

(١٨٠) في المخطوط: الجاشكير. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢١ وكذلك: ج٥، ص: ٤٦٠ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية: ٥٧).

(١٨١) في المخطوط: لذواق.

(١٨٢) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٣.

(١٨٣) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٢ وكذلك: ج٥، ص: ٤٥٩ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢١٢.

(١٨٤) سقطت من المخطوط، والسّياق يقتضيها.

(١٨٥) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٦ ؛ مسالك الأبصار: ج٣، ص: ٣٠٩.

(١٨٦) سورة المائدة، الآية: ١٢.

(١٨٧) معالم التنزيل للبغوي، ط١، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٢، ص: ٣٦٥.

قال في مسالك الأبصار: "وهو القائم على الجند في عَرْضهم وإحضار من يُطلب منهم، وله التطلّب بالجراية السلطانية في السّفر والتكلّم عن السّلطان في المحاكمة بين الأخصام وأخذ الجواب منهم وإيضاحه للمَلِك، ويحكم في الأمور الحقيقة كأحد الحُجّاب". وكان في القديم أمير عشرة ثمّ انحط وعن الخمسة.

الثاني: أمير طَبَر(١٨٨) وهو بمقام الرّأس النّوبة على الطّبردارية وهم عشر نفر، وقد تقدّم الكلام عليهم.

وكان في القديم أمير عشرة [٣١و] ثمّ انحطّ وعن الخمسة.

الثّالث: أمير عَلَم(١٨٩) والعَلَم في اللغة يطلق على معان أحدهما: الرّاية.

وشرطه أن يكون حسن الشّكل طويل اللِّمَّة(١٩٠) وله التحدّث على الطبول والعصائب السلطانية(١٩١) وجماعتها.

وقد انحطّت رُتبته وعن الخمسة.

الرابع: أمير منزل: وهو القائم في الأمر على الفرّاشين يضرب الخيام بالأماكن الصالحة لنزول الملك ويحْذر الأماكن المُسْتَحْجِرة والرّمِلَة والغوّاصة وذات الهوّام والأفاعي.

ويُنزّل أركان الدولة بمراتبهم فإنّ لكلّ مكان من المنزلة إسم.

[٣١ظ] الخامس: أمير مشوي: وهو القائم على ما يُشوى للملك من أصناف اللّحوم والطير.

وربّما كانا أميرَيْن بنوبتين. وقد انحطت مرتبتهما عن ذلك.

السادس: الخازن: ويتعدّد إلى وظيفتين:

الأوّل: من يكون تحت يده حواصل الأشربة والسكّر والحلوى ونحو ذلك.

الثاني: هو الذي يحمل سجّادة الملك ويفرشها له وقت الصلاة.

وربّما اجتمعا في واحد. وقد انحطّت رتبته عن ذلك.

المقصد السادس: المشدّون الذين لم يكن بيدهم إمرة وهم أربعة:

---

(١٨٨) مرّ ذكره، وانظر صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٨ وص: ٤٦٢.

(١٨٩) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٦.

(١٩٠) اللِّمَّة: الشّعر يجاوز شحمة الأذن. (تاج اللّغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م، ج٥، ص: ٢٠٣٢).

(١٩١) العصائب السّلطانية: الرايات الصّفراء المطرّزة بالذّهب، وهي من علامات السّلطنة والمُلك. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٥٢).

الأوّل:(١٩٢) شادّ الدواوين:(١٩٣) وكان أميرًا رفيقًا للوزير في استخلاص [٣٢و] الأموال.

وقد انحطّ وصار يعمل أحيانًا ويبطل غالبًا، وربّما استقرّ من غير مباشرة طلبًا للمعلوم.

الثاني: شادّ العمائر:(١٩٤) وهو القائم في عمارة الأماكن التي يُنْشئها المَلِك، وربّما استقرّ معه مُقدّم في إنشاء الأماكن المهولة. ويقال له ناظر العمارة وله الأمر على المهندسين والحجّارين وصُنّاع العمائر ونحوهم.

الثالث: شادّ الحوش:(١٩٥) وهو(١٩٦) القائم في عمارة ما ينهدم بقلعة الجبل والأمر بتنظيف أماكنها المسلوكة وإصلاح مجاري المياه بها واستدعاء أصناف [٣٢ظ] العمائر من الوزير.

الرابع: شادّ الخاص: رفيق لناظر الخاص في استخلاص الأموال وبيع الأصناف واستدعاء الاحتياجات.

وقد أُهْمِل أمرها واستبدّ ناظر الخاص بذلك.(١٩٧)

المقصد السابع: الجُند من المماليك السلطانية وأرباب الوظائف المشهورة.

منهم خمسة.

الأوّل: السلحدار:(١٩٨) وهو الذي يحمل له من آلات الحرب في القتال، يختصّ بالمَلِك.

الثاني: السنْجقدار:(١٩٩) وهو الذي يحمل السنجق على رأس المَلِك في حالة السّفر.

والسنجق: الرُّمْحُ ذو الشّطفة، وهو في لعبهم مصدر طعن. وهم على نوبتين.

[٣٣و] الثالث: البُنْدقدار: وهو الذي يحمل البندق مع الملك حين تصيّده وربّما كانا نفرين.

الرابع: الجوكاندار:(٢٠٠) وهو الذي يحمل الجوكان وهي عصًا مدهونة طولها من نحو من أربعة

---

(١٩٢) سقطت من المخطوط والسياق يقتضيها.

(١٩٣) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٢.

(١٩٤) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٢٢.

(١٩٥) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية: ١٢١، وهنالك اختلاف في مهمّة شادّ الحوش فيما ورد في هذا الكتاب والمخطوط.

(١٩٦) سقطت من المخطوط والسياق يقتضيها.

(١٩٧) انظر صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٠.

(١٩٨) وهو الذي يتولّى أمر السلاح خاناه، وقد مرّ في أمير سلاح. (صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٦٢).

(١٩٩) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٨، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١١٨-١١٩.

(٢٠٠) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٨-٤٥٩ وفيه: هو لقب على الذي يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٤١.

والجوكان هو المِحْجَن الذي تضرب به الكرة أي الصولجان. وانظر المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٦٨.

أذرع وبرأسها خشبة مخروطة محدوبة تنيف عن نصف ذراع.

الخامس: البَجْمقدار:(٢٠١) وهو الذي يحمل نعْل الملك.

والبَجْمق –بالتركية-: النعل.

وعادتهما نفران على نوبتين.

قاعدة: لفظة دار فارسية معرّبة ومعناها: مُمْسك فاعل من الإمساك. وكثير من الناس يظنّون [٣٣ظ] أنّها عربية بمعنى المُحْكَم لدار السلطان، وليس كذلك.

المقصد الثامن: مهاترة(٢٠٢) البيوتات: وهم سبعة، وتوقيع كلّ منهم في العادة ويلقّب بمجلس الصدر.

الأوّل: مهتار الشراب خاناه:(٢٠٣) وهو المتسلّم لِما يَرِد من الشّراب خاناه من الأشربة والسُكّر والحلوى والفواكه والثلج والمياه المقيّدة(٢٠٤) والسّفوفات(٢٠٥) المُسهلة والمقبضة والمبرّدة والعِطْريات، والمُرْصِد لأسفار الملك أطيب ما يُشْرَب من الماء.

وربّما كانا إثنين على نوبتين.

[٣٤و] الثاني: مهتار الطشت خاناه:(٢٠٦) وهو المتسلّم لقُماش الملك الملبوس وما يتبعه من أصناف الجوهر بالخواتيم والسّيوف وغير ذلك. وله الأمر على الرّخْتَوانية(٢٠٧) والطشت دارية ونحوهم وهما إثنان على نوبتين.

الثالث: مهتار الفراش خاناه:(٢٠٨)

وهو المتسلّم لقماش الخام والمستخدم لرجاله والمتحدّث على ما يختار السلطان إستعماله من الخام.

وهما إثنان وربّما كانوا ثلاثة.

الرابع: مهتار الطّبْل خاناه:(٢٠٩)

---

(٢٠١) ويقال أيضًا: البشمقدار. (انظر صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٥٩).

(٢٠٢) حول المهتار يقول القلقشندي: هو لقب واقع على كبير كلّ طائفة من غلمان البيوت (صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٧٠). والمعنى هنا: رئيس الخدم. وانظر أيضًا: المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢١٠.

(٢٠٣) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٠ وكذلك: ج٥، ص: ٤٦٩، وهو الشّرَبْدار.

(٢٠٤) كذا بالمخطوط، ولم نهتد إلى معناها.

(٢٠٥) ذكر دوزي: سفوف دواء مركّب مسحوق يُلتهم، وسفوف لؤلؤي: دواء يُعْمَل مع اللؤلؤ. (معجم دوزي: ج٦، ص: ٨١).

(٢٠٦) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٠-١١ وكذلك: ج٥، ص: ٤٦٩ وفيه: الطشت دار وفيه أنّ الطشت دار هو الموضع الذي يُغْسل فيه ملبوس الملك.

(٢٠٧) هم المشرفون على حفظ الأثاث واللباس والقماش ولوازم الزينة في القصر السلطاني. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٩٨-٩٩).

(٢٠٨) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١١.

(٢٠٩) المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٤٣.

وهو المتحدّث على المطبّلين والزّمّار [٣٤ظ] والمُنفّرين وغيرهم.

وهما إثنان وربّما كانوا ثلاثة على نوبتين.

الخامس: مهتار الرّكاب خاناه:(٢١٠)

وهو المتسلّم لقماش الخيل المذهّب والزركش وغيره والمتحدّث على الرّكبدارية والمَهْمَرتيّة(٢١١) والسّواس وغلمان الجوق والاستعمالات وغير ذلك. وربّما كانا إثنين على نوبتين.

السادس: مُعلّم الزّرْدخاناه:(٢١٢)

وهو المتكلّم على الفولاذ والحديد والنّفط والأخشاب والصنّاع وغير ذلك.

قاعدة: لفظة خاناه بمعنى البيت مضاف إلى ذلك الصنف كالشراب خاناه [٣٥و] بيت الشّراب، والزردخاناه بيْت الزرد ونحو ذلك.

السابع: المِخفدار:(٢١٣) وهو المتحدّث على محفّة الملك وآلاتها وأقمشتها وصُنّاعها ورجالها يحملها حين سفرها.

فصل في ذكر من يتولّى بالحضرة من أرباب الوظائف:

وهو على أربعة أنواع:

النوع الأوّل: القضاء، وهو على ثلاث مراتب.

الأولى: وظيفة القضاء: والإجماع منعقد على أنّ القضاء فرض على الكفاية. ومذهب الشافعي أن يكون القاضي مُسْلمًا؛ لأنّ الله تعالى لن يجعل للكافرين [٣٥ظ] على المؤمنين سبيلاً، فلا يُوَلّى الكافر ولا على أهل دينه.

فإن قيل إنّ المَلِك يُوَلّي البطاركة ورؤساء اليهود الحُكْم على أهل مِلَلِهم ويحكمون بينهم فالجواب: إنّما يصحّ ولايتهم إلاّ على مذهب الإمام أبي حنيفة، وأمّا مذهب الشافعي فإنّها تكون ولاية رئاسة لا ولاية حُكْم.

وأن يكون القاضي مُكَلّفًا حُرًّا ذكرًا عدْلاً سميعًا بصيرًا ناطقًا، فلا يُوَلّى صبيّ ولا مجنون ولا رقيق ولا إمرأة ولا فاسق لنقْصه ولأنّ الأصمّ لا يفرّق بين إقرار وإنكار، والأعمى لا يفرّق بين الطالب والمطلوب. وفي معناه من [٣٦و] يرى الأشباح ولا يُفرّق، والأخرس لا يقْدِر على إنفاذ الأحكام.

---

(٢١٠) صبح الأعشى: ج٤، ص: ١٢ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٠.

(٢١١) ويقال أيضا: المَهْمَرْدية: وهم المتولّون حفظ قماش الاصطبلات. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٢١٢).

(٢١٢) الزردخاناه: المكان الذي يحفظ فيه سلاح ودروع السلطان، وقد يطلق على السلاح ذاته. ويقال لها أيضا: السّلاح خاناه. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ١١-١٢ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٤).

(٢١٣) صبح الأعشى: ج٥، ص: ٤٧٠.

وأن يكون كافيًا فلا يُولّى مُغفّل ولا من اختلّ بكِبَر. وأن يكون مجتهدًا فلا يُولّى جاهل بالأحكام الشرعية وطرقها المحتاج إلى تقليد غيره فيها، ولأنّه لا يصلح للفتوى فالقضاء أولى.

وأنّ المجتهد يعرف من القرآن والسّنّة ما يتعلّق بالأحكام وخاصّه وعامّه ومُقيّده ومُطْلقه وناسخه ومنسوخه وأسباب النّزول ومُتواتر السُّنّة، وهو الآحاد والمُتّصل والمُرْسل وحال الرّواة قوّة [٣٦ظ] وضُعْفا لأنّه يتوصّل بذلك إلى تقرير الأحكام، ولسان العرب لغةً ونحوًا؛ لأنّ الشّرْع ورد بالعربيّة، وبهذا يُعرّف بعُرْف عموم اللّفظ وخصوصه وإطلاقه وتقييده وإجماله وبيانه فيعرف ما لا بدّ منه من فهْم الكتاب والسُّنّة وأقوال العلماء من بعدهم إجمالا وإخلافا حتّى لا يخالف الإجماع باختيار قول السُّنّة والقياس بأنواعه جليّة وخُفْيَة.

فإن تعذّر جميع هذه الشّروط لِخُلُوّ الزّمان عن المجتهد والمستعمل فولّى السلطان فاسقًا أو مقلّدًا نُفّذ قضاؤه للضرورة ولا تتعطّل مصالح الناس...[٢١٤]

[٣٧و] والقاضي مشتقّ من: قضى الأمْرَ إذا أحكمه؛ لأنّ حُكمه يقْطع الخصومات.

وقيل: مِن قضى الأمر: إذا فرغ منه لأنّه يفصل الخصومات بفروغ الأمر منها.

والحاكم: بمعنى القاضي، واشتقاقه من الحكمة وهي الحديدة القائمة في صدر اللّجام فسُمّي بذلك لأنّه يمنع الخصم من الجماح كما تمنع الحديدة من الجماح.

تنبيه: إذا تولّى قاضٍ فيُنبّه كاتم السّر الإمام على أن يأذن له في الاستخلاف ليكون أسهل عليه وأقضى إلى فصل الخصومات، فإن نهاه الإمام [٣٧ظ] يستخلف؛ لأنّه لم يَرْضَ بنظر غيره، فإن أطلق استخلف.

وشرْط المُسْتَخلف كالقاضي؛ لأنّه نائبه إلاّ أن يُسْتَخْلَف في أمر خاص ويحكم الخليفة باجتهاده أو إجتهاد مُقلّده إن كان مُقلّدًا.

قاعدة: القضاة الثلاثة غير الشافعي حدثوا في سنة أربع وستين وستمائة مع وجود القاضي تاج الدين بن بنت الأعزّ الشافعي[٢١٥] واستمرار ولاية نظره. وكان ذلك في أيام الظاهر بيبرس. وانفرد الشافعي بأربعة أشياء: النظر على الأيتام والأوقاف وبيت المال ونوّاب [٣٨و] البلاد، ويشارك الثلاثة في الباقي.

---

(٢١٤) سقوط في المخطوط.

(٢١٥) ولد سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م، أخذ عن فضلاء عصره كابن الورّاق وابن اللبيب وابن السّكّري وتوفي سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م. (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٨، ج١، ص: ٤١٥ ؛ رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. علي محمد عمر، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨، ص: ٢٥٨ فما بعدها ؛ طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط١، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ج٨، ص: ٣١٨).

أمّا تقاليدهم فكانت تكتب في قطع النصف بالمجلس العالي إلى أن وَلي عماد الدين الكركي[٢١٦] قضاء الشافعية أيّام سلطنة الظاهر برقوق الثانية، وكان أخوه القاضي علاء الدين[٢١٧] كاتب السّرّ، فعُني به فكتب له تقليدًا في قطْع الثلثين ولُقّب فيه بالجناب العالي وبقي الثلاثة على ما هم عليه إلى أن تولّى جمال الدين محمود[٢١٨] قضاء الحنفية فكتب له تقليد في قطْع الثلثين.

ولمّا وَلي جمال الدين يوسف [٣٨ظ] البساطي المالكي[٢١٩] في أيّام الناصر فرج كُتِب له تفويض في قطع الثلثين.

ولمّا تولّى القاضي علاء الدين بن مُغلّى في دولة المؤيّد كُتب له في قطع الثلثين.

وصار الأمر مُستمِرًّا على ذلك وصار يُميّز الشافعي عليهم بأن يكتب له الجناب الكريم.

المرتبة الثانية: قضاة العسكر:[٢٢٠]

ومُتولّيه يحْضر دار العدل ويسافر بالرّكاب ويقضي ويحكم وتُنَفّذ به الأحكام الشّرعيّة. وشرطه أن يكون لاحقًّا بصفة خلفاء الحُكْم ويكون ماهرًا في الأحكام السلطانيّة.

[٣٩و] وعادتهم ثلاثة من كلّ مذهب قاض، ولم يكن للحنبلي منهم حظّ وتوقيع كلّ منهم في الثلث.

إفْتاء دار العدل:[٢٢١]

وهم أربعة من كلّ مذهب مُفْتٍ بمعاليم على الدّواوين الشّريفة. وتوقيع كلّ منهم في الثّلث.

النوع الثاني: التّداريس[٢٢٢] ومشيخة الخوانق والخطابة والإمامة: ولا يتولّى ذلك إلاّ من اشتهر علمه

---

(٢١٦) أحمد بن عيسى بن موسى العامري المُقيْري. ولد بالكرك سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. وتوفّي سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م. (رفع الإصر عن قضاة مصر، ص: ٦٦ فما بعدها ؛ درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقريزي، تحقيق: د. محمد الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢، ج١، الترجمة رقم ٩٦).

(٢١٧) هو علاء الدين علي بن عيسى الكركي المتوفى سنة ٧٩٤هـ/١٣٩١م. (حسن المحاضرة: ج٢، ص: ٢٣٥).

(٢١٨) محمود بن محمد بن عبد الله القيصري. كان ماهرا في فنون عدّة كالعربية والمعاني والبيان. ترقّى في الوظائف حتى ولي الحسبة. ولي القضاء في سنة ٧٩٣هـ/١٣٩١م. وتوفّي سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٦م. (حسن المحاضرة: ج١، ص: ٤٧٢ وج٢، ص: ١٨٥ ؛ رفع الإصر على قضاة مصر، ص: ٤٣٣).

(٢١٩) يوسف بن خالد بن نعيم البساطي المالكي. ولد في حدود سنة ٧٤٠هـ/١٣٤٠م. تفقّه على أخيه وعلى شيخ المذهب خليل المالكي وابن مرزوق في عدّة علوم. وصنّف مصنّفات منها: شرح بانت سعاد. توفّي سنة ٨٢٩هـ/١٤٢٦م.

(حسن المحاضرة: ج٢، ص: ١٨٩-١٩٠ ؛ رفع الإصر عن قضاة مصر، ص: ٤٧٥-٤٧٦).

(٢٢٠) يتولّى هذه الوظيفة في العهد المملوكي قاض مُهمّته التحدّث في القضايا المتعلّقة بشؤون العسكر الشرعيّة والفصل بين الجند في خصوماتهم، وقد كان يتولاّها ثلاثة قضاة: شافعي، حنفي ومالكي. وكانوا يحضرون بدار العدل ويسافرون مع السّلطان إذا سافر وجلوسهم في دار العدل يكون دون القضاة الأربعة العاديين. (صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٦ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٧٣).

(٢٢١) صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٦.

(٢٢٢) حول التداريس والخطابة انظر: صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٩.

ودينه ويكون ماشيًا على طريقة السّلف مديد الباع في العلوم ويُقدّم العلاّمة على العالِم والعالِم على الفاضل [٣٩ظ]، وهو على خمسة ضروب:

الضرب الأوّل: التّداريس الشافعيّة: وهي أربعة:

الأوّل: تدريس الخشّابيّة بجامع عمرو بن العاص بمصر وقْف الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب.(٢٢٣) وهو أمثل تداريس الشافعيّة. وكان مضافًا لقاضي القضاة الشافعي ثمّ أُفْرد عنه.

ولِمُتولّيه توقيع في النصف.

الثاني: تدريس جامع ابن طولون(٢٢٤)، وكان مضافًا لقاضي القضاة الشافعي ثمّ أفْرد عنه. وتوقيع مُتولّيه في الثلث.

الثالث: تدريس قُبّة الإمام الشافعي [٤٠و] محمد بن إدريس –رضي الله عنه-، وكان مضافًا لقاضي القضاة الشافعي ثمّ أُفْرِد عنه. وتوقيع مُتَولّيه في الثّلث.

الرابع: تدريس الجماليّة(٢٢٥) برأس الركن المُخلّق وقْف الأمير جمال الدين البجاسي. وتوقيع متولّيه في الثلث.

الضرب الثاني: تداريس الحنفيّة: وهي خمسة:

الأوّل: تدريس الشيخونية:(٢٢٦) برأس الصليبة وقْف الأمير شيخو في عشر السبعين من السبعمائة. وهو أجلّ تدريس الحنفيّة. ولم تزلْ الملوك ناظرة إلى مُتولّيه [٤٠ظ] بعيْن التّعظيم؛ لأنّه شيخ الصوفية ومُدرّسهم.

وشرطه أن لا يكون قاضيًا. وتوقيعه في قطع الثلث.

الثاني: مشيخة الظاهر برقوق بين القصرين. ومدرّسها على نحو تدريس الشيخونية. وتوقيعه في الثلث.

الثالث: تدريس المؤيديّة داخل باب زويلة وقْف السّلطان الشّهيد المؤيّد شيخ، وهو على نحو ما تقدّم. وتوقيع مُتولّيه في الثّلث.

---

(٢٢٣) المشهود بصلاح الدين الأيوبي مؤسس الدولة الأيوبية والذي قاد عدّة حملات ومعارك ضدّ الصليبيين. توفّي سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م. (انظر: أخباره في: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لابن شدّاد، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط٢، مكتبة الخانجي، ١٩٩٤).

(٢٢٤) انظر حوله خطط المقريزي: ج٣، ص: ١٩٣ فما بعدها ؛ الخطط التوفيقية: ج٤، ص: ٤٥-٤٦.

(٢٢٥) حول المدرسة الجمالية انظر: خطط المقريزي: ج٣، ص: ٥١١ ؛ الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٦.

(٢٢٦) الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٨.

الرابع: تدريس الصرغتمشية من الصليبية، وقْف الأمير صُرْغتمش.[227] ومتولّيه على نحو من تقدّم. [41و] وتوقيعه في الثلث.

الخامس: تدريس الأشرفية:[228] وقْف السلطان المالِك المَلِك الأشرف برسباي في عشر الثلاثين بعد الثمانمائة وتوقيع مُتولّيها في الثلث.

الضرب الثالث: تداريس المالكية:

ولم يكن لهم تدريس يتولاّه من الحضرة سوى تدريس القمحيّة[229] بمصر. وتوقيع مُتولّيه في قطع الثلث.

الضرب الرابع: مشيخة الخوانق:[230] من غير تداريس وهي أربعة.

الأولى: مشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس.[231] استجدّها الناصر محمد بن [41ظ] قلاوون.[232] ويُعبّر عن متولّيها بشيخ الشيوخ. وكان ذلك يطلق على شيخ الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء. وتوقيع مُتولّيها في قطع النصف.

الثانية: مشيخة الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء[233] وقف الشهيد الناصر صلاح الدين يوسف بن أيّوب. ولم يكن أكثر صوفية منها ولا أحسن شرطا لأنّ الصوفي إذا توجّه منها عدّة سنين وعاد يَجِد معلومه، وإذا توجّه إلى القدس أو إلى الفيّوم يجد بهما ما فاته من معلوم سعيد السعداء. وتوقيع [42و] متولّيها في الثلث.

---

(227) سيف الدين صرغتمش الناصري أحد مملوكي السلطان الناصر محمد بن قلاوون ترقى في الوظائف واشتهر برعايته لشؤون الدولة بعد شيخو. أسّس مسجدًا ومدرسة وتوفّي سنة 759هـ/1358م. (السلوك: ج4، ص: 235 فما بعدها).

(228) انظر حولها: الخطط التوفيقية: ج6، ص: 3.

(229) بناها السلطان صلاح الدين يوسف على موضع قيسارية يباع فيها الغزل سنة 566هـ/1170م، ورتّب فيها أربعة مدرّسين وأوقف عليها أوقافا بالقاهرة والفيّوم. (خطط المقريزي: ج3، ص: 439).

(230) الخوانق أو الخوانك جمع خانقاه، وهي كلمة فارسية معناها بيت. وحدثت الخوانق في الإسلام في حدود الأربعمائة من سِنيّ الهجرة، واتخذها الصوفية مقرًّا للعبادة. (وحول الخوانق في القاهرة انظر: خطط المقريزي: ج3، ص: 567 فما بعدها ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: 78).

(231) سرياقوس: بُليدة في نواحي القاهرة. (معجم البلدان: ج3، ص: 218).

(232) هو ناسخ المماليك البحرية، تسلطن ثلاث مرات من سنة 693هـ/1293م وحتى سنة 741هـ/1341م سنة وفاته. (السلوك: ج2، ص: 249 فما بعدها وص: 310 فما بعدها وص: 442 فما بعدها).

(233) انظر حولها: خطط المقريزي: ج3، ص: 570 فما بعدها ؛ حسن المحاضرة: ج2، ص: 260-261 ؛ الخطط التوفيقية: ج6، ص: 50.

الثالثة: مشيخة الخانقاه البيْبَرْسية[٢٣٤] برأس الجُوّانية. أنشأها الظاهر بيبرس الجاشنكير.[٢٣٥] وتوقيع متولّيها في الثلث.

الرابعة: مشيخة تُربة الظاهر برقوق بالصحراء، وقّف ولده السلطان الشّهيد الناصر فرج في العشر الأوّل من الثمانمائة. وتوقيع متولّيها في قطع الثلث.

الضرب الخامس: الخطباء والأئمة: أمّا الخطباء فلم تَجْر العادة باستقرار أحد منهم بالحضرة الشريفة سوى خطيب جامع قلعة الجبل. وكان يُكْتب توقيعه في [٤٢ظ] الثلث، ثمّ أضِيفت إلى قاضي القضاة الشافعي ولهذا يُزادُ في ألقابه خطيب الخطباء ويتميّز به دون غيره؛ لأنّه يخطب بالملك.

والأئمة المُراد بهم أئمة المَلِك الذي يأتي بهم في الصلاة غير أئمة القصر. وكانا[٢٣٦] إمامَيْن على نوبتين ثمّ هم الآن ثلاثة. وتوقيع كلّ منهم في الثلث. وكُتِب لبعضهم بالمجلس العالي في الثلث.

النوع الثالث: أنظار الوظائف الدينيّة: وهي إثنا عشر وظيفة بالقاهرة.

الأولى: نظر الأشراف،[٢٣٧] وموضوعها المتحدّث على أوقاف الأشراف، وهي بركة الحبش[٢٣٨] من ضاحية [٤٣و] مصر وناحية بلقس من ضواحي القاهرة وبعض مُسقّفات بالقاهرة، وما يستخرج منها من الأموال وصرْفه على جماعة الأشراف بمصر والقاهرة في وقت معلوم من السَّنة للكبير والصغير والذّكر والأنثى بالسّويّة، وربّما أنفق منها على الأشراف المُقيمين بمكة والمدينة والواردين منهما حين النّفقة، ولا يصرف شيء إلاّ على من يكون ثابتا لنَسَب من الحَسَنين أو الحُسينين. وتوقيع مُتولّيها في الثلث.

الثانية: نظر الحسبة وقد اختلف في اشتقاقها.

[٤٣ظ] قال الماوردي: وهي مشتقّة من قولك: حَسْبُك بمعنى اُكْفُفْ؛ لأنّه يكفّ عن الظلم".[٢٣٩]

وقال النحّاس: أحسبه إذا كفاه لأنّه يكفي الناس مؤنة من يبخسهم حقّهم.

وحقيقته في اللغة: المجتهد في كتابة المسلمين ومنفعتهم. وأوّل من قرّر ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، وموضوعها: التحدّث على أرباب المعايش والصنائع والأَخْذ على يد الخارج عن طريق الصلاح في معيشته أو صناعته.

---

(٢٣٤) انظر حولها: خطط المقريزي: ج٣، ص: ٥٧٤ فما بعدها، ويقول فيها: وهي أجل خانقاه بالقاهرة بنيانا وأوسعها مقدارا وأتقنها صنعة. وانظر: حسن المحاضرة: ج٢، ص: ٢٦٥ ، الخطط التوفيقية: ج٦، ص: ٥٠.

(٢٣٥) ركن الدين بيبرس الجاكنكير المنصوري وهو السلطان المملوكي الثاني عشر، تسلطن لفترة وجيزة من سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٣م إلى سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م. (السلوك: ج٢، ص: ٤٢٣ فما بعدها ، النجوم الزاهرة: ج٨، ص: ١٨٣ فما بعدها).

(٢٣٦) في المخطوط: وكانوا.

(٢٣٧) ويقال أيضا: نقابة الأشراف. انظر: صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٧-٣٨.

(٢٣٨) انظر حولها: خطط المقريزي: ج٢، ص: ٧٢٣ فما بعدها.

(٢٣٩) لا وجود لهذا الكلام عند الماوردي في باب الحسبة في كتابه الأحكام السلطانية.

رسالة في ترتيب مملكة الديار المصرية وأمرائها وأركانها وأرباب الوظائف لمؤلف مجهول

وهي على قسمين:

الأولى: حسبة القاهرة، ومتولّيها له نُواب بالباب وبالقاهرة [٤٤و] والوجه البحري إلى قطيا(٢٤٠) وبرقة(٢٤١) خلا ثغر الإسكندرية فإنّ مُتولّي الحسبة بها كان استقراره من الأبواب في قطع الثلث، ثمّ أضيفت إلى نائبها. وتوقيع مُتولّيها في الثلث.

الثانية: حسبة مصر: ومتولّيها له الأمر والاستنابة بقلعة الجبل والصليبة إلى قناطر السباع(٢٤٢) والقرافتين والوجه القبلي بكماله، وربّما أضيفت إلى حسبة القاهرة.

وكانت ولاية الحسبة منحصرة في المُتعمّمين ثمّ صار يتولاّها أرباب السيوف غالبًا.

الثالثة: نظر الأحباس:(٢٤٣) [٤٤ظ] وكان في القديم متولّيها هو المتحدّث في الأوقاف ثمّ أُفرِد ذلك عنه بناظر مُستقلّ واختصّ بنظر الأحباس ورزق الجوامع والمساجد والموقوف عليها ورزق على سُبُل البِرّ والصّدقة، وكانت ما تخرج إلاّ بِكَتْب من السلطان. وتشمل تواقيعها الخطّ الشريف.

ثمّ في دولة الأشرف شعبان(٢٤٤) صار النائب الكافل هو الذي يكتب عليها على قصص الأحباس وتواقيعها. ولمّا أُهمِلت النّيابة صار الدوادار الكبير هو الذي يكتب عليها، وله رفيق [٤٥و] مُتَعمّم، يكون شهود الأحباس ومُسْتوفيها بديوان عنده، وهو الآمر في كتابتها بما يراه. وإذا كان الدوادار الكبير غائبا إستقلّ بالأمر في كتابتها. وتوقيعه في الثلث.

الرابعة: نظر الجوالي:(٢٤٥) ويُنسب جهتها للديوان العزيز، وموضوعها التحدّث في استخراج الجزية من أهل الذمّة. وكان متولّيها لا تطول يده إلاّ على أهل الذمّة بمصر والقاهرة وضواحيها. وكان ما يستخرج من نصارى الأقاليم بالدّيار المصرية لِمُقْطعي بلادها. ثمّ في [٤٥ظ] الأيّام المؤيدية أُضِيفت جوالي البرّ إلى ما يتحصل من جوالي القاهرة. ويُنْفق على أهل العلم والمستحقّين في وقت معلوم من

---

(٢٤٠) ذكرها السخاوي في البلدانيات وقال: وهي بين القاهرة وغزّة في الرمل، بها سكّان ونخيل... وكانت محلاًّ للمكس فأبطله سلطان وقتنا منه. (البلدانيات لشمس الدين السخاوي، تحقيق: حسام بن محمد القطان، ط١، دار العطاء للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠١، ص: ٢٤٤).

(٢٤١) يقول ياقوت الحموي: صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية. (انظر معجم البلدان: ج١، ص: ٣٨٨ فما بعدها).

(٢٤٢) أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعًا من الحجارة، وكانت عالية مرتفعة. (خطط المقريزي: ج٢، ص: ٧٠٨-٧٠٩).

(٢٤٣) حول نظر الأحباس بمصر يراجع: خطط المقريزي: ج٣، ص: ٢٦٥ فما بعدها ؛ صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٨.

(٢٤٤) السلطان شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون، تولى حكم مصر من سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م إلى سنة ٧٧٨هـ/١٣٧٧م. (السلوك: ج٤، ص: ٢٦٧ فما بعدها ؛ النجوم الزاهرة: ج١١، ص: ٢٠ فما بعدها).

(٢٤٥) وهو المال الذي يؤخذ من أهل الذمّة مقابل استمرارهم في بلاد المسلمين وتحت رعايتهم، وقد أطلق هذا اللفظ منذ فترة الخلفاء الراشدين واستمرّ استعماله حتى عهد المماليك. (قوانين الدواوين للأسعد بن مماتي، تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، مكتبة مدبولي ١٩٩١، ص: ٣٢٩-٣٣٠ ؛ المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ٦٩ ؛ معجم دوزي: ج٢، ص: ٣٥٢).

الشدة، ولا ضابط له يزيد وينقص. وتوقيع متولّيها في الثلث.

الخامسة: نظر الكسوة: وموضوعها التحدّث على كسوة الكعبة البيت الحرام وما يستخرج من بلادها وهي ناحيتي بيسوس وسرّدوس[٢٤٦] وأراضي بقليوب، وصرّف ذلك في ثمن ما يستعمل من الذّهب والحرير والأجُر وغير ذلك في كلّ سنة، والحُجْرة النبوية في كلّ خمس سنين مرّة.

وهذه الكسوة التي يفتخر بها ملك [٤٦و] مصر على جميع الملوك شرقًا وغربًا.

وتوقيع متولّيها في الثلث.

السادسة: نظر الأوقاف: وموضوعها التحدّث على أوقاف الحرمين بالقاهرة ومصر، وكانت مضافة لنظر الأحباس كما تقدّم، ثمّ صارت إلى قاضي القضاة الشافعي، ثمّ آلت إلى ناظر مُستقلّ، وربّما تحدّث فيها أرباب السيوف ويُراجعوا قاضي القضاة الشافعي في بعض الأمور. ومعلومه عن ذلك من مال الأوقاف. وتوقيع مُتولّيها في الثلث.

السابعة: نظر دار الضرب: وربّما يُعبّر عنها بأُدْر الضرب جمع [٤٦ظ] دار؛ لأنّ لكلّ صنف من النقود دار بمكان واحد. ولها تعلّق بالخاص لأخذ الموجب.

وموضوعها التحدّث على ضرب النقود من معاملة المسلمين من الذهب والفضّة والفلوس ومنْع ما يُداخلها من الغشّ جُملة كافية وتحرير الأوزان إن كانت عدديّة، والحرص على الختْم وصوْن الصّكة بمكان حرْز، ولا تُصك النقود إلاّ بمعزل بحضرة موثوق به. ومُتولّيها يتحدّث على صُنّاعها ويُناقشهم على عدم إدخال الغشّ بكلّ مُمكن وعلى تحرير الأوزان.

وتوقيعه في الثلث.

الثامنة: نظر خزائن السلاح: [٤٧و] وموضوعها التحدّث على خزائن السلاح. وأصل هذا السلاح أنّ الملكة شجر الدرّ أوقفت بلادا في إقليم الجزيرة وأرصدت خراجها إلى أن يُشْترى به أصناف السلاح من فضة وحرير وفولاذ وحديد وأجر ومعاليم، ويقام منه في كلّ سنة كذا كذا قطعة تحمل للزّردخانه وإلى ثغور الإسلام، فأقام الأمر على ذلك عدّة سنين، ثمّ تلاشى أمر النواحي المستخرج منها المال فبطل استعمال السّلاح، فلمّا تولّى الناصر محمد بن قلاون قصد إعادة ذلك فأخذ في إقليم الجزيرة وأراض وعمّر عمائر واشترى أماكن، وعاد [٤٧ظ] عمل السّلاح، فصار يُعْمَل في كلّ سنة ويحمل إلى الزّردخاناه. ومُتولّيها مُتحدّث في استخراج المال من حماية والأمر يصرفه فيما يستعمل. وله التحدّث على مباشرة ذلك والزّردكاشية[٢٤٧] والمعلّمين والصنّاع.

وتوقيعه في الثلث.

---

(٢٤٦) انظر: معجم البلدان: ج٣، ص: ٢١٠.

(٢٤٧) الزردكاشية: هم صانعو الأسلحة والعاملون على صيانتها. (المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية، ص: ١٠٦؛ معجم دوزي: ج٥، ص: ٣٠٣).

التاسعة: نظر البيمارستان المنصوري:[٢٤٨]

والبيمارستان لغة فارسية ومعناه: بيت الضعيف.

وهو وقْف المنصور قلاوون[٢٤٩] أعظم أوقاف الديار المصريّة وأكثرها بِرًّا. لم يباشر به ذمّي خوفًا من الدّسائس ولا يُداوي به ذو عاهة حذرًا من العدوة. وكان [٤٨و] نظره قديما للوزير مع أحد من أكابر الأمراء المقدّمين. ولمّا آل الأمْر في نظره إلى الأمير الكبير أبْطِل نظر الوزير منه وصار يتولّى نظره من المتعمّمين من يؤهّل إلى نظره مع الأمير الكبير، ولا ينفرد برأيه في أمْر مُهم بل بمراجعة الأمير الكبير. وتوقيعه في الثلث.

العاشرة: نظر الزردخاناه:

وموضوعها التحدّث على ما يستعمل بالزّردخاناه من آلات الحرب والنفط واستدعاء ما يحتاج إليه من مصر والشام والثّغور وغيرها ولمتولّيها التحدّث على جماعة الزردكاشية [٤٨ظ] والمعلّمين والصّناع ونحوهم، رفيق للشادّ المتقدم ذكره. وتوقيعه في قطع الثلث.

الحادية عشر: نظر الحرم النبوي: وموضوعها التحدّث على بلاد ودرمونة[٢٥٠] يؤخذ خراجها، يُجهّز في كلّ سنة إلى الخدّام القائمين بخدمة الحُجرة النبوية. وأوقف السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ناحية نقادة[٢٥١] بالقوصية[٢٥٢] وثلث سنديس[٢٥٣] بالقليوبية على أربعة وعشرين خادمًا. ووقف السلطان الصالح إسماعيل[٢٥٤] ثُلُثَيْ سندبيس على ثلاثة عشر خادمًا بثلاثة عشر [٤٩و] جزء وعلى ستّة خدّام بثلاثة أجزاء لكلّ خادمين جزء.

الثانية عشر: نظر الصندوق: وموضوعها التحدّث على جهات ربحيّة بالمحلّة وبلبيس والفيوم يتحصّل منها ما يصرف على رجال ونساء وصغار وأطفال مستحقّين بأسماء مُقرّرة في وقت معلوم. ومتولّيها يراجع حاجب الحجّاب في أمرها. وكان توقيعه في الثلث. ثمّ تلاشى نظرها حتّى صار حاجب الحجّاب هو المستبدّ في استقراره وعزله من غير أن يستقرّ من الحضرة.

النوع الرابع: ما هو [٤٩ظ] خارج عن الأنظار من الوظائف الدينيّة المنفردة وهما وظيفتان.

---

(٢٤٨) انظر حوله: خطط المقريزي: ج٣، ص: ٥٤٧ فما بعدها ، صبح الأعشى: ج٤، ص: ٣٨-٣٩.

(٢٤٩) الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي العلائي الصالحي، سابع سلاطين الدولة المملوكية. تقلّد السلطنة سنة ٦٧٨هـ/١٢٧٩م إلى سنة ٦٨٩هـ/١٢٩١م. (السلوك: ج٢، ص: ١٢٢ فما بعدها ، النجوم الزاهرة: ج٧، ص: ٢٤٨ فما بعدها).

(٢٥٠) كذا في المخطوط، ولم نظفر بها في معاجم البلدان، ولعلّها أندونة، وهي إحدى قرى الجيزة. (انظر: خطط المقريزي: ج١، ص: ٥٨٢).

(٢٥١) مدينة ومركز بمحافظة قنا، وتقع على الشاطئ الغربي للنيل.

(٢٥٢) كذا بالمخطوط، ولا ذكر لهذا المكان في معاجم البلدان. والمعروف مدينة قوص مدينة كبيرة وهي قصبة صعيد مصر وهي محطّة التجار. (انظر: معجم البلدان: ج٤، ص: ٤١٣).

(٢٥٣) كذا بالمخطوط ولعلّها سندبلس كما وردت في معجم البلدان: ج٣، ص: ٢٦٨.

(٢٥٤) هو سادس عشر سلاطين الدولة المملوكية، بويع سلطانًا على مصر والشام سنة ٧٤٣هـ/١٣٤٢م إلى سنة ٧٤٦هـ/١٣٤٦م.

الأولى: نقابة الأشراف: وموضوعها التحدّث على صيانة ذوي الأنساب الشريفة عن ولاية من لا يكافؤهم في النسب ولا يكافؤهم في الشرف ليكون عليهم أحْنى وأمره فيهم أمْضى. وهي على ضربين: عامة وخاصة.

فأمّا الخاصّة: فهو أن يقتصر بنظره على مجرّد النقابة من غير مجاوزة لها إلى الحكم وإقامة حدّ. ولا يكون العلْم مُعْتبرا في شروطها. ويلزمه في النّقابة على ما حكاه صاحب الأحكام السلطانية من حقوق [٥٠و] النظر إثنا عشر حقًّا.(٢٥٥)

وأمّا العامة: فعموما أن يُرَدّ إليه في النقابة عليهم خمسة أشياء:

أحدها: الحكْم بينهم فيما تنازعوا فيه.

الثاني: الولاية على أيتامهم فيما ملكوه.

الثالث: إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

الرابع: تزويج الأيامي اللاتي لا يتعيّن أولياؤهنّ أو قد تعيّنوا فعضلوهنّ.

الخامس: إيقاع الحَجْر على من عته(٢٥٦) منهم أو سفه، وفكّه إذا أفاق ورشد.

فيصير بهذه الخمسة أشياء عامّ النقابة.

وكان في أوائل الدولة العباسية يقع ذلك على نقابة الطالبيّين، وكان يضاف للنقابة النظر [٥٠ظ] على جمْع أموالهم ويفرّقها عليهم. ثمّ استقلّ به ناظر غيره. وربّما يضاف إلى نقيب الأشراف النظر إلى مشهد الحسين بالقرب من رحبة الأيْدمري.(٢٥٧) وتوقيعه في الثلث، ونعوته وألقابه كأرباب السيوف.

الثانية: وكالة بيت المال: وموضوعها أن متولّيها يتحدّث فيما ببيت المال من مبيع أراض وعقارات وغير ذلك بمصر وغيرها من الممالك والمُعاقدة على ذلك. ومستنداته في ذلك مُرَبّعات شريفة تخلّد عنده.

قال في مسالك الأبصار: [٥١و] ولا يليها إلاّ أهل العلم والديانة".(٢٥٨)

قال: "وإنّ مجلسه في دار العدل تارة يكون دون المحتسب وتارة أعلاه بحسب العالم منهما".

وتوقيعه في الثلث، ورأيت من كَتَبَهُ في النصف.

أمّا غير هؤلاء من أرباب الوظائف الدينية فكثيرون، واستقرارهم بتواقيع تارة في الثلث وتارة في العادة من غير أن يُسْمَح لأحد منهم بلبس تشريف من الحضرة إلاّ من حصلت له عناية.

وفي هذا كفاية، والحمد لله ربّ العالمين، وحسبنا الله ونعْم الوكيل.

---

(٢٥٥) انظر الأحكام السلطانية للماوردي، ص: ١٢٦-١٢٩.

(٢٥٦) العته: نقصان العقل.

(٢٥٧) عرفت بهذا الإسم نسبة إلى الأيدمري مملوك عز الدين أيدمر الحلبي نائب السلطة في أيّام الملك الظاهر بيبرس. (خطط المقريزي: ج٢، ص: ٤٦٩).

(٢٥٨) في مسالك الأبصار: ولا يلي هذه الوظيفة إلاّ من ذوي العدالة المبرزة. (مسالك الأبصار، ص: ٣/٣١١).

المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية للماوردي، ط. مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩م.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي المالكي (على هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٥٩هـ.
- الإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني، تحقيق د. قاسم السامرّائي، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٩م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس الحنفي، تحقيق باول كاله ومحمد مصطفى وموريتس سوبرنهايم، (ج ٢)، مطبعة الدولة، اسطنبول ١٩٣١. الجزء الخامس، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة ١٩٦١م.
- البلدانيات لشمس الدين السخاوي، تحقيق حسام بن حمد القطّان، ط ١، دار العطاء للنشر والتوزيع، الرياض ٢٠٠١م.
- تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ١، مكتبة الشرق الجديد ببغداد ودار العلوم الحديثة ببيروت ١٩٥٢م.
- تحفة الوزراء لأبي منصور الثعالبي، تحقيق حبيب علي الراوي ود. ابتسام مرهون الصفار، ط ١، الدار العربية للموسوعات، بيروت ٢٠٠٦م.
- التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري، عني بتحقيقه وضبطه وتعليق حواشيه محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٨.
- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٨م.
- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة لعلي باشا مبارك، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق ١٣٠٦ هـ.
- خطط المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) لتقي الدين المقريزي، تحقيق: د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٨م.
- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة للمقريزي، تحقيق د. محمد الجليلي، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ٢٠٠٢م.
- رفع الإصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني، تحقيق د. علي محمد عمر، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٨م.

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك لابن شاهين الظاهري، اعتنى بتصحيحه بولس راويس، ط٢، دار العرب للبستاني، القاهرة ١٩٨٨م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين المقريزي، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م.
- صبح الأعشى في كتابة الإنشاء للقلقشندي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٢م.
- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٠م.
- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ١، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة.
- قوانين الدواوين للأسعد بن مماتي، تحقيق عزيز سوريال عطية، ط ١، مكتبة مدبولي ١٩٩١م.
- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف، مصر.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لابن فضل الله العمري (ج٣)، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- معالم التنزيل للبغوي، ط ١، دار ابن حزم، بيروت ٢٠٠٢م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٧٩م.
- المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، تأليف: د. حسان حلاق ود. عباس صباغ، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٩م.
- معجم دوزي (تكملة المعاجم العربية) لرينهارت دوزي، ترجمه إلى العربية وعلّق عليه د. محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٠م.
- المعجم الوسيط ط ٤، مكتبة الشروق الدولية، مصر ٢٠٠٤م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي الأتابكي، قدّم له وعلّق عليه محمد حسين شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٢م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر، بيروت.